﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾

بشائر

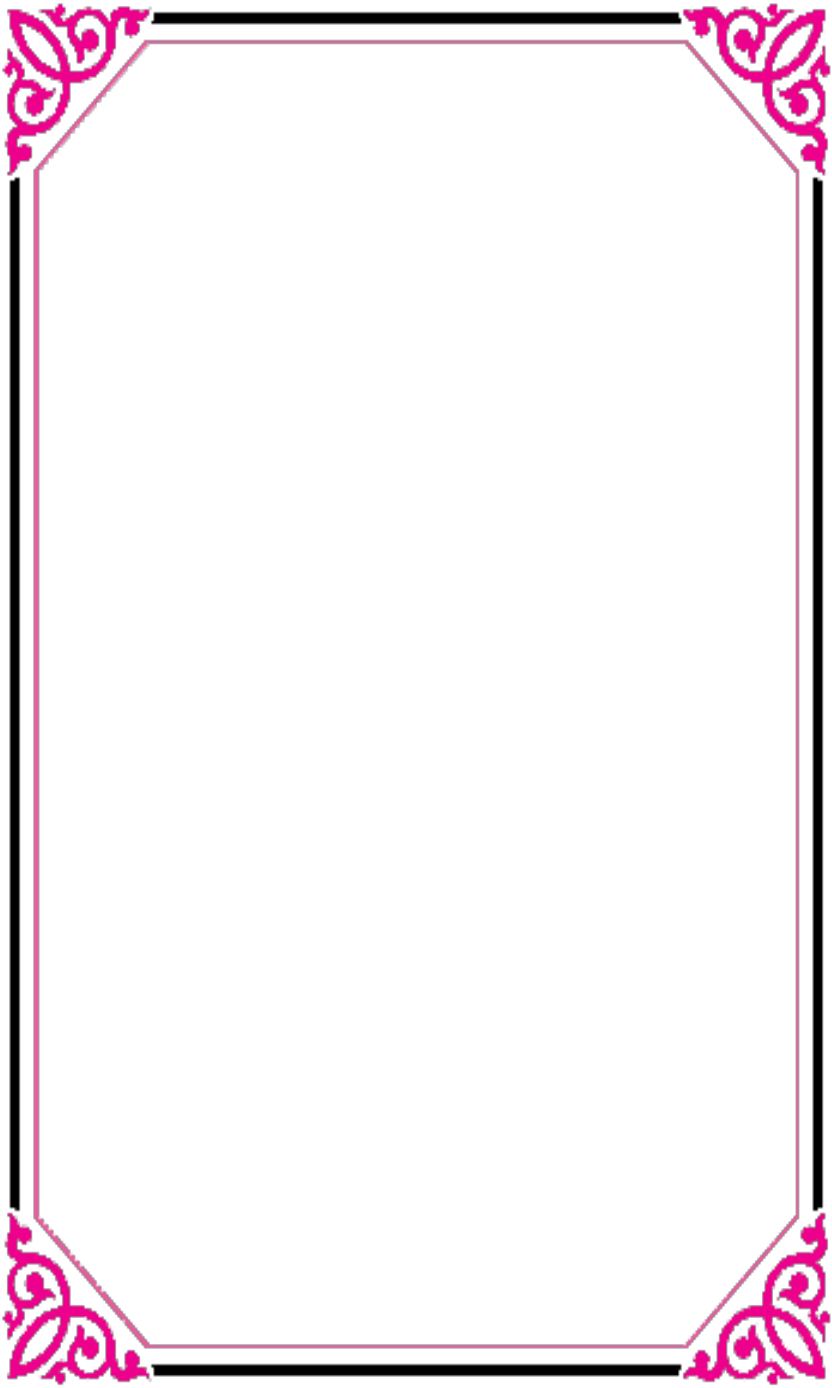

بشائر

أ. د. إياد قنيبي

تعريف بالمؤلف: أ. د. إياد قنيبي

أ.د. إياد عبد الحافظ قنيبي، بروفيسور علم الأدوية
حاصل على الدكتوراه من جامعة هيوستن الأميريكية بترتيب الأول.
مارس بحث الدكتوراه في مركز تكساس الطبي.
مشارك في براءتَي اختراع في مجال التئام الجروح وعشرات الأبحاث العلاجية المنشورة في مجلات عالمية.
وله موقع FixPharma.net للمحاضرات الطبية والصيدلانية.
أصدر كتاب PharMedTerm للمصطلحات الطبية الصيدلانية.
أحد ثلاثة مراجعين أكاديميين لأكثر كتب علم الأدوية انتشارا في العالم، وهو كتاب :
Lippincott Illustrated Reviews: Pharmacology في الطبعة الثامنة من الكتاب والصادرة عام ٢٠١٩.
لديه سند متصل بالقرآن الكريم حفظاً عن ظهر قلب.

تلقى العلوم الشرعية بجهد ذاتي عن عدد من العلماء، وتخرج من دورة صناعة الـمُحاوِر بترتيب الأول.
من أشهر أعماله:
كتب: حسن الظن بالله، رواية إيناس، متعة التدبر، ندى تشتكي لعائشة، بشائر، بهم فاقتدوا، هذا النفاق فاحذروه.
سلاسل مرئية: رحلة اليقين، وهي سلسلة لبناء الإيمان على أسس علمية والرد على الشبهات.
سلسلة (المرأة) التي تعالج قضايا المرأة.
سلسلة الحرب على الفطرة.
للدخول على منصات المؤلف امسح رمز QR

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

من أعظم القربات إلى الله تعالى: تطييب قلوب عباده وبث الاستبشار فيهم، وإشعارهم بعظم مسؤوليتهم وتثبيتهم على الطريق إلى الله، خاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن واشتدت الهجمة على الأمة بل وعلى الفطرة الإنسانية.

ولأجل هذه المقاصد السامية جاء هذا الكتاب، والذي دوَّنتُ فيه خواطر ومعاني استفدتُ منها لنفسي وخاطبت بها إخواني على مر سنين طويلة، ورأيت لها بفضل الله أثرًا طيبًا.

ويأتي هذا الكتاب بعد كتابنا السابق «**حسن الظن بالله**»، والذي كان له انتشار واسع وأثر بليغ بفضل الله تعالى. إذْ أن ذلك الكتاب اعتنى أكثر بالمصاعب والبلايا التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية. بينما كتابنا الجديد هذا يعتني بجانب همِّ المسلم لما يصيب أمته والبشرية من ظلم وقهر. فهو بذلك تكملةٌ لموضوع «**حسن الظن بالله**».

للكتاب محاور ثلاثة:

١ - بشائر: رفع المعنويات وجبر الخواطر وبث الفرح بنعم الله علينا في ديننا، ومحاربة اليأس والحزن الذي يبثه الشيطان في النفوس. وهذا يهيئ للمحور الثاني:

٢- مسؤولية: إشعارك أيها المسلم بالمسؤولية وبعظم قيمتك والأدوار التي تنتظرك، لتنهض وتؤديها بهمة دون كللٍ ولا ملل.

٣- ثبات: التثبيت أمام الفتن التي تعترض طريقك في هذا وتبديد الخوف واستعذاب التضحية في سبيل الله والدار الآخرة.

جعلنا الكتاب على شكل محطات، ليس بينها تسلسل أو ارتباط، وإنما هي أشبه بوجبات روحيّة. ولذلك فإننا ننصح القارئ الكريم أن يقرأ كل يوم محطة واحدة لتكون زاد روحه لذلك اليوم، ولا ننصح أبدًا بقراءته على جلسة واحدة أو جلسات قليلة. فإن ذلك يقلل فائدته، إذْ ليس هو كتاب معلومات في المقام الأول.

نسأل الله أن يتقبل منا ذلك العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون سببًا في نجاة المسلمين في الدنيا والآخرة.

واللهُ ولي التوفيق.

أ.د. إياد قنيبي

المحور الأول

بشائر

كيف أهتم بأمتي دون أن يقسو قلبي؟

كم من واحد منا يقول في نفسه:

يوم أقبلتُ على الله، وجدَتْ روحي أفراحها، لامَسَتْ شعلةُ الوحي زيتَ الفطرة النقيَّ، فكان النورُ الذي أضاء قلبي. أول دمعة مع تلاوة القرآن، أول رحلة عمرة، أول ليلة أقوم فيها لله... وجدتُ فيها نفسي التي لطالما بحثت عنها في أعماقي! فكانت هذه الأشياء تعني لي الكثير. لقد كانت خارطتي هي: (أنا)، وكانت (أنا) تشرب من معين الحياة كل يوم بعد ظمأ سنين الغفلة، فتحس بالرِّيِّ، والأنس والأشواق...

ثم...أدركَتْ (أنا) أنها جزء من الأمة الإسلامية، فتفتحت عيناها على مآسي الأمة!

هنا، بلغت العاطفة وحياة القلب ذروتها! أصبحتُ أحس بكل إخواني وأخواتي على وجه الأرض، كلي حب وإشفاق على إخوتي المضطهدين، وغيرة على حرمات أخواتي المستضعفات، وحنان على الأطفال المشردين. أصبحت خارطتي هي (الأمة)...طموحاتي: إنقاذ الأمة...لن يروي ظمئي غير ذلك!

وعلى رغم الألم، كنتُ في تلك الأيام في ذروة حياة القلب ورقَّتِه وعلوِّ همته واتِّقادِ أمله.

لكن، رويدًا رويدًا...حصل التحول الخطير! لم أجد خارطة الطريق للهدف العظيم (**إنقاذ الأمة**).. أو ربما وجدتها لكن نفسي لم تكن مستعدة بعدُ للسير فيها.

هنا...علِقْتُ في المنتصف! فلا أنا أنقذتُ الأمة، ولا أنا بقيت على حال الطمأنينة والسعادة التي ذقتها أولَ إقبالي على الله!

ما كان من الطاعات يعني الكثير لي بالأمس ما عاد يعني لي شيئا! لأنه لا يؤدي إلى الهدف العظيم (**إنقاذ الأمة**) في نظري...طيب، ألا يصب في صالح نفسي وتزكيتها؟ بلى، لكن خارطتي لم تَعُدْ نفسي، بل خارطتي الآن هي (**الأمة**).

أصبح شعاري: (so what?)! (إيش يعني؟)، (كل هذا لا يفيد)...لأن كل ما كان يبهجني بالأمس لا يؤدي إلى (**إنقاذ الأمة**).

تكاد عيني تبكي مع القرآن أو مع قصة أسمعها، أكاد أفرح لأنني - أخيرًا - سأبكي من جديد!...

لكن يهجم علي صوت: (إيش يعني؟!) ولو بكيت...حررت فلسطين؟! فتنحبس دمعتي.

في صلاتي، أريد أن أستجمع قوتي لأخشع...أخشع؟! ثم ماذا إذا خشعت؟

- أحاول أن أؤدي صلاتي على أكمل وجه!

- يعني هل سيقبل الله منك وأنت قد قصرت في نصرة الأمة؟ تتهرب من واجبك الحقيقي وتريد أن تقنع نفسك أن المطلوب منك الخشوع في الصلاة؟! وبماذا سينفع خشوعُك إخوانَك الذين تحت القصف؟!

- فأستسلم، وأشعر أني (مزوّر)، وتضيع محاولة الخشوع.

- حتى في مباهج الحياة اليومية...ابنتي جاءتني مبتسمة وفي

عينيها بريق الطفولة، فَرِحةً بتعلُّم شيء جديد...أشجعها بفتور بينما أقول لنفسي: (so what?)!، وماذا يفيد هذا التعلُّم وأطفال المسلمين يُقتَلون ويعذبون؟!

بل وأصبحتُ أحقر جهود الآخرين!... داعية يروي قصة مؤثرة فيتفاعل الناس معها في التعليقات، فأعلق أنا: (جزاك الله خيرا يا شيخ، لكن أنتم في واد والمسلمون في واد!...تتكلم عن مكارم الأخلاق بينما إخواننا هنا وهناك يعانون؟!)...آخر يعالج شبهة ليَلْقى الناس ربهم بقلب سليم لشريعته سبحانه فأعلق: (كل هذا لا يفيد! ما لم يكن للإسلام شوكة فستبقى الشبهات تُثار ومعاول الأعداء تهدم ما نبنيه)!

كأنني أصبحت أنا نفسي معول هدم وأنا لا أشعر؟!

باختصار، لقد فقدت (**نفسي**)، ولم أنقذ (**الأمة**)!

طيب ما الحل؟ أعود إلى نفسي وأنسى أمتي؟ وهل يجوز لي ذلك؟

كان هذا تشخيصا لما يحدث مع كثير منا...بَوحًا بالصوت الداخلي الذي نسمعه من أعماقنا.

فهذا حال كثير منا: يهتم لأمته اهتماما سلبيا يقسو معه قلبه. فلا هو حافظ على الفرح بالطاعة كما كان أول هدايته، ولا هو أنقذ أمته.

ما العمل؟

لكيلا تَعْلق في المنتصف بهذا الشكل، تحتاج أن تفعل ما يلي:

١. تُسْلِم لقضاء الله تسليما صادقا غير سلبي:

فالهم بسبب أحوال الأمة يجب أن يكون دافعا للعمل لتغيير هذه

الأحوال. أما عندما يصبح سببا لليأس وازدراء الطاعات فإن ذلك كثيرًا ما يكون مشوبًا بسخط خفيٍّ على القدر!

تذكر أنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وأنه سبحانه لا يفعل شيئًا إلا بحكمة.

لكن، هل يعني ذلك ألا نسعى لتغيير الواقع بحجة أنه مقدَّر؟ لا بالتأكيد. وإنما ألا يكون حزننا مشوبا برفضٍ لقدر الله وشكٍّ في حكمته!

- ارض عن قضاء الله، ثم اسخط على نفسك إن قصرت في إصلاح واقع المسلمين وارض عنها إن أطاعت.

٢. اعرف ما الغاية؟

خطأ كبير أن تجعل الغاية النهائية التمكين للمسلمين في الأرض ثم تحكم على كل عمل لا يؤدي إليها - في نظرك - بأنه عديم القيمة!

بل الغاية الحقيقية هي إرضاء الله، وتتحقق هذه الغاية بطاعته سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١]. وتتحقق بالعبادة بمفهومها الشامل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات:: ٥٦]. وإنما التمكين وقيام الدولة المسلمة ورفع الجور عن المسلمين هو لحراسة الطاعة والعبادة.

نعم، قد نختلف على تحديد الطاعة المثلى والأعظم أجرا، لكن ليس لنا أن نحقر طاعة على اعتبار أنها (لا توصل إلى الهدف)! فهي بحدِّ ذاتها جزء من الهدف.

هذا ما يميز الدعوة الإسلامية التي لام الله نبيه فيها على الانشغال بأشراف قريش عن أعمى فقال له: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عَبَس: ١١ - ١٢] . فجواب سؤال الأعمى المقبل على تعلم الإسلام كان أعظم عند الله قربى من محاولة إقناع من لا يريد أن يسمع ولا يريد أن يستجيب، مع أن في استجابته مظنة رفع الجور عن المسلمين.

وعندما أسلم الغلام اليهودي ثم مات فرح به النبي ﷺ إذ أنقذه الله به من النار مع أن إسلامه عند وفاته لن يمكّن المسلمين من الاستعانة به.

لا نريد أن نصبح كأصحاب الدعوات الأرضية، بأن نجعل التمكين هدفا نهائيا ونحكم بعدها على أعمالنا نجاحا وفشلا على أساسه! فهذه نظرة أرضية ولو ظنناها سماوية بحتة!

قال رسولنا ﷺ: «**لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا**». (صحيح مسلم: ٢٦٢٦)...أيَّ شيء مهما صغر في نظرك، ومن حقَّر طاعاته وطاعات الناس فهو يخالف نهي النبي ﷺ، ويضيف بذلك معصية إلى معصية خذلان المسلمين التي تؤرقه!

نحى رجل غصنا عن طريق المسلمين فدخل الجنة، وسقت امرأة كلبًا فدخلت الجنة، وليس لك أن تزدري أمورا عظمها الله تعالى!

تعليم الناس الطهارة، تعليمهم حديثا، تنقية قلب عبد من شبهة، خشوعك في صلاتك، سعيك على عيالك...كلها تصب في الهدف الأعظم: (**إرضاء الله سبحانه**). فلا يجوز أن تُذم أو تُزدرى.

انظر إلى الطاعات الجزئية على أنها جزء من سعيك لتعبيد الناس لربهم ونهضة أمتك، فكلما رأيت كلمة طيبة وفعلا طيبا اعتبرتها أساسا يُعتمد عليه لبناء حب الله في قلوب العباد وجزءًا من مشروع نهضة الأمة، وحينئذ فلن تحقر من المعروف شيئا.

وإنما الذي يُذم هو ادعاؤك أن هذه الطاعات تغنيك عن نصرة المسلمين ومقارعة الكافرين والمنافقين. فلا تُذمُّ طاعاتُك نفسُها حينئذ، بل يذم عدم تكميلها بالواجبات الأخرى. والفرق بين الأمرين مهم جدا.

الذي يُذم هو ما يمارسه مشايخ السوء الذين يلفتون الناس عن الاهتمام بواجب إنكار المنكر ونصرة المسلمين والسعي لتمكين الدين بإشغالهم ببعض الطاعات والمندوبات. فعلينا أن نقلب هذا عليهم ونجعل هذه الطاعات مقدمة وأساسا للانطلاق إلى سائر قضايا الأمة ونهضتها.

استمد من الفرح بطاعتك القوة على التخلص من تقصيرك، وإياك أن يجعلك تقصيرك تحقر طاعتك، أو يجعلك تقصير الآخرين تحقر من طاعاتهم. لا نتكلم عن التحقير بمعنى استصغار العمل في جنب الله تعظيما له سبحانه، بل عن الشعور باللاأهمية واللاجدوى من هذه الطاعات!

فتحقير الخيرات ذنب يضاف إلى التقصير في نصرة الأمة!

قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم ليتكلّم بالكلمةِ من رِضْوانِ الله ما يظنّ أن تبلغَ ما بلغتْ فيكتب اللهُ لهُ بها رِضْوانَهُ إلى يومِ يلقاهُ**» (سنن

الترمذي: ٢٣١٩)...فبأي حق تحقرها أنت وقد كانت سببا في الرضوان الأبدي السرمدي؟!

بأي حق تحبط عملك أو أعمال إخوانك بغير ما نص الله على أنه يحبط العمل؟ التقصير في نصرة الدين ذنب، لكن من أين لك أنه يحبط العمل حتى تقول: (لا يفيد) أو (على الفاضي)؟! وقد علمت أن أحكم الحاكمين تعالى قد قال:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] إذن، حتى لا يقسو قلبك بعد الاستقامة، سلم لقضاء الله تسليما غير سلبي، واعلم أن الغاية هي إرضاء الله سبحانه وذلك بطاعته وعبادته على الوجه الذي أمر.

٣. اعرف ما المطلوب منك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المَائِدَة: ١٠٥] ، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [النِّسَاء: ٨٤] . ومن ذلك طبعًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا تؤاخذ بإساءات الغير. لكن لا تدع إساءاتهم تثبطك.

الله تعالى يحاسبك على عملك لا على النتائج كإنقاذ الأمة...هذا يمنحك طمأنينة، إذ أنك تطمئن بقدر ما تبذل لا بقدر ما يتحقق على أرض الواقع. نعم، لا بد أن نراجع أنفسنا لماذا لم تتحقق النتائج، وهل كنا مقصرين فنستدرك النقص ونعالج الأخطاء. لكنك تتذكر

في الوقت ذاته أن نجاحك ليس مرهونا بتغيير الواقع، بل يسير معك خطوة بخطوة بحسن اتباعك لرسول الله ﷺ.

ستقول: هذا ما يؤرقني! أني لا أدري ما طريق النبي لأتبعه وسط هذه الاختلافات المنهجية.

أقول لك بداية: تذكر أن المسألة ليست صفرا أو مئة بالمئة، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأَحْقَاف: ١٩] .

إتقانك للطاعات التي تستقلها يؤهلك أن ينوِّر الله بصيرتك لنهج النبي والطاعات المثلى، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مَرْيَم: ٧٦] الإنجازات المرحلية تؤهلك للاصطفاء للمهام العظمى، ولعدم الانتكاسة بعد الاصطفاء. كم من أناس أهملوا قلوبهم وأمراضها، فلما تصدوا لنصرة الأمة انقضَّت عليهم أمراضهم فأساؤوا وزادوا الأمة وبالا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!

اعلمْ أن فاقد الشيء لا يعطيه، فمن لم يُحكم بناء نفسه فلن ينقذ أمته. احرص على نور قلبك لتفيض بالنور بعد ذلك على الناس.

وهذا يتطلب نفسا منشرحة... تحرص على خشوعك وأورادك، تفرح لضحكات صغارك، تأنس بأهلك وإخوانك، تتقن دراستك وعملك.

صناع مجد الأمة لهم آباء أحكموا بناءهم الداخلي فبارك الله في أعمالهم (الشخصية) وكان لهم من بعد ذلك سهم في الخير العميم.

ولا تخف، إخوانك المظلومون سيأخذون حقهم كاملًا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأَنبِيَاء: ٤٧].

والذين أجرموا بحقهم سينالون جزاءهم حتى يعض الظالم على يديه ويتمنى لو تسوى به الأرض ويقولَ يا ليتني كنت ترابًا.

وربك لا ينسى... ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفَجْر: ٢٥ - ٢٦] .... كل العذاب الذي عذبوا به المسلمين سيهون أمام العذاب الذي سيلقونه جزاء إجرامهم.

وسيَجْبُر الله خاطر المظلومين: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المُطَفِّفِين: ٣٤ - ٣٥].

أما هذه الدنيا التي نحن فيها فهي دار بلاء لا دار جزاء...

فانهض ولا تيأس، بل استبشر واعمل ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هُود: ١١٥].

***

هل الإسلام دين الحزن بالفعل؟

من الناس من يظن أن الدين يرتبط بالحزن، وأنه إن أراد أن يفرح فلا بد له أن يتناسى دينه قليلا!

وهذا أحد المفاهيم الخاطئة التي ساهم بعض الوعاظ في نشرها. ويستدلون بكلام عن قدواتنا، من القرون الفاضلة، منها روايات لا تثبت، فلا يصح أن يحتج بها وعندنا من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ما يعارضها.

وما يمكن أن يثبت من آثار عن حزن السلف فيُحمل على أنه بمعنى الخوف، وقد ذكر هذا المعنى العديد من المفسرين في مثل تفسيرهم لقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا

ٱلْحَزَنَ﴾ [فَاطِر: ٣٤] ..(أي: أراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة) (ابن كثير)، فيكون الحزن متضمنا لمعنى الخوف والترقب، وهو بذلك عكس الغفلة التي يعيشها من لا يحسب حسابا للدار الآخرة، أو هو الحزن العارض الناشئ عن سبب خاص، لا أنه الحال الدائم لهم، بل إن هناك أحوالا أمر النبي ﷺ فيها بإظهار السرور كأيام العيد.

لذا، فكلمتنا هذه هي لبيان أن الحزن بحد ذاته ليس أمرا محمودا ولا مطلوبا شرعا. كما أن الفرح بحد ذاته ليس مذموما ولا دليلا على غفلتنا عن الآخرة وعدم اهتمامنا بهموم المسلمين.

سيقول قائل: كيف لا تريدنا أن نحزن؟ ألا ترى أوضاع المسلمين؟

والجواب: إنما يُحمد من الحزن ما كان دافعًا للعمل لرفع الظلم عن المسلمين، وإلا فهم ليسوا بحاجة إلى حزننا السلبي، ذلك الحزنِ الذي ننظر فيه إلى الصور والمقاطع المؤلمة ثم نطلق التنهيدات ونكتئب، ثم تتعكر حياتنا ونحس بالمهانة والفشل لأوضاع أمتنا، وتنكسر همتنا لممارسة مهماتنا في مهننا ودراستنا وعلاقاتنا الأسرية والاجتماعية ونحس فيها باللاجدوى، ثم تتبلد أحاسيسنا. فإذا ما تاقت أنفسنا للفرح أحسسنا أنه لا بد من التغافل عن هموم أمتنا، بل وعن ضوابط شريعتنا ونقول: (كفى كآبةً، كفى نكدًا) - عبارات أصبحت تعني عند البعض: (كفى دينا وكفى إحساسا بالانتساب لأمة الإسلام)! فلا يفرحون بعدها إلا بمعصية الله، لأن الطاعة مقترنة في حسهم

بالكآبة والحزن. وهكذا، في انتظار نكبة جديدة لنجتر عندها حزنا سلبيا مرة أخرى، نقنع به أنفسنا أننا لا زلنا منتسبين إلى ديننا وأمتنا.

وحقيقة الأمر أننا لا بحزننا السلبي هذا أطعنا الله ولا بفرحنا المتفلت من ضوابط الشريعة أطعناه، وعلى الحالين لم ننفع أمتنا.

علينا أن ننظر إلى الحزن والهم بإيجابية على أنها مشاعر مؤقتة، تعدل المسار وتتحول إلى قوة دافعة لننطلق في الحياة بنشاط وشعور بالمسؤولية وترفُّع عن السفاسف. كلما مِلنا إلى حياة الغفلة نتذكر آلام أمتنا فنترفع عن الدون ونتلمس طريق المعالي. حتى إذا قطعنا شوطا أحسسنا بالابتهاج وفرحنا فرحا حقيقيا في محله، فرحا بالطاعة، وليس الضحكات الهستيرية التي يطلقها الغافلون ليقنعوا أنفسهم ومن حولهم أنهم فرحون بينما قلوبهم خاوية.

الحزن محمود إذا تحول إلى وقود يسير في مساربه المناسبة فيدفعك إلى الأمام، فإذا لم تُسَيِّره في هذه المسارب والأعمال المنتجة فإنه يحرقك!

الحزن محمود بمقدار ما يوجد لديك اليقظة ويؤلمك عند التقصير ويعكر عليك لذة المعصية. إذا عصيت أحسست بالذنب والتقصير في حق أمتك وجراحاتها، فتحزن، فيدفعك هذا إلى الطاعة فتفرح بطاعتك. وبهذا تقترن الطاعة بالفرح والمعصية بالحزن، وليس العكس كما هو حالنا الذي ذكرناه!

الحزن محمود بمقدار ما تفلح في تحويله إلى يقظةٍ وعملٍ نافعٍ.

هذا (التحويل) هو شيء استفدت منه في حياتي كثيرًا. تعرضت في حياتي لفتن وشهوات، لكن كانت آلام أمتي تمنعني من أن أرتع فيها مع الراتعين. حبي لإخواني المسلمين المستضعفين وحرقتي

عليهم يمنعني من أن أقع فيما يقع فيه الغافلون.. لا أستطيع أن أخونهم وأغرق في المعصية وأتركهم يعانون...

بل حَرَصنا في بلاد الغرب على الدعوة وإثارة قضايا المسلمين. ولا زال الألم لإخواني المستضعفين والمحبة لهم والإشفاق عليهم من أكبر دوافع دعوتنا التي نرى لها ثمارًا ولله الحمد. ننشر السلاسل لزرع اليقين في النفوس وإزالة الشبهات واستثارة العزة الإسلامية وبث الوعي... وفي ذهننا أن هذا كله سيسهم في رفع الظلم عن إخواننا وأخواتنا واستعادة عز المسلمين.

فمن أعظم ما ينعم به الله عليك أن تحول المشاعر السلبية إلى قوىً دافعة إيجابية:

١. تحول الألم على أوضاع المسلمين إلى ترفُّعٍ عن الغفلة وطلب لطريق النجاة بطول نفَس.

- بينما يريد شياطين الإنس والجن أن يحولوا ألمك إلى انكسار ويأس وشبهات في الدين.

٢. تحول خوفك من الظالمين إلى لجوء إلى الله وإصلاحٍ لعلاقتك به سبحانه لتثق بمعيته ونصره لك.

- بينما يريد الظالمون أن يتحول خوفك إلى استسلام وذل لهم وطاعتهم في معصية الله!

٣. تحول تفكيرك في الموت والقبر إلى همة في تعمير بيتك الذي أنت منتقلٌ إليه (القبر) بروحٍ طيبة ونفسٍ يقظةٍ منشرحة ليكون روضة من رياض الجنة ، بينما يتصور البعض أن ديننا يطلب منا التفكير في الموت والقبر بطريقة تعكر علينا حياتنا وتضفي عليها الحزن الدائم!

٤. تحول ندمك على ما فات من أوقاتٍ ضيعتها إلى جِدٍّ في استثمار بقية عمرك، لئلا يتحول الندم إلى إحباط وتخاذل وحسدٍ لمن سبقوك.

إنه دين الإيجابية، دين نبينا ﷺ القائل: «**احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» (رواه مسلم ٢٦٦٤).

نعم، (لو) تفتح عمل الشيطان، تفتح عليك باب الندم السلبي، واليأس والإحباط والشبهات والشك في رحمة الله... فاستعن بالله ولا تعجز، وحول كل حدث سلبي إلى قوة دافعة إيجابية.

ليس الحزن أمرا مطلوبا شرعا، ولا ينبغي أن يقترن في حسنا بالدين، وحديث أن النبي ﷺ كان متواصل الأحزان، ليس صحيحا، وقد قال عنه ابن القيم في مدارج السالكين: (إنه حديث لا يثبت وفي إسناده من لا يعرف).

ولابن تيمية رحمه الله كلام جميل في الجزء العاشر من الفتاوى قال فيه: (وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين)..

يعني لا تبرر لنفسك بأن حزنك ليس من أجل نفسك، بل لأوضاع المسلمين. -حتى هذا لا يبرر لك غلبة الكآبة عليك باستمرار- لاحظ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٣٩] هذا بعد معركة أحد وما تعرض له المسلمون فيها من مصائب، ومع ذلك يقول الله لهم: ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النَّحل: ١٢٧] وقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦]

يعز على النبي أن يكفر الناس ويرفضوا دعوته فيأتيه الأمر من الله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النَّمل: ٧٠] وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَة: ٤٠]. وغيرها من الآيات.

قال ابن تيمية: (وذلك لأنه - أي: الحزن - لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة، فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به).

ثم بين رحمه الله أن الحزن لا إثم فيه ما لم يقترن بإثم أو تسخط.

ثم ختم ابن تيمية كلامه بقوله: (ولكن الحزن على ذلك - يعني مصائب المسلمين- إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نُهِيَ عنه).

نعم، هذا هو الحزن السلبي الذي ننهى عنه، الحزن الذي يحطم المعنويات ويقعد عن العمل المنتج، هذا هو الحزن الذي يريده أعداؤنا لنا !

لذا، فإن من مقاصد الشيطان إدخالَ الحزن على المؤمنين. ومن مقاصد الشريعة إدخالُ الفرح والسرور على المؤمنين. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المُجَادلَة: ١٠]

من مقاصد أولياء الشيطان أن يوقعوك في الحزن والمشقة. قال تعالى فيهم: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٨]، أي يتمنون لكم العنت والمشقة.

وتأمل هذا الكلام لابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين وباب السعادتين (ما بين قوسين توضيح لكلامه):

يقول الإمام ابن القيم: والمقصود أن النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه، وذلك لأن الحزن يضعف القلب ويوهن العزم ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره.

والثواب عليه ثوابُ المصائب التي يبتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما. وأما أن يكون عبادةً مأمورا بتحصيلها وطلبها فلا. ففرقٌ بين ما يثاب عليه العبد من المأمورات وما يثاب عليه من البليات. (يعني أن المؤمن يثاب على الحزن الناشئ عن بلايا لقوله ﷺ: «**ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ**» (صحيح البخاري: ١٤٦٥). لكن لا يعني هذا أن يتسبب الإنسان لنفسه بالحزن تعبُّدًا، ولا هو قربى إلى الله).

ويتابع ابن القيم فيقول: ولكن يُحمد في الحزن سببه ومصدره ولازمه لا ذاته. (أي قد يكون الحزن دلالة على أعمال قلوبٍ عند المؤمن هي التي يُحمد عليها، لا على الحزن ذاتِه). فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته، وإما أن يحزن على تورطه في مخالفته ومعصيته وضياع أيامه وأوقاته، وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه وعلى حياته، حيث شَغَل قلبه بمثل هذا الألم فحَزِن عليه. ولو

كان قلبه ميتا لم يحس بذلك ولم يحزن ولم يتألم، فما لجرح بميت إيلام. وكلما كان قلبه أشد حياة كان شعوره بهذا الألم أقوى.

ولكن الحزن لا يجدي عليه، فإنه يضعفه كما تقدم، بل الذي ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر ويبذل جهده.انتهى كلامه. (أي حتى وإن كانت دوافع الحزن محمودة في هذه الحالة، وهي يقَظة القلب واستشعاره المسؤولية، لكن عليه ألا يقف عند مرحلة الحزن، بل يحوله مباشرة إلى قوة وأمل وانطلاق ليعوض تقصيره باستبشارٍ واستعانة بالله تعالى).

في المقابل، إدخال السرور على المسلم من مقاصد الشريعة. في الحديث الذي حسنه الألباني جعل النبي أول عمل في أحب الأعمال إلى الله: «**سرور تدخله على مسلم**».

هل تجد آية واحدة أو حديثا واحدا يأمر بالحزن أو يمدحه؟ بل تجد أن نبي الله ﷺ كان يستعيذ بالله من الهم والحزن: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ**» (صحيح البخاري ٦٣٦٩)، ويعلمنا أدعية تذهب بالحزن.

لن تقوم قائمة الإسلام على أكتاف أناس حزينين مكتئبين بؤساء! وعندما نستعرض ما فعله أسلافنا الذين يُنسب إليهم الحزن الدائم على لسان بعض الوعاظ، عندما نستعرض إنجازاتهم العظيمة في فترات وجيزة، فتحوا البلاد وجذبوا الناس إلى دين الله وتفوقوا في العديد من مجالات الحياة...نخلُص إلى نتيجة أنه من المستحيل قطعًا أن من قام بهذا كله أصحاب نفوس تسيطر عليها الكآبة!

عندما نستعرض حياة الشخصيات التي كانت الأكثر أثرًا في تاريخ المسلمين نجد وصفها بطمأنينة النفس وانشراح الصدر وطلاقة المحيى والبسمة الهادئة على الشفاه عميقة الجذور في القلب...

شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قضى كثيرًا من حياته في السجن، بل وتوفي في السجن، وكادَ له اعداؤه وافتروا عليه، وكان من أكثر الناس غيرةً على حرمات الله وشعورًا بهم الأمة، وعاصر مجازر التتار. هذه الظروف كلها ما اقتلعت البسمة من شفتيه. فقال ابن القيم واصفا شيخه ابن تيمية:

(وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق. وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتدَّ بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينا وطمأنينة، وكان يقول: (إن في الدنيا جنّة من لم يدخلها لا يدخل جنّة الآخرة). فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها).

قال نبينا ﷺ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا**» (صحيح البخاري ٩٦)... عامة الناس لا يجذبهم شيء إلى دين الله مثل أن يروا بسمات الطمأنينة والرضا على وجوهنا، ولا ينفرهم عن دين الله شيء

مثل أن يروا وجوهنا كئيبة كأنها تروي للناس قصة صفقة (خاسرة) دخلناها مع الدين حاش لله!

الفرح هو الذي يجب أن يقترن بالطاعة والتدين، لا الحزن المستمر. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النَّحل: ٩٧].

الاستبشار هو الذي يجب أن يقترن بالطاعة. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يُونُس: ٦٢ - ٦٤].

نعيم الروح هو الذي يجب أن يقترن بالطاعة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفِطَار: ١٣ - ١٤] .

قال ابن القيم: (هذا في دورهم الثلاث ليس مختصا بالدار الآخرة وإن كان تمامه وكماله وظهوره إنما هو في الدار الآخرة وفي البرزخ دون ذلك. فالأبرار في نعيم في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة. والفجار والكفار في جحيم في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة).

نعم، الفرح هو الذي يجب أن يقترن بالطاعة والتدين. فالله تعالى أمر بالفرح ونهى عن الحزن. أمر بالفرح فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يُونُس: ٥٨] .

أما قول قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القَصَص: ٧٦]. فلا يعني ذم الفرح عموما، بل فرح الكبر والغطرسة والاستعلاء. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غَافِر: ٧٥] .

أي: بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي.

خلاصة القول إخواني، الإسلام دين الفرح، ليس الفرح الأهوج الفارغ المصطنع، بل الفرح بالطاعة والمباح. والحزن لا يسقط عنّا شيئا من واجباتنا تجاه ديننا وأمتنا. فلا يحسن بنا أن نشحن أنفسنا بمزيد من الحزن، بل أن ننطلق لخدمة ديننا بهمم عالية وأرواح مشرقة ونفوس مستبشرة، وندافع الحزن بالأخذ بأسباب دفعه. فإنك ترى في بعض المواضع التي فيها نهيٌ عن الحزن ذِكرًا أيضًا لما يدفعه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَة: ٤٠] ، فنعمل على ما يحقق لنا معية الله تعالى فندفع الحزن بذلك.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النَّحْل: ١٢٧ - ١٢٨] ، فندفع الحزن والضيق بالتقوى والإحسان.

***

أحمد الله أني ولدت في هذا الزمان!

في مصلى العيد، نظرت إلى الخطيب يقف على مستوى مرتفع قليلا وأمامه عدد كبير، تصورت مشهدًا شبيها ليوم القيامة: تصورت رسول الله محمدا ﷺ وحوله أمته ممن سيدخلون الجنة.

قلتُ في نفسي: أمة محمد... من مات منهم عبر القرون، وأهل

هذا الزمان، ومن سيأتي بعدهم... تعدادهم بالمليارات!

فإذا تحلَّقوا حول النبي ﷺحلقة بعد حلقة... في أية حلقة سأكون؟!

- هل سأكون في أطراف الأطراف؟ أبصر رسول الله ﷺ كما أبصر النجوم الزاهرة من بعيد؟

- أم سأكون أقرب... أكاد أميز ملامحه وأسمع نبرته دون تمييز كلماته؟

- أم سأكون قريبا... تملَّى من وجهه الأزهر الذي يبرق من السرور بنجاة من نجا من أمته. وهو الذي إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة قمر كما صح في الحديث...فأرى وجهه وأسمع كلامه مفهوما كلمة كلمة..

- قد يقول قائل: (وهل سيكون هناك اجتماع حول النبي ﷺ يوم القيامة؟)، فأقول لك: ألم تسمع قوله ﷺ: «**إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ ... وإنَّ أبغَضَكم إليَّ وأبعدَكم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ...**» فهناك قرب وبعد.

- فأين سأكون في هذه الحلقات؟!

- لو أني ولدت في عصر من عصور عزة الأمة وقوتها... فلعل طمعي في حلقة قريبة من المصطفى ﷺ سيكون أقل!

- أمَا وقد ولدت في هذا الزمان الصعب، فإذا أنعم الله علي بالثبات على ديني واستعملني في تثبيت غيري، وفي بث الاعتزاز بالإسلام في نفوس أبناء المسلمين... فلماذا لا أطمع؟!

- لماذا لا أطمع؟ وأنا أسمع قول النبي ﷺ: «**عبادةٌ في الهرْجِ و الفتنةِ كهجرةٍ إليَّ**». (صحيح الجامع ٣٩٧٤). فيكون عملي في الدنيا الذي هو كالهجرة سببًا في أن (أهاجر) إلى حلقة قريبة منه يوم القيامة.

- أحمد الله على أني ولدت في هذا الزمان، على صعوبته، وعلى أحزانه، وعلى كل ما فيه... فهذه هي نفسها أسباب تطمعني في القرب من نبيي ﷺ يوم القيامة.

- ويكفيني طمأنينة في ذلك أنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] وأن (المعونة تأتي من الله على قدر المؤونة)، فمن ماذا أخاف؟

- فاستبشروا إخواني، ودعوا عنكم عبارات الألم والتَّشَكِّي من الواقع... بل هذا الواقع الأليم هو فرصتكم! لتحجزوا لكم مكانا قريبا في حلقة قريبة من النبي ﷺ.

- فهل من مُشَمِّر؟!

***

في بدايات شبابي

في بدايات شبابي كان في القلب خوف من الله ومحبة له. لكن جانب الخوف كان غالبًا... ويساورني الشعور بالزَّيْف والخوف من السقوط في الابتلاءات... فعرَّضني ربي سبحانه لابتلاءات، وكان في كل مرة معي يصبرني، يَحُفُّني برحماته، يُحَمِّلني من البلاء بقدر ما أطيق ولا يزيد، وإذا صلُب عودي يؤهِّلني لاختبار أكبر، ويجعل في

بواطن البلايا تنفيسات ومنحًا ومبشرات، ثم يظهر للناس مني ما يُحمد ويستر ضعفي...

لم تأتِ اللحظة المرتقبة التي كنت أخشاها... لحظة تخلي الله عني لذنوبي وزلَّاتي وعلَّاتي... بل تمر الأيام فلا يأتيني من ربي إلا مزيد إنعام وستر ولطف ورحمة... وعلمتُ أنه ألطف وأرحم وأرفق وأحلم مما ظننت. حتى أحببته لصفاته العظيمة تلك و وازنَ حبُّه الخوفَ منه سبحانه...

ترى الطفل يلقيه أبوه في المخاوف... يقيمه على رجليه ليتعلم المشي بعد الحبو... يلقيه في الماء ليتعلم السباحة. وفي كل مرة يقيل عثرته ويمد إليه يد العون... فيحب الطفل أباه الذي يخيفه ليعلمه ويقوي عوده ويرقيه في المراتب... يمشي وعلى وجهه خوفٌ مختلط بابتسامة وسرور، وفي صدره قلبٌ يخفق بحب أبيه المربي المعلم.

ولله المثل الأعلى.

درسٌ ما كنت لأتعلمه، وحبٌّ ما كنتُ لأتشرَّبه لولا البلايا... ولا والله ما أحب أني عوفيت ولم أنل هذه العطايا...

أيها الناس، أحبوا ربكم و ثِقوا برحمته وحكمته وتربيته لكم...

ويا رب لك الحمد، ملء جوانحي وكياني، وملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد.

أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عملٍ يقربني إلى حبك.

***

ما حكم تارك الصلاة؟

سئل الشيخ محمد الغزالي: ما حكم تارك الصلاة؟ فأجاب: أن تأخذه معك إلى الصلاة.

إجابة جميلة تحتاج وقفة. لم يكن الشيخ يجهل ما يقصده السائل، فهو يريد أن يسمع: (تارك الصلاة كافر)، أو (مش كافر) أو (فاسق)...

لكن الشيخ وجَّه السائل لصبِّ جهده على إصلاح حال تارك الصلاة بتليين قلبه وترغيبه وترهيبه ليذهب معه إلى الصلاة.

شباب أمة محمد ﷺ تزداد قناعتي يومًا بعد يوم بخيريتهم وقربهم من الصلاح وإقرارهم بأحكام ربهم إذا قدمت لهم الدعوة بلا مداهنة ولا مكياج ولا تزييف للدين، وفي الوقت ذاته مع تفهم لآلامهم وآمالهم والتضليل الذي عانوا ويعانون منه، وثقة بالفطرة التي أودعها الله في نفوسهم.

تصدر من كثير منهم تصرفات وأقوال خطرة جدا على دينهم. حتى قد يظن الرائي أن الضلال عميق في نفوسهم.

لكن... انفض الغبار عن فطرتهم، ذكرهم بالوحي، أظهر لهم الحرص على خيرهم، أحسن خطابهم، راعِ الأولويات، استثرْ لديهم محبة الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله، غير راجٍ في ذلك منهم أجرًا ولا جاعلٍ أهواءهم تقود خطابك. وانظر إلى العجائب بعد ذلك!

نفور من الشريعة ينقلب حبًّا وتعظيمًا، وإن تأخر امتثالهم لها أحيانًا، لكن يقرون أنه عن ضعف منهم...

معاصٍ منكرةٌ أدمنوها. في لحظةٍ يحلفون ألا يعودوا إليها لمَّا عظُم حب الله في قلوبهم فغلب حبَّهم لها... قد ينكثون أيمانهم ويعودون. لكن إذا ذُكِّروا يتوبون وفي طريق الله يسيرون وإن كانوا عُرجاً ومكاسير!

وإني إذْ أرى من ذلك المثال تلو المثال والموقف تلو الموقف لأستحضر مشهد نبينا ﷺ إذ قال: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى. فأرسل الله له جبريل عليه السلام ليطمئِنه: «**اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ، ولا نَسُوؤُكَ**» (صحيح مسلم ٢٠٢)...لا نسوؤُك: يعني لا نُصيبُكَ فيها بما يُلحِقُ بكَ الحُزنَ والأذى.

لن تضل أمة محمد ضلالًا بعيدًا بحيث يُساء نبيها ﷺ بمصيرها يوم القيامة... بل سيكون في كل عصر من عصورها خلقٌ كثير يُسر بهم بل ويباهي الأمم يوم القيامة.

نعم، معرفة حكم من يفعل كذا ومن يقول كذا، وفيما إذا كان وقع في ناقض من نواقض الإسلام أم لا... معرفة ذلك مهمة لأنه ينبني عليها أحكام شرعية ومعاملات. لكنها يجب أن تكون الخطوة الأولى لاستصلاح حال المخطئين بحرص كحرص النبي الذي تنتمي إليه ﷺ وهو يقول: «**اللهم أمتي أمتي**».

أما الوقوف عند إصدار الأحكام فقد أحدث فجوة وقاد طوائف إلى الغلو في التكفير والتفسيق وما زاد عموم شباب الأمة إلا رهقا ونفورًا.. وقاد في المقابل طوائف إلى تمييع وتهوين من شأن كبائر وموبقات. والخاسر في الحالين: شباب الأمة!

اعملوا لإصلاح حال الأمة... وأيقنوا أنكم منتصرون...

فمعكم: فطرةٌ أودعها الله في نفوسهم، و وحيٌ محفوظ يخاطب هذه الفطرة، وبشرى من الله أن هذه الأمة لن تسوء نبيها ﷺ إذ أن الله تعالى سيكرمه فيها.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصَّف: ٨ - ٩].

***

لا بدَّ أن نفرح!

لا بد **أن نفرحَ**. نعم، لا بد **أن نفرحَ!**

حتى وإن دخل عليك الهم لحدَث عارض، فالحالة الافتراضية (default) التي تناسبك كمسلم هي أن: تفرح وألا تدع الهمَّ ينسيك الأسباب الكثيرة التي تدعو إلى الفرح..

لأن الله امتنَّ علينا بنعمة الإيجاد، ولا يمكن أن يمتن علينا بشيء هو تعاسة وشقاء، فلا بد أن وجودنا في هذه الحياة نعمة تدفعنا إلى **أن نفرحَ**...

لأن الله اختارنا من بين جموع البشر لنكون من عباده وأتباع نبيه ﷺ فلا بد **أن نفرحَ**...

لأننا نحسن الظن بربنا... يجب **أن نفرحَ**...

لأن المتتبع لسيرة الحبيب ﷺ لا يمكن أبدا أن يجد كلمة توحي باليأس ولا موقفا يحمل في طياته التشاؤم... بل هي الإيجابية والتطلع إلى الأمام...

فلنا في رسول الله أسوة حسنة، لذا يجب **أن نفرحَ**...

لأن النفس التي تلازمها الكآبة لا تعمر الأرض ولا تحقق الاستخلاف، فلا ينبغي أن نكتئب، بل: **نفرح**...

لأن الناس لن يُقبلوا على دين الله أفواجا إن رأونا، نحن أصحاب هذا الدين كئيبين... فكل إنسان إنما يبحث عن منهج الحياة الذي يحقق له السعادة وراحة البال... فإن لم يجدها الناس في وجوهنا فلن تجذبهم دعوتنا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فلا ينبغي لنا أن نصد عن سبيل الله بعبوس وجوهنا وقساوة ملامحنا، بل لا بد أن نبتهج ويظهر ابتهاجنا، ولا بد من أعماقنا **أن نفرحَ**...

لأن أعداءنا يريدون لنا أن نحزن، ويريدون أن يحطموا معنوياتنا، ويعز عليهم أن يروا بسمات الأمل على شفاهنا، ولأن الله كتب الأجر في إغاظتهم قائلا عن المؤمنين: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ [التَّوۡبَة: ١٢٠].. فيجب أن نغيظهم ويجب **أن نفرحَ**...

لأن بين أيدينا كتابَ الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا، فمن باب أولى أن يجلو صدورنا ويذهب بهمومنا وأحزاننا فهو ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يُونُس: ٥٧]... فيجب **أن نفرحَ**.

لأن الله الذي بيده القلوب إن شاء أن يسعد عبدا فلن تستطيع قوى الأرض كلُّها أن تتعسه... ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ [فَاطِر: ٢]. وقد رأينا صور أطفال هشمت رؤوسهم ولفت

بالشاش الطبي ومع ذلك يبتسمون ويرفعون شارات النصر... لذا، يجب **أن نفرحَ**...

لأن مصير كل موحد إلى الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه... يجب **أن نفرحَ**...

لأننا ننتظر أن ندخل جنة غمسةٌ فيها تجعل أشد الناس بؤسا يقول: (لا والله يا رب! ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)... فلا بد **أن نفرحَ**...

لأننا نستطيع أن نكون أعز الناس على وجه الأرض... بأن نطيع ربنا حتى نكون أولياءه، نجده تجاهنا، إن سألناه أعطانا وإن استعذنا به نجانا، وهو تعالى يؤذن بالحرب من عادانا...فحُقَّ لنا أن نفرح...

لأننا الأمة المرحومة التي قال الله تعالى لنبيها ﷺ: «**إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ، ولا نَسُوءُكَ**»... (مسلم ٢٠٢) يجب أن نفرح...

لأن رسول الله ﷺ كان يفرح حتى يستنير وجهه، ويفرح حتى يتهلل وجهه كأنه مُذهبة، ويفرح حتى تبرق أسارير وجهه، ونحن مأمورون باتباعه... فلا بد أن نفرح...

لأن أمر المؤمن كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن...فيجب أن نفرح...

لأن رسول الله ﷺ قال: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا**» (صحيح البخاري ٦٩)...فيجب أن نستبشر ونُبَشر ويجب أن نفرح..

لأنه -حتى وإن تفوق أعداء الإسلام بالسيطرة الجوية- فالله تعالى في هو القاهر فوق عباده...يجب أن نفرح...

لأن اليأس من صفة الكافرين ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧] ... والقنوط من طبع الضالين ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجْر: ٥٦] ... فلا يجوز أن نيأس ولا أن نقنط، بل يجب أن نفرح...

لأن التبسم في وجوه الناس صدقة... فعلينا أن نبتسم، وأن نفرح...

لأن الله تعالى يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونُس: ٦٢] ... فلا نحزن، بل نفرح...

ولأنه تعالى قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يُونُس: ٦٤]. فلنا في الدنيا والآخرة أن نفرح...

لأن لنا ربًّا خلقنا ليرحمنا، وما يحب أن يعذبنا: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٧]. فهو سبحانه غني عن أن يطلب منا أن نعذب أنفسنا بأنفسنا... بل حُقَّ لنا أن نفرح...

لأن لنا ربا رحيما كريما يتحبب إلينا ويقول لنا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأَحْزَاب: ٤٣ - ٤٤].. فحُقَّ - والله - لمن يؤمن برب هذه رحمته وهذا كرمه وهذا تحبُّبه أن يفرح...

لأننا نؤمن برب نناجيه في لحظة فيغفر الذنوب جميعا ولا يبالي... فيجب أن نفرحَ...

فيا مَن تحمل هم أمتك... ابتسم!

أعلم أن هذا قد يكون صعبًا مع ما نمرُّ به، لكن تذكر أن عبوسك لن يُغيث منكوبًا ولن يدفع عدوًّا ولن يهدي عاصيًا.

بل سيجعلنا نخسر مساحات من قلوب أبناء أمتنا لصالح عدونا وعدوهم...

عدونا يفعل بنا ما يُفَطِّر كلَّ قلبٍ حيٍّ، ثم يرصد ملامح عبوسنا ليصورنا للناس قُساةً جُفاةً ويقول لهم: مع الدين وأهله الحزن والنكد والغم، وعندي الفرح والبهجة فتعالوا... فيطمس هوية أبناء المسلمين ويمسخ عقولهم ويُفسد أخلاقهم...

فلا تعطِ عدوك الفرصة، بل تَصَنَّع الابتسامة، واحتسب في هذا التصنع الأجر كما تحتسبه في اهتمامك بأمر أمتك.

لابد لسطوة الظالمين من زوال، (والعاقبة للمتقين).

وختاما... لأن لنا ربا يأمرنا **أن نفرح** فيقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يُونُس: ٥٨] ...فيجب ولا بد ولا ريب، ولا بديل لنا عن **أن نفرح**...

***

حالة الطوارئ!

كثير ممن يهتم لأمر أمته في أيامنا يعيش حالة طوارئ مستمرة... بحيث لا يستمر في عمل طويل النفَس بحضور ذهن وقناعة بما يفعل... لأنه يحس دائماً مع رؤية الأخبار المؤلمة أنه (يجب عمل شيء

بسرعة)، (الوضع لا يتحمل)، (الطوفان آتٍ)، (الدور علينا)...

فإذا دخل الجامعة ليتخصص في علمٍ أحس في قرارة نفسه أنه (يضيع وقته)...

وإذا سجل في دورة شرعية، أو قرأ كتابًا في تربية الأبناء أحس أنه (يتهرب من مسؤوليته تجاه أمته)، وقال في نفسه: المسلمون في هذا البلد أو ذاك من البلدان المنكوبة فيما هم فيه، وأنا أنشغل بهذا الموضوع؟! بماذا سينفعهم؟ كيف سيُسْهم في إنقاذهم؟!

وإذا لعب مع أولاده أحس بـ (الخيانة لأبناء المسلمين المنكوبين)!

وهكذا... أكثر الوقت لا قناعة لديه بما يفعل...

ويُنَفِّس عن أحاسيسه هذه بأن يَشْغل نفسه بالأخبار ولو انشغالًا غير نافع. يتابع، يتحسر، يسب، يغضب، ثم...لا شيء!

والنتيجة: شلل في التفكير، وحالة طوارئ تنعكس على نفسيته وتعامله مع والديه وزوجته وأبنائه ومع الناس عموما، وعلى إخفاقه في دراسته أو عمله، بل وعلى دينه وعلاقته بربه.. ليس صاحب نفسية منشرحة مطْمئِنة.. وإذا كان صاحب مظهر ملتزم نفر الناس عن الالتزام!

ويُترك النجاح والتفوق لغيره ممن أفكارهم مشوشة تجاه القضايا الحاسمة في حياة الأمة كمرجعية الإسلام ووجوب الانحياز إليه في حربه مع استعباد النظام الدولي للعباد، بل وحتى أساسيات الإسلام كالوجود الإلهي وصحة النبوات والقرآن... ممن أفكارهم مشوشة

أو قد حسموا أمرهم في الاتجاه الخاطئ تمامًا! أو اختاروا الانحياز لقوى الإفساد في الأرض... ويصبح هؤلاء هم قدوات المجتمع (الناجحين) في تعريف الناس والمؤثرين فيه. ويحتاجهم صاحب (حالة الطوارئ) في دراسته، وتوظيفه وعلاجه، ويقرأ أبناؤه رواياتهم ويتابعون نتاجهم ويتأثرون بشخصياتهم!

ما أحوجنا في مثل هذا الظرف إلى التعلم من نموذج ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

عصرهما كان شديد الشبه بعصرنا من نواحٍ كثيرة... اجتمع على المسلمين فيه التتار من المشرق (كروسيا اليوم)، والصليبيون من المغرب (كالدول الغربية اليوم) والروافض والقرامطة والحشاشون من داخل بلاد المسلمين (كطوائف الروافض اليوم)، بينما المسلمون في غاية الفرقة والتناحر. وحاول التتار التلبيس على المسلمين بتحكيم الياسق الذي يَعتبر الشريعة الإسلامية (أحد مصادر التشريع) كما هو الحال اليوم...

إضافة إلى ذلك بلغت الانحرافات الفكرية والعقدية ذروتها في ذلك العصر، وهي تتقاطع مع الدعوات (الحداثية) و(العلمانية) اليوم، ونَشَر الفلاسفة شبهاتهم حول الإسلام ولبَّسوا على عموم الناس كما في الدعوات التشكيكية والإلحادية اليوم.

كان الوضع صعبًا ومُحبطًا للغاية. بل ابن تيمية نفسه شُرِّد في صغره هو وأهله؛ هروبًا من تغوُّل المغول...

فهل أصيب ابن تيمية بـ(شلل التفكير)؟

بل تصدى لهذه الجبهات جميعًا. وعلَّم وألف في كل ما ينفع المسلمين! فمن يقرأ له مبحثًا في العقيدة، أو الفقه، أو الأصول، أو التفسير يحس أنه أمام شخص مُرَفَّهٍ تتوفر له الخدمات ولا عمل له إلا التأليف والتعمق في المسائل العلمية، فيكتب بنَفَس طويل وتأمُّلٍ عميقٍ، علمًا بأنه كان ما بين حبس السلاطين وتهديدهم وفرية خصومه وتأليب العوام عليه، ومات محبوسًا.

تصدى ابن تيمية لكل الانحرافات الفكرية في زمانه ورد على كل أنواع المبطلين (رد على الملحدين في زمانه بالمناسبة)، ولم يقل: (كيف أكتب في هذا الأمر أو ذاك مع سوء أوضاع المسلمين وتكالب أعدائهم عليهم؟)... لم يصب بشلل التفكير، بل ترك تراثا ضخما غزيرا فريدا نهل المسلمون منه وينهلون ولا يستغنون عنه لثمانية قرون حتى الآن، حتى استحق بحق أن يسمى: شيخ الإسلام.

طبعًا، لم يُهمل ابن تيمية جانب الجهاد، بل جاهد بنفسه وحرض على الجهاد...لكنه قبل ذلك لم يجلس متجمدا لا في العير ولا في النفير يحقر العمل في جوانب الإسلام الأخرى كما هو حال أكثرنا اليوم.

وكذلك كان تلميذه ابن القيم، الذي تعجب وأنت تقرأ له في الرقائق حين تذكر الظروف المأساوية التي كُتبت فيها هذه المؤلفات الرقيقة الجميلة العميقة!

نعم.. لا بد أن تهتم لأمر أمتك. لكن حول همَّك هذا إلى هِمَّةٍ، حول شعورك بالمسؤولية إلى ترفع عن الغفلة.. واحتسب الأجر وخدمة الإسلام في كل علمٍ تتعلمه، وكل بسمة تبتسمها في وجوه

الناس وإن كنت متألماً، وفي كل لعب تلعبه مع أولادك لتقوي علاقتك بهم وتأثيرك عليهم وتنشئهم أصحاء نفسيًّا. وفي إعطاء كل ذي حق حقه...

كم مرة رأيت هذا كلامًا مستفزًّا و(تلهيةً) وقلت: (نريد عملا عاجلا لإنقاذ إخواننا)؟... كم مرة قلتها مع كل مصيبة جديدة للمسلمين؟! هل أنجدتهم بعمل عاجل بالفعل؟ أم هي مجرد ثورات عاطفية ثم لا أنت نفعتهم ولا تداركت نفسك ومن حولك، وجلست تنتظر دوركم؟!

اعلم أن المعركة طويلة. تحتاج نفَسًا طويلًا، وعملًا مشاريعيًّا، وبناءً بطيئًا، وأنك تحتاج لهذا كله نفسية متوازنة، فلا تحرقها بـ(حالة الطوارئ).

لن يتركك أعداؤك، وسينهشون من جسدك ويرمون الحجارة على بنائك، ويضعون العراقيل في طريقك، ويحرصون على تعريضك وأمتك لقوس أزمات لتيأس وتستسلم عن المحاولة..

لا تدعهم يغلبونك! بل اصبر.. وسيجعل مكرهم لصالحك: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وتكون أنت بإذن الله قضاء الله الغالب: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢١].

***

كانت نقطة تحول هائلة في حياتي!

ولأني أحب لكم الخير كما أحبه لنفسي أشاطركم إياها:

كنت من قبلُ إذا تعرضت لمنغصات في حياتي أو رأيت الظلم والألم الذي يعاني منه البعض، جاءني سؤال: لماذا؟ لماذا قُدر هذا القدر؟

ما عندي من (قناعات عقلية) كان يسعفني ليُسَكن القلب، فأستحضر عظمة الله وحكمته وأقول لنفسي: لا بد من جواب وإن لم أَعْلَمه.

ثم لم يعد سؤال (لماذا) يخطُر إلا على سبيل تأمل ما يمكن معرفته من حكمة الله تعالى في أقداره...

وسُد باب التساؤل عن أقدار الله فيما عدا ذلك!

فكان بعد نقطة التحول هذه: الخير العظيم والنفع المتعدي لغيري.

هذا التحول لم أُرزقه إلا بالتعرض لبلاء شديد... علمت معه معنى العبودية، ومقام الألوهية، وحاجة العبد المضطر إلى الرب العظيم.

بلاء فهمت معه: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التَّوْبَة: ١١٨] ، فلا السخط ينجي، ولا التشكك ينفع، بل لا بد من اللجوء والاستسلام!

يعلم الله كم فُتح علي من أبواب الخير بعدها!

فإذا أصابني في نفسي ما يؤلم ويحزن، نظرت فيما قصرتُ، وتحملتُ مسؤولية أخطائي، ودافعت البلايا بالأسباب المشروعة، واحتسبت الأجر، واستعنت بالله لأقلب المحنة منحة...

وإذا رأيت الظلم والقهر في غيري من الناس، فلا يشغلني إلا سؤال واحد: كيف يمكن أن أساعدهم وأخفف عنهم؟

أفعال الله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فله الحكمة البالغة وله المجد والثناء الحسن... المهم ما المطلوب مني أنا؟

يعلم الله كم رأيت في ذلك من بركات! وكم صار العمل القليل ينفع نفعًا عظيمًا... وكم اطمأن القلب واستراح من جهة الله تعالى، وكم رأيت من كرمه ولطفه سبحانه...

كنت قبل هذا التحول أقنع نفسي بحكمة الله، وأدافع ما يطرأ من تساؤل عن القدر، وتقف القصة عند هذا الحد وأرى أني انتصرت...

أما الآن، فما عدتُ أحتاج مدافعة التساؤلات ولا استحضار القناعات، فباب التساؤل عن أفعاله سبحانه مسدود تماماً، لا يأتي إلا كعارض سطحي عاجز عن اختراق القلب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. والطاقات مدخرة فيما علي فعله، فانفتح لي من ذلك آفاق عظيمة كانت محجوبة، وأفهمني الله من حِكَمه في البلايا ما لم أكن قد فهمته ولا خطر لي ببال.

فلكل من يتشكك في حكمة ربه:

كل الأدلة ناطقة بأن ربك عز وجل أحكم وأعلم وأعظم وأرحم. وما لم يُكشف لك من ذلك فلقصور عقلك وقلة فهمك عن ربك...فسُد الباب تماماً، وأطلق طاقاتك فيما ينفع، وانظر إلى عطايا الله بعد ذلك كيف تكون!

سيهجم الشيطان عليك ليأخذ بيدك ويغوص بك في مستنقع سوء الظن، فاطرده، وقل: (الله أعلم وأحكم، وهو عز وجل بعباده أرحم...المهم: ما دوري أنا؟)... وسترى من هذه الطريقة في التعامل بركة عظيمةً جدًّا..

سترى لكلامك وأفعالك أثرًا طيبًا لم تتوقعه، وبركة لم تتصور أن تكون! لأنك لم تسمح للشيطان أن يشغلك بالشك في حكمة ربك ورحمته، بل انشغلت بواجبك أمام أقدار العليم الحكيم سبحانه، فأنجز الله لك وعده إذ قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التَّغَابُن: ١١] .

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾: من يؤمن بالله بأسمائه وصفاته، وأنه تعالى العليم الحكيم لا يُقَدِّر شيئاً إلا لحكمة بالغة، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٣] ... ثم يشغل نفسه بواجبه، فإن الله يهدي قلبه: يُسَكِّنه ويُطَمْئِنه، ويهديه إلى ما ينبغي فعله لدفع الشر والظلم، ويهدي قلبه إلى الحِكَم البليغة في البلايا وفي الأقدار المؤلمة، ما لم يكن ليكتشفه لو قعد يسيء الظن ويعتب على القدَر!

إنها اللحظة الفارقة عند رؤية الشر والظلم: فإما أن تنكسر وإما أن تنتصر.

لم تفشل!

أتقنتَ عملك، أحسنتَ تعاملك، خاطبت مَن حولك بكلام الله وكلام رسوله ﷺ ومع ذلك لم يتغير شيء في الظاهر! زملاؤك، تلاميذك، زبائنك، جيرانك... المقصر في الصلاة لم ينتظم فيها، المتبرجة لم تتحجب، متابع المغنين والممثلين لم يهتم بأمر الأمة.

لا تحزن، إنك لم تفشل! ما دمت قد فعلت ما فعلتَه بصدقٍ وإخلاصٍ وحسنِ اتباع لسنة الحبيب ﷺ في الدعوة...

هناك نجاح كبير قد لا تشعر به، وهو تنقية قلوب مَن حَولك من (أعمالِ قلوبٍ) مُهلِكةٍ، هي أخطر بكثير من المعاصي الظاهرة.

هي... كانت تكره المتحجبات، بفعل الإعلام وبيئتها العائلية... والأخطر أن الأمر اختلط عليها بعد ذلك فأصبحت تكره الحجاب ذاته كشعيرة دينية، وحتى عندما كانت تقرأ القرآن مرة في السنة في رمضان كانت (لا تحب) آيات الحجاب، أو تراها منتهية الصلاحية!

تعرفت عليكِ، رأت نموذجا آخر غير المطبوع في دماغها، أحبَّتكِ، بدأت قناعاتها النمطية تهتز، وصلت مرحلة الألفة مع الحجاب والقناعة بأنه (هو الصحّ)... أصبحَتْ عندما تقرأ آيات الحجاب تستحي من ربها عز وجل وتقول في نفسها: (أنا غلطانة، أنا ضعيفة، يا رب اغفر لي، يا رب قويني).

لم تتحجب، لكن...هل تعلمين حجم النقلة التي نقلتِها إياها؟! يوم كانت تكره شيئا من دين الله تعالى، كان يُخشى عليها أن

تكون ممن قال الله فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٩] ... فكراهية ما أنزل الله من أعمال القلوب التي تُـخرج صاحبها من الإسلام والعياذ بالله.

اليوم، أصبَحَتْ من أهل آية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٢] .

أمس، كان في قلبها ما يُحبط الإيمان، واليوم، يوم أَلِفَتْ أمر ربها عز وجل وأيقنت بحكمته... لا زالت على كبيرةٍ أي نعم، لكنها مما يدخل في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فكيف تظنين بعد ذلك أنكِ فشلتِ؟!

كذلك أنتَ أخي، وقد نقلتَ شخصًا بفضل الله من ازدراء أهل الصلاح (وازدراء بعض شعائر الدين بالمعية، وهو الأخطر!) إلى توقير الدين والألفة مع شعائره والإحساس بأنه حين يخالفها فهو المقصر.

قد لا يتغير في الظاهر، ولفترةٍ طويلة، لكن النقلة النوعية القلبية قد تكون هي فرق ما بين الخلود في النار إلى الخلود في الجنة!

فكيف تظن بعد ذلك أنك فشلت؟!

بل هذا من أعظم النجاح.

***

نقطة...سطر جديد

كثيرًا ما تجد نفسك عالقاً بأوحال (قلة الإنجاز).. تصحو، تتذكر أن الأيام الماضية مرَّت دون إنجاز شيء يُذكر في طريق تحقيق أهدافك.. تندم على إضاعة الوقت والتشتت.. تُحبط.. تقول: اليوم سيكون مختلفًا.. يمر اليوم ولا يكون مختلفاً، فتزداد إحباطًا، وتدخل في حلقة مفرغة-كرة ثلجٍ نامية:

قلة إنجاز وبالتالي إحباط وبالتالي نفس محبَطة عن الإنجاز وبالتالي مرور الأيام دون إنجاز!

تحتاج في هذه الحالة أن تقول لنفسك:

(نقطة...سطر جديد) لن أَعْلَق في أوحال الماضي، لن ألتفت إلى الوراء، لن أدخل في الحلقة المفرغة. وسأتطلع إلى الأمام وأستعين بالله.

أنا عن نفسي، أحاول أيضًا أن أتأمل فائدةً من التأخيرات التي تحصل فأقول: لعلي كنت سأعمل عملًا صالحًا، أنجز فيه كثيرًا لكن بإخلاص مشوب، وبالتالي فما فائدة الإنجاز الكثير إذا لم يكن خالصاً؟ فلعل الركود النفسي يزيدني لجوءًا إلى الله ويقينًا بحاجتي إليه وأني بلا معونة منه - لا شيء، فأزداد إخلاصًا ويُصبح هذا العمل المؤخر مضاعف الأجر.

أعطِ لنفسك نظرات إيجابية كهذه، لا لتبرر قلة الإنجاز، لكن لتخرج من الحلقة المفرغة.

ستقول: لكني فعلت ذلك، وقلت لنفسي (نقطة...سطر جديد) مئة مرة...

معلش! قلها ألف مرة.. ولا تدخل في الحلقة المفرغة ولا تلتفت للوراء. وتذكر أعظم حديث يحمل هذا المعنى، وهو قول نبينا ﷺ: **«احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بالله وَلَا تَعْجَزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»** (مسلم ٢٦٦٤).

لذلك: نقطة...سطر جديد.

***

لا تدعه يعكر علاقتك باللّه!

كنتُ في زيارة لأحد الاخوة ابتلي مؤخرا ببلايا كثيرة، منها فقده لولديه حديثَي الولادة، وليس عنده غيرهما.

الأخ ما شاء الله عليه كان يقول: (صابرين وراضيين والحمدلله رب العالمين).

فقلت له: (أنت تحزن، نعم.. ولكن حُق لك أن تجد لذةً مع هذا الحزن، لذَّةً لأن الله عز وجل يصبرك، وهذا يعني أن الله أراد بك خيرا).

فقال: (بصراحة، أما هذه اللذة فلا أجدها).

- (طيب لماذا يا فلان؟)
- قال: (لأني أشك أن مثل هذا البلاء سيدخلني الجنة).
- (لماذا؟):

- قال: (أنا أحيانا أشك في أن الله عز وجل سيرحمني).

- قلت له: (لحظة! هذا يأس من رحمة الله سبحانه وتعالى).

- قال: (أعوذ بالله! أنا يائس من نفسي، ليس من ربي سبحانه وتعالى. يعني المشكلة في طرفي أنا).

- قلت له: (طيب أنت تحب الله ورسوله؟)

- قال: (طبعا!)

- (تعظم الله ورسوله؟)

- قال: (طبعا!)

- (هل تقول كلامًا فيه كفر؟)

- قال: (أعوذ بالله!)

- (هل تعين أعداء الأمة عليها؟)

- قال: (أعوذ بالله! بل أنا أصلي الفجر حاضراً، وأنا في الدورات التي أعطيها أذكر أحاديث النبي ﷺ).

يعني الأخ عنده عزة إسلامية.

- قال: (لكني بصراحة أعمل هذه الأعمال دون لذة.. صحيح أن خوفي من معاصيَّ لم يؤثر على أعمالي هذه وعلى طاعاتي، ولكن أعملها دون لذة).

- قلت: (طيب معلش، معاصي مثل ماذا؟)

- قال: (أدخن مثلًا ومش قادر أترك هذه العادة).

- قلت: (طيب أنت معترف بخطئك في هذا؟).

- قال: (نعم معترف).

- قلت:إذن أين تذهب من قول الله عز وجل:﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٢] ؟

هناك نقطة مهمة جدا إخواني: الإنسان قد يُنعم الله عليه بنعم دنيوية فلا يؤدي شكرها، فيكون استمرار هذه النعم استدراجًا وتكون وبالًا عليه في الآخرة. لكن إذا أنعم الله سبحانه وتعالى عليك بنعمة في الدين مثل أخينا هذا: أنه يبتليك ويصبرك، يبتليك ويرَضِّيك بقضائه سبحانه وتعالى، فهذا ليس استدراجًا. بل هذه نعمة عظيمة ينبغي أن تفرح بها وتجد لها لذة..إذا هذا ليس له معنى إلا أن الله أراد بك فيها خيرًا .

عندما يحبب الله إليك ذاته سبحانه وتعالى، يحبب إليك رسوله ﷺ يحبب إليك دينه وقرآنه..هذا ليس له تفسير إلا أن الله أراد بك خيرا.

فلما تقول: (والله معاصيَّ بتخليني لا أشعر بلذة لهذا كله، وأحس أني لستُ من أهل الرحمة)..فَخُذْ بالك! هذه ليست محاسبة محمودةً للنفس! بل هذا صوت الشيطان! لماذا؟ لأن الشيطان يريد أن يحرمك من مقام الشكر. ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين) قال في منزلة الشكر: (وهيَ منْ أعلى الْمنازلِ. وهيَ فوقَ منزلةِ الرِّضَا وزيادةٌ. فالرِّضَا مُنْدَرِجٌ فِي الشُّكرِ. إذْ يستَحيلُ وجودُ الشُّكرِ بدونهِ. وهوَ نصفُ الإيمانِ - كما تقدَّمَ - والإيمانُ نصفانِ: نصفٌ شكرٌ، ونصفٌ صبرٌ).

فأنت عندما ينعم الله عليك بنعم في دينك مثل الصبر والرضا

ومحبة الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله ينبغي لك أن تشكر. لكن لما تظل تشك في نفسك بسبب معاصيك فتبالغ إلى حد أنك تشك في أن الله أراد بك خيرا بهذه النعم في دينك، فأنت بذلك تُحرم من مقام الشكر!

الشيطان يمنعك من أن تشكر هذه النعم، بل يجعلك تظن أن الله يستدرجك بها! وبالتالي فكلما جاءتك هدية من هدايا الله سبحانه وتعالى في دينك تحسها مسمومة! لماذا؟ لأنها في نظرك: (استدراج، مش إنعام)!

لا يا أخي! الله أبر وأرحم وأعظم وأكرم من أن تكون هداياه مسمومة! عندما ينعم عليك في دينك فهذا يعني أنه سبحانه أراد بك خيرا. فإياك أن يحرمك الشيطان من مقام الشكر على هذه النعم. الإنسان الذي لم يتضح له هذا المفهوم قد يصبح كلما أنعم الله عليه زاد توجسه أن (الله يستدرجني)!

لا يا أخي! بل الله يُنعم عليك بما يدل على إرادته الخير بك، وبالتالي يحق لك أن تفرح وتجد لذة وتحمد الله سبحانه وتعالى.

نعم، الله عز وجل شديد العقاب، ولكن لاحظوا التوازن القرآني العظيم: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المَائِدَة: ٩٨] .

هذا الأخ الذي حدثتكم عنه ذكرت له أثرًا عن الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود، فاستغربه. قال ابن مسعود ﷺ: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله).

فسألني الأخ: (القنوط من رحمة الله كبيرة؟)

(نعم كبيرة. فالذي يقنط من رحمة الله فهو بذلك ينتقص من صفاته سبحانه ولا يقدر الله حق قدره!).

فانظر إلى توازن الإسلام: من أكبر الكبائر القنوط من رحمة الله، وفي الوقت ذاته الأمن من مكر الله. كيف يعني الأمن من مكر الله؟ أن تعمل المعاصي وأنت تأمن من أثرها في الدنيا والآخرة؛ مطمئن إلى أن الله لن يطمس على قلبك بهذه المعاصي ولن يعاقبك بها، استهانة بها، أو استكثاراً لما تعمل من الطاعات وكأنك تمُنُّ بها!

بينما ما دمت تكره المعصية وتُقِرُّ بسوئها فأنت على خير. وتذكر قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَن سَرَّتْه حسَنتُه، وساءَتْه سيِّئتُه فهو مؤمِنٌ**» (أخرجه الترمذي ٢١٦٥). لاحظ: ليس«**وساءَتْه سيِّئتُه**» فقط، بل و«**سَرَّتْه حسَنتُه**» أيضًا. مطلوب فمن علامات الإيمان ليس فقط أنك تستاء لما تعمل حاجة غلط، بل مطلوب منك أيضًا أن تُسر إذا وفقك لعمل الخير والطاعة، وأن تفرح بما ينعم الله عليك في دينك كالصبر والرضا والتسليم.

بل وتجد بعض الناس يتقلبون بين الحالين. فتجد أحدهم في بعض أفعاله يأمَن من مكر الله ويُغَلِّب جانب الرجاء فيسيء، ثم يُغَلب جانب القنوط ويحس أن لا رجاء في الرحمة فيسيء!

فاحذر من الطرفين....وإياك من مقولة: (أنا يائس من نفسي)، فهذه مصيدة الشيطان الذي يقول لك: (طبعا طبعا الله رحيم لكن

أنت لا تستحق رحمته.. الله غفور لكن أمثالك لن يُوفقوا لتوبة نصوح حتى يغفر الله لهم!)

- (طيب والمعاصي التي أعملها؟)

- هذه المعاصي أنا أدافعها وأحاربها وأنا في كنف الله؛ يعني في ظهري الاستعانة بالله سبحانه، ولا أسمح لها أنْ تُحدث جَفوة بيني وبين رب العزة سبحانه وتعالى. بل في نفسي أن الله يريد بي خيرا، وأنه سبحانه يحبني كلما وفقني للطاعات، تنظر لنفسك نظرة ايجابية فتقول: (الله أراد بي خيراً، الله وفقني لكل هذا الخير، فعيب علي أني أبقى مقيماً على هذه المعصية!...وهذه المعصية ليست (أنا)؛ لا أختزل شخصيتي في (أنا فلان العاصي)... فإذا أنا بالفعل معظم لله ومحب له سبحانه وقائم بفرائضه ولكن عندي معصية معينة، فهي ليست ممثلةً لي ولا تُختزل فيها شخصيتي... استعين بالله على تركها، ولا أسمح لها أن تشوش على علاقتي بالله).

فلا تسمحوا لشيء أن يشوش على علاقتكم بالله إخواني، أو يحرمكم من لذة الاستمتاع بإنعامه سبحانه وتعالى عليكم في دينكم و بلوغ منزلة الشكر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأَحْزَاب: ٤٣ - ٤٤].

***

عِش بنفسية مجاهد

تقرأ آيات الجهاد والاستشهاد وتتمناها لنفسك؟

هل يحترق قلبك لحال المسلمين وتشعر بانعدام الحيلة؟ إياك أن تنكسر أو تُحبط، بل عِش حياتك بنفسية المجاهد...

تعلَّم العلوم النافعة المختلفة، الطبيعية والشرعية. بهمة المجاهد، وقوة المجاهد، مستحضرًا أن هذه العلوم عُدة حربك، تُحَرِّر بها مساحاتٍ من قلوب الناس وعقولهم من الشكوك والشبهات، ومن اليأس والهزيمة، وتقيم فيها صروح محبةٍ وتعظيم لله لا تنهدم..

مستبشرًا بأن عملك هذا لا يقل عن تحرير الأراضي..

مارس أدوارك الاجتماعية أبًا، ابنًا، زوجًا، أخاً، معلمًا، جارًا، عاملًا، صاحب مهنة، بنفسية المجاهد، الذي يتقن هذا كله ويعطي كل ذي حقٍّ حقه، ويعلم أن إتقان أدواره هذه معارك ينتصر فيها.

ولا يضيع أوقاته في معارك جانبية أو في لهوٍ بلا غاية.

وتذكر قول النبي ﷺ لمن جاء يريد الجهاد: «**أَحَيٌّ والِداكَ**».

قال: نعم.

قال: «**ففيهما فجاهد**».

لست مضطرًّا أن تتنكر للجهاد وتَخُونه لتحيا حياتك بإتقان واستبشار، كما أنك لست مضطرًّا أن تتنكر لحياتك لأنك بنفسية مجاهد، بل ادمج بينهما، وانظر إلى الفتوحات العظيمة التي سيفتح الله عليك بها إنْ عَلِم في قلبك صدقًا وإخلاصًا.

لست مضطرًّا أن تتنغص لأنك لم تجاهد، فتعيش محبَطًا، محبِطًا، عصبيًّا مع والديك، زوجتك، أولادك، فتُنَفِّرهم وتنفر الناس، وتكون همًّا جديدًا على أمتك وخادمًا لأعدائك وأنت لا تشعر!

بل عِش حياتك بنفسية المجاهدين الذين يحبهم الله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المَائِدَة: ٥٤]... مجاهد عزيز هين لين مع المسلمين.

عش، وعيشي بنفسية المجاهد، وحينها ستتحمل وتتحملين ما تلقاه من آلام وطعنات في سبيل سعيك وثباتك، لأنك: مجاهد، والمجاهد تصيبه الجراح ويتلقى الطعنات و هو مُقدِم مستمر مطمئن، لا يتوقع غير ذلك. كيف لا؟! فهو (**مجاهد**)..

تذكر الرجل الذي مر على النَّبيِّ ﷺ فرأَى أصحابُ رسولِ اللهِ من جلَدِه ونشاطِه فقالوا: يا رسولَ اللهِ لو كان هذا في سبيلِ اللهِ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إن كان خرج يسعَى على ولَدِه صغارًا فهو في سبيلِ اللهِ، وإن كان خرج يسعَى على نفسِه يعَفُّها فهو في سبيلِ اللهِ، وإن كان خرج يسعَى رياءً ومُفاخرةً فهو في سبيلِ الشَّيطانِ**» (صحيح الجامع ١٤٢٨).

نعم، عش بنفسية المجاهد، وأسأل الله أن يجعل ذلك لي ولكَ سببًا في أن يبلغنا الجهاد بالنفس والمال ويرزقني وإياكم الشهادة في سبيله.

***

حفظك اللّهُ بما حفظتَ بهِ نبيَّه

رسول الله ﷺ على راحلته في سَفَر، نعِس بعدما وصل ليله بنهاره عملا وتعليما وعبادة وجهادا..

فيميل عن الراحلة، يراه أبو قتادة الأنصاري، فيأتي ليدعم رسول الله دون أن يوقظه، ثم يتكرر الأمر مرة ثانية وثالثة، وأبو قتادة يدعم النبي برفق..

استيقظ رسول الله فسأل - في ظلام الليل -: (من هذا؟)

فقال: أبو قتادةَ.

فقال: (متى كان هذا مسيرك مني؟) -يعني من متى وأنت تدعمني بهذا الشكل لئلا أميل؟

قال أبو قتادة: (ما زال هذا مسيري منذُ الليلةَ)

فقال رسول الله: (حفظك اللهُ بما حفظتَ بهِ نبيَّه).

والحديث رواه مسلم.

ما أجملها من دعوة! ليست لأبي قتادة فحسب، بل إن لكل من حفظ النبيَّ نصيبًا منها: (حفظك الله بما حفظت به نبيه).

في هذا الزمان الذي توجهت فيه سهام خصوم الإسلام إلى سنة النبي ﷺ.

في هذا الزمان الذي تُفتح قناة تلو قناة تلو قناة. ويلمع شخص تلو شخص، ويُصدَّر جاهل تلو جاهل على القنوات، والهدف واحد: محاربة السنة. وأحيانًا: محاربة شخص النبي ﷺ طمعًا من خلال

ذلك إلى خلع المسلمين من جذورهم وتركهم ريشًا في مهب الريح...

تذكر يا من تأخذ الكتاب بقوة، يا من تبذل من وقتك وجهدك لتتعلم العلم الصحيح وتدافع به عن نبيك وسنته، أنك إن أخلصت النية في هذا كله لله، فإنك مشمول إن شاء الله بدعوة النبي ﷺ: «**حفظك الله بما حفظت به نبيه**»!

دعوة تؤْنسك أمام التضييق والسخرية وتسلُّط الظالمين.. فلا تحزن، ولا تخفْ، فإنك محفوظ...

***

العودة للمربع الأول

على الرغم من كل الآلام فإني مستبشر بما تمر به أمتنا. ومن أسباب استبشاري أن هذه الأحداث تجبر حاملي الهم على تصحيح لغة الخطاب مع الناس..

(صلِّ يا أخي).. (تحجبي يا أختي).. (اترك سماع الأغاني).. (اتركي مشاهدة المسلسلات)..

كان هذا الخطاب يَفترض أن هؤلاء المخاطَبين ليست لديهم مشاكل عقدية حقيقية. وأن ما ينقصهم هو سماع الدليل على ما يجب فعله أو تركه، وشيء من التشجيع على الالتزام والتخويف من عواقب التفلت.

كان هذا الخطاب يغتر بأن المخاطَبين مسلمون أبناء مسلمين، من أمة المليار ونصف، فمسألة اليقينيات يفترض أن تكون محسومة عندهم.

وقد كنت من سنوات طويلة أحس بأن هذا الخطاب يقفز عن المشكلة الأصلية.. مشكلة ضعف اليقينيات في نفوس الناس... فكان لا يأتي بالنتائج المرجوة.

الآن... ومع شراسة الهجمة.. قناعاتٌ كثيرة اهتزت... شكوكٌ طفتْ على السطح.. خزَّان المليار ونصف يتصدع ويتسرب منه من يتسرب..

وأصبح المصلحون يشتكُون أن من يُفترض أنهم مسلمون صاروا يسألون عن المُسَلَّمات ويشُكُّون فيها..

يعني عُدنا إلى المربع الأول، وأصبحنا ندعو عددًا من (المسلمين) إلى الإسلام!!

أتعلمون إخواني؟: هذا خير! نعم، خير..

أن تعود فتبني العقيدة من لِبناتها الأولى وتُحْكِمَها قبل أن تنطلق منها للأحكام والحرام والحلال.. هذا يُوَجِّهُ بوصلة الخطاب الوعظي الذي كان يقفز عن المشكلة الحقيقية.

وهذا يعيد الدعوة إلى مرحلتها النبوية التأسيسية التي وصفتها أم المؤمنين عائشة ﵂: (إنما نَزَلَ أولَّ ما نزَلَ منه - يعني من القرآن - سورةٌ مِن المُفَصَّلِ، فيها ذكرُ الجنةِ والنارِ، حتى إذا ثابَ الناسُ إلى الإسلامِ نزَلَ الحلالُ والحرامُ، ولو نزَلَ أولُّ شيءٍ : لا تشربوا الخمرَ لَقالوا : لا نَدَعُ الخمرَ أبدًا، ولو نزَل: لا تَزْنُوا، لقالوا: لا نَدَعُ الزنا أبدًا) (البخاري٤٩٩٣).

عدنا مع شريحة من المخاطَبين إلى اليقينيات: الله، النبوات، الدار الآخرة...

قد يبدو مؤلماً أننا عدنا للمربع الأول...لكن صدقوني، البناء المحكم يبدأ من هنا... لا من خداع أنفسنا بالأعداد والمليارات التي وصفها نبينا ﷺ مقدمًا: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل**»!

وهذه العودة للمربع الأول ستكون لها نتائج عظيمة بإذن الله، على إيماننا وإيمان من ندعوهم. المهم أن نتصدى لهذا بهمة وعزم ويقين، لننجح في هذا الاختبار، ونستنقذ من يمكن استنقاذه...

أبشروا، فإن ما نراه شرًّا قد يكون هو ما سيحرك مياه الخير الراكدة، ويستخرج الكنوز من نفوس المؤمنين، وتكون النتيجة النهائية: الخير لهم وعلو الدرجات، والخسران للكافرين والمنافقين... فهي أحداث خافضة رافعة..﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأَحْزَاب: ٦٢] .

***

في الأمة خير كثير

مع المزيد من التجارب، يتكشف لي أكثر فأكثر أن في الأمة خيراً كثيراً، وأزداد نفورًا أكثر فأكثر من الأوصاف السلبية التعميمية التي تصف الناس بالجبن وقلة الشهامة وعدم الاستعداد للتضحية!

في الأمة خيرٌ كثير، أكبر بكثير مما يبدو من انتفاش الباطل وأهله وطُفُوِّ غثائهم على السطح، والناس مستعدون للبذل والعطاء والتضحية، لكن في سبيل قضية واضحة مقنعة، وفي بواطنهم ينابيع

خير وطاقات كامنة تنتظر كلماتِ التشجيع ورفع الهمة من قدوات صالحة لا تخالف أقوالَها بأفعالها.

والأوصاف السلبية التعميمية التي قد نطلقها أحيانا على الناس كثيرا ما تكون تعبيرا عن فشل منا نحن في رفع الهمم وبَلْوَرَة القضايا الواضحة المقنعة وضرب المثل الحسن لهم بأفعالنا...فنبحث حينئذ عن شماعة نعلق عليها إخفاقنا في هذا كله!

كثيراً ما نتكلم عن أحاديث آخر الزمان الذي يقل الخير في أهله جداً، ولسنا في تلك المرحلة بعد ولا توافرت أشراطها.

أقول هذا كله وأنا أعلم بالفساد المستشري أشكالا وألوانا في الأمة، لكني في الوقت ذاته أرى معه خيرية أعمق وآصل في نفوسٍ ظاهرها الغفلة الشديدة!

السلبية آخر ما تحتاجه الأمة وأبناؤها! فاعمل على استخراج الخير بكلمة طيبة وفعل طيب، فإن لم تحسن ذلك فعليك بحديث النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَقل خيرا أو ليصمتْ**».

(صحيح البخاري ٦١٣٨).

***

عليهُم!

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله:

(لما كانت موقعة ميسلون في الشام من سبع وأربعين سنة (عام ١٩٢٠) ودخل الفرنسيون دمشق ظافرين، شهدتُ مشهدًا لا يزال

منقوشًا في ذاكرتي. كنت ذاهبًا إلى المدرسة، وكنا في أوائل المرحلة الإعدادية، فوجدت ثلاثة من الجنود الفرنسيين المسلحين يلحقون امرأة مسلمة محجبة، يتحرشون بها ويمدون أيديهم إليها، وهي تصرخ مذعورة وهم يتضاحكون، والناس خائفون منهم وقلوبهم تتقطع ألمًا. وإذا بسَمّان (بقّال) كهل يصرخ صرخة هائلة تخرج من أعماق قلبه كأنها ليست من أصوات البشر: (ولك شو بَكُمْ؟ ما عاد في دين؟ ما عاد في نخوة؟ عليهُم)!

ويثب إليهم بأربع خطوات فيصير بينهم، يهجم عليهم بيديه بلا سلاح، وتسري عدوى الحماسة فيلحقه الناس. وأذكر وأنا ولد أني رميت حقيبة الكتب وهجمت معهم. ولم يكن مع أحد من المهاجمين قطعة حديد، ومع الجنود البنادق المحشوة بالرصاص، ومع ذلك غُلبوا وسقطوا على الأرض ونزل عليهم الناس ضربًا وركلًا، فلم يخرجوا إلا بثياب ممزقة وأعضاء محطمة.

هذه القوة الكامنة هي مصدر العزة التي وصف الله بها المؤمنين. إنها موجودة في نفوسنا لا تزال، رغم الضعف والتفرق والانقسام، ولكنها تحتاج إلى مَن يوقظها. وهذه القوة لا يوقظها إلا الإيمان. (من كتاب نور وهداية للشيخ علي الطنطاوي - الجزء الأول).

الكل ينتظر من يعلق الجرس. فطوبى وكرامة لمن يبادرون.

***

الاكتئاب المُقَنَّع

كثير منا يعاني من (اكتئاب مُقَنَّع)، وله مظاهر، ككثرة النوم...

- (وماذا أفعل إن استيقظت؟)

- اقرأ! تعلم! العب رياضة...

- (وعلى ماذا؟ ما الفائدة؟ خليني أروح أنام)

التهرب من الأعمال النافعة طويلة النَّفَس إلى قراءة رسائل الفيس والواتس...

التهرب من الاعتناء بما يرهق نفوسنا إلى متابعة المقاطع القصيرة.

إهمال العناية بصحتنا. مراكمة الدراسة ومهام العمل...

التهرب من الشعور بالفشل في إصلاح بيوتنا وتربية أولادنا إلى إحراز انتصارات وهمية في (العالم الافتراضي) من خلال الانتشاء بإعجابات الناس ومشاركاتهم وتعليقاتهم على منشوراتنا التي لا نلتزم نحن أنفسنا بكثير مما فيها!

وبشكل عام: التهرب من (المفيد) إلى (المسلي).

من أهم أسباب ذلك: (الاكتئاب المُقَنَّع).

إنها النفسية التي عمل أعداؤنا على تكريسها فينا بكل طريق...

إنها تراكمات آلاف مشاهد الإهانة للمسلمين والإشعار بقلة قيمتهم، والتي يبثها الإعلام بسخاء شديد بحجة رصد الواقع! في الوقت الذي تتضافر فيه جهود الإعلام والجهات القمعية على إخفاء

وإجهاض جهود إصلاح هذا الواقع.

ليكرسوا في المسلمين نفسية الـ(لا جدوى)، (على الفاضي)، (خربانة خربانة)، (نحن عاجزون)...

كأن الإعلام يضربنا ضربات على رؤوسنا فنهيم بعدها حائرين مشتتين لا نَقَر على عمل نافع!

والأخطر من ذلك أننا نحن أنفسنا نكرس نفسية الفشل والاكتئاب هذه أحيانا بطريقة خطابنا حين نلوم الغافلين على معاصيهم والمسلمين على عدم نصرة إخوانهم المستضعفين بالتقريع السلبي التحقيري الذي رسالته: أنتم سيئون فاشلون!

بل أتعلمون إخواني؟ أرى أننا نخطئ حين نظن أن أصحاب المعاصي رضوا بالحياة الدنيا وهم بها سعداء. بل كثيرا ما يكون السبب هو اكتئابهم المقنع الذي أشعرهم بقلة قيمتهم، وقلة الفرق بين حياة الإيمان وحياة العصيان... هؤلاء حين نقرعهم تقريعا سلبيا فإننا نعين عليهم الشيطان الذي يشل إرادتهم عن إصلاح أنفسهم ويُشعرهم بالعجز والبعد عن الله.

هؤلاء...الأجدى في مخاطبتهم أن ترد لأنفسهم اعتبارها في أعينهم هم، تُشعرهم بأهميتهم وكرامتهم على الله إذ هم بنو آدم ثم هم مسلمون...تُذَكرهم بفرح الله بطاعتهم وتوبتهم، موالاته لهم بقدر توليهم إياه سبحانه، وأنه سيوفقهم ويعينهم إن استعانوا به ولن يقف في وجههم شيء. وستجدهم حينئذ يأنفون بنفوسهم العالية الكريمة هذه عن المعاصي ويألفون الطاعة تلقائيا!

لا تجد في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ موقفا واحدا سلبيًّا لام فيه أصحابه ولم يعطهم الحل والمخرج! أبدًا، ولا موقف واحد! وانظر إيجابيته مثلا عليه الصلاة والسلام بعد معركتي أحد وحنين على ما بدر من الصحابة فيهما من خطأ.

نحن جميعا بحاجة ماسة إلى تعزيز جوانب الخير والقوة فينا وإعادة ثقتنا بعلاقتنا بالله تعالى لنبني على ما هو موجود بعد تثبيت ما هو موجود، ولنُفْشِل مخططات أعدائنا من الكفار والمنافقين الذين ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٨]، أي يحبون لنا المشقة والفشل وتحطيم النفسيات.

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩]

***

هل من أمَل؟

يسألني: هل من أمَل؟

- بلا شك!

- حقًّا؟!

- وماذا بعد التمحيص إلا الفَرَج؟ إنها سنة الله.

- هل تعلم أين تسير الأمور؟

نحن في مرحلة التمحيص. ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤١]. ذَهَبُ الأمة مختلط بزبد، وكير

الفِتَن ينفي الخبث. ويوم يأتي ماء السماء فسيجرف الزبد، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

لست قلقًا على مجيء الفرج. فإني أراه كما أرى طلوع الشمس كل يوم.. وإني أخرج أنتظره انتظاري للمسافر الذي سيعود.. وإن لم أدركه فإني أُعدُّ له من ينتظره وينضم إلى ركبه، وسأسلمهم الراية قبل أن أموت. كل همي أن أنقذ نفسي ثم أستنقذ من أستطيع إلى سفينة النجاة قبل مجيء الطوفان الذي سيجرف الزبد.

***

الأخذ بالأسباب

إذا أخذنا بالأسباب فإن الله تعالى يبارك في القليل الذي استطعناه واستنفدنا وسعنا فيه ويصنع لنا العجائب لأننا - ببساطة - أطعناه بأنْ أخذنا بالأسباب وأعددنا ما استطعنا.

في معركة الخندق أخذ النبي بالأسباب إلى أبعد حد:

١. وظَّف تجارب الأمم فأخذ بمشورة سلمان الفارسي.

٢. أحسن التخطيط.

٣. صبر مع أصحابه على عمل مضنٍ في حفر الخندق ثم في صد الكفار عن اقتحامه.

٤. رفَع معنويات المسلمين وبشرهم بالفتوحات.

٥. لم ينشغل بمعركة جانبية مع المنافقين الذين كذبوا وعده.

٦. أحسن توظيف الطاقات البشرية كنعيم بن مسعود.

٧. استطلع خطط المشركين وبني قريظة.

٨. استنفد الوسع في الإعداد المادي.

٩. وحافظ على وحدة الصف ولم يستأثر عن أصحابه، بل جاع كما جاعوا وحفر كما حفروا ولما دعاه جابر بن عبد الله ما أكل إلا بعدما أكلوا.

١٠. حرص في ذلك كله على أعمال القلوب والدعاء.

ومع ذلك جاءه النصر من حيث لم يحتسب!: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأَحْزَاب: ٢٥].

***

«لا حول ولا قوة إلا باللّه!»

(عبارات نسمعها ونقرؤها)

(انظر كيف يستهزئون بالإسلام..لا حول ولا قوة إلا بالله!).

(انظر كيف ينشرون الفساد. حسبي الله ونعم الوكيل!)

صديقي، ماذا استفدت من كلامك هذا؟

- (حتى يعرف الناس ما يحصل).

- ثم ماذا؟ هل أعطيت للناس خطوات عملية لمواجهة هذا المنكر؟ هل ألقيت عصا الحق بالبينات والعلم لتلقف ما يأفك المبطلون وينقلب سحرهم عليهم وتنقذ الناس من ضلالاتهم؟ أم هو التحسر والتأسف فحسب؟

- مجالات نصرة الإسلام متاحة بشكل غير مسبوق في عصر

التواصل المفتوح، وأنا عن نفسي منذ بدأت معركة نشر الوعي وتصحيح المفاهيم، ما عدت أجد وقتًا ولا حتى للتحسر والأسى على أحوال الناس! أتألم، أغضب لله، ثم أُحول ألمي وغضبي إلى توعية ودفاع عن الحق وفضح للباطل وأهله، ثم أرى النتائج في أفكار الناس ومحبتهم لله واعتزازهم بدينه، فأبتهج وتقوى عزيمتي، وأستمر.

– وإن كنت أتحسر على شيء، فعلى أي تقصير في استثمار العمر... وإن كنت أخاف من شيء، فمن أن تأتيني المنية قبل أن أستكمل المهمات التي وضعتها نصب عينيَّ.

– وقدوتي رسولُ الله ﷺ الذي لا تجد في سيرته عبارات التحسر والأسى ثم القعود والإحباط أبدًا، أبدًا! حتى في المرحلة المكية الصعبة الأليمة.

– لا تقف عند التحسر.

قل (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأنت تستمد بها القوة من الله في معركتك مع الباطل وأهله..

– قل (حسبي الله ونعم الوكيل) قاصدًا بها أن الله كافيك، وفرِحًا به وليًّا ونصيرًا (ونعم الوكيل).

– أكابر مجرميها هم جسرنا الذي نرجو أن نعبر عليه إلى الجنة ثم يهوون في جهنم! مسخَّرون لنا لنتقرب إلى الله بمجاهدتهم ولا نُحرم شرف الجهاد بالقرآن ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفُرْقَان: ٥٢] !

– فاستعن بالله ولا تعجز: ﴿وَقُلۡ لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۞ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۞ وَلِلَّهِ غَيۡبُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هُود: ١٢١ - ١٢٣] .

***

الفوز الحقيقي....

عندما نرى صراعات بين طائفة من المؤمنين وطائفة من أعدائهم فإننا كثيرا ما نقول أن المؤمنين هزموا في هذه الجولة أو أن النصر تأخر عنهم.

فهل تعريفنا للفوز والهزيمة تعريف سليم؟

نحن كمسلمين نؤمن بالآخرة وبأن المحسن والمسيء لا يوَفَّى جزاءه في الدنيا نُعرف الفوز بتعريف الله عز وجل له. كيف عرَّف الله تعالى الفوز؟ هل تتذكر آية تُعَرِّفه؟

قال تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٨٥].

نحتاج أن نستحضر هذا المعنى ونحن نرى معاناة المسلمين. فالذين يُقتلون على الإيمان منهم هم بهذا المعنى الآن إن شاء الله فائزون.

أهل الأخدود عذبوا وحرقوا أحياء، ومع ذلك قال الله تعالى في سورة البروج التي تتحدث عن مصيرهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البُرُوج: ١١] .

في الحديث الذي رواه البخاري أن حرام بن ملحان من أصحاب النبي ﷺ طعنه مشرك غدرا برمح في ظهره نفذ من صدره، فجعل حرام يضع يده على الدم ويمسح به وجهه وهو يقول: (فزت وربِّ الكعبة، فزت وربِّ الكعبة)!

فأهم أشكال الفوز والنصر في ديننا أن تموت وأنت ثابت على دينك.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٤١]. فمن تسلح بالإيمان فإن قوى الكفر كلَّها لن تجد سبيلا إلى رده عن دينه، وَلْيفعلوا بعد ذلك بجسمه ما يشاؤون، فروحه في حماية الله الذي لن يجعل لهم عليها سبيلا. أليس هذا فوزا عظيما؟!

قال الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفَتْح: ٥] .

هو كذلك عند الله: فوزٌ عظيم، وبالتالي فهو كذلك حقًّا: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأَحْزَاب: ٤] .

وهو كذلك عن المؤمنين بالحق سبحانه: فوزٌ عظيم.

في المقابل، فإن شر أشكال الهزيمة هو أن تتخلى عن شيء من دينك أمام مكر وحرب أعداء الدين. فماذا تفيدك سلامة جسدك حينئذ إن وقعت بك الهزيمة النفسية الروحية؟!

فتمسك بدينك ليشملك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟

وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩] . إذن أنتم الفائزون المنتصرون، لكن لاحظ الشرط: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩] .

هذا هو الشرط لعلوك وفوزك: أن تعيش مؤمنا فلا يجعلَ الله للكافرين عليك سبيلا، وتموت مؤمنا فتزحزح عن النار وتدخل الجنة.

***

لا مكان للإحباط

أحد الإخوة الفضلاء له جهد مشكور في توعية الناس والدفاع عن دين الله تعالى، أرسل لي رسالة يخبرني فيها عما بلغه من حال بعض أبناء المسلمين من التردي والجهل بالدين والرفض لشرائعه. وختم كلامه بقوله: (لا أخفيك أني أصبحت أشعر بالإحباط) . فأقول لهذا الأخ الكريم ولإخواني وأخواتي جميعًا:

لا مكان للإحباط! بل إني أراني وأراكم (محظوظين) أو مُنعَمًا علينا أنْ أوجَدَنا الله في هذا الزمان لنعمل ونصلح ما استطعنا ونحصد من الحسنات ما الله به عليم إن صُلحت نياتنا وصح سيرنا على صراط الله المستقيم...

لا مكان للإحباط! بل إني أرى آيات كثيرة كان الله أنزلها لتمنع من هذا الإحباط وتوجد محله الهِمَّة العالية...آيات تمنعنا من أن تذهب أنفسنا حسرات عل الخلق...فلا ينبغي لنا أن نقف عند الألم والاستياء والتوجس من المستقبل، فكل ما يجري وسيجري إنما هو

ضمن إحاطة الله، وبتقديرٍ منه، قدَّرَه لِحِكَمٍ قد نعلم بعضها ويخفى عنا كثير منها.

آيات كثيرة ستفهمها إذا نظرت إليها من هذه الزاوية:

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فَاطِر: ٨].

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٣].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأَنْعَام: ١١٢]

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرَّعْد: ٣١]

لعلك كنتَ تتساءل: ما سبب كثرة ذكر القرآن لهذه الحقيقة – أنَّ كل إعراض هؤلاء لا يخرج عن تقدير الله؟ ولا هو شيء أعجَزَ الله أن يمنعه؟

فأقول: هذه الآيات كلها تنادي عليَّ وعليك: أن لا تيأس ولا تحزن، بل اغتنمها فرصةً، واحمد الله أن هداك إذ ضل غيرُك، واستعن به سبحانه بروحٍ لا تُقهر وعزيمة لا تفتر وهمة لا تنكسر. وانظر لهذا الواقع على أنه أرضٌ خصبة تَبذر فيها بذور الدعوة وترى بإذن الله بوادر حصادها، وجبالًا من حسناتها عند الله يوم القيامة.

بهذه النفسية أتعاملُ مع الواقع، الذي أعترف بصعوبته. لكني أراه فرصة في الوقت ذاته، وأُحَوِّل الألم إلى أملٍ وعملٍ، والحمد لله أني أرى آثار هذه النفسية في دافعيتي المستمرة للدعوة، وفي تفاعل كثير ممن ضل من أبناء المسلمين مع ما أنشر، وعودتهم بعد شرود، وزيادة إخواني وأخواتي اعتزازاً وثباتاً واستبشارًا.

لا مكان للإحباط، بل هي فرصة تاريخية، مِنْحَةٌ اخْتَصَّنا الله بها...عن علمٍ وحكمةٍ وكرمٍ ورحمةٍ...فاغتنمها.

***

اكسب أجرًا بإضحاك أخيك!

دخل عمر بن الخطاب ﷺ على النبي ﷺ فوجده جالسًا واجمًا ساكتًا، فقال عمر: لأقولن شيئًا يضحك النبي ﷺ.

علَّق ابن حجر في شرح الحديث: (فيه استحباب من رأى صاحبه مهمومًا أن يحدّثه بما يزيل همه ويطيّب نفسه).

عندما نرى إخوة لنا مهمومين ونسألهم عن السبب فيخبروننا، فإننا كثيرا ما نزيد همهم بالكلام السلبي.

- (صاحب العمل أهانني)

- (يا أخي كلهم هكذا، أعرف واحدا فعل له مديره أسوأ من ذلك....)

ماذا نستفيد من زيادة هم بعضنا البعض؟ لو (خففت دمك) مع صاحبك المهموم بمزاح مشروع لا كذب فيه، قاصدا التفريج عنه فإنك تؤجر على ذلك، بالإضافة إلى كسب قلبه إذ ترتبط رؤيتك عنده بالتخفيف من الهم.

لذا، اكسب أجرًا بإضحاك أخيك!

***

لا تجلد نفسك

صحيح أننا مقصرون، لكن - ومن قبيل التوازن - علينا أن نتذكر عِظَم وكرامة أننا: مسلمون.

إن هُنَّا - كأُمَّةٍ مستَضعفة - على الناس ثم عدنا فظننا أنا هُنا على الله كذلك، فإن هذا يُضعف عزيمتنا ورجاءنا في استجابة الله لدعائنا.

عليك أن تحاسب نفسك وتزكيها، لا أن تجلدها وتحقرها.

فيك ميزة كبرى مهما أسأت وأذنبت: أنك مسلم تقر لله بالوحدانية وتعظم شرعه ولا ترضى به بديلا، وهذا سبب كرامة عظيمة وقربى عند الله.

فابْنِ على ما فيك من خير لتعوض النقص، ولا تنظر لنفسك بعين الازدراء.

أخي، أتعلم ما معنى أنك (مسلم)؟ أختي أتعلمين ما معنى أنك (مسلمة)؟ أنك تقر بالحقيقة العظمى التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار.

لذلك فقد علمنا نبينا ﷺ أن من أعظم التوسل إلى الله أن تتوسل بتوحيدك فتقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد).

وفي الحديث الصحيح أن العبد يؤتى به يوم القيامة فتُنشر له سجلات سيئاته كل سجل منها مد البصر، ثم توضع بطاقة عليها

(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله)، فيقول العبد: (يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟!)، فيقول: (إنك لا تُظلم)، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتثقل البطاقة وتطيش السجلات.

الثلاثة الذي سُد عليهم الغار فدعا كلٌّ منهم الله بأرجى عَمَلٍ له... هم لا يمتنُّون على الله بأعمالهم هذه، ولكن كأنهم يتوسلون إلى الله ويسترحمونه بأنه وفقهم إلى هذا الأعمال الصالحة فأشعرهم أنهم من أهل كرامته وأطمعهم في رحمته ومعِيَّته.

ليس شرطا أنهم كانوا صالحين في سائر حياتهم، فانظر مثلا ثانيهم الذي كاد يستغل حاجة ابنة عمه ليراودها عن نفسها، لولا أن منعته تقوى الله في آخر لحظة، وليس هذا حال زاهد عابد، ومع ذلك فقد استجاب الله له وفرَّج عنه.

هل نعدم نحن أعمالا صالحة نتوسل بها عند الله تعالى؟ ردد في نفسك: (أنا أحب الله، أنا أعظم الله، أنا أغار على حرمات الله، أنا لستُ سيئا كما يوهمني الشيطان ليبعدني عن الله، بل أحب الله وأرجو أنه تعالى يحبني).

مع الحرص الشديد على ألا تقع فيما يمس جوهرتك الكبرى (توحيدك) مما انتشر في هذا الزمان كالاستخفاف بشرعه تعالى أو تقديم تشريعات البشر عليه وجعل الطاعة المطلقة لغيره سبحانه.

عندما تقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

[الأَعْرَاف: ٥٦]، لا تقل: وأين أنا من المحسنين وفي من المعاصي كذا وكذا؟! بل قل: (توحيدي لله وتعظيمي لدينه إحسان، فلستُ مطرودا من هذه الآية بالكلية، لكن علي أن أتخلص من ذنوبي لتكون رحمة الله مني أقرب وأقرب).

هذا ما ينبغي أن يمتلئ به قلبك في مواسم الخيرات والرحمات مثل رمضان ومثل يوم عرفة، لتدعو الله برجاء ويقين.

قال عبد الله بن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تذرفان، فالْتَفَتَ إلي فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

والله تعالى أعلم.

***

لَفَّةُ رفعِ معنوياتٍ

أخٌ حبيب اتصل بي قُبَيل العشر الأواخر من رمضان...لمس مِنِّي ضيقًا من أمرٍ ما، فأبدى اهتماماً وأمضى معي وقتًا طويلًا وهو ينصحني بما أوتي من علم، مع أنه كان مشغولًا لأنه يُريد إتمام ترتيباته قبل الدخول في الاعتكاف في (شبه مصلى) مع ظروف الكورونا. وقال لي قبلها كلمة لا زلتُ أحفظها:

(قبل أن أدخل الاعتكاف أريد أن أعمل لفة -جولة- على الدعاة أرفع معنوياتهم)!

ما أحسنه من استثمار للوقت، وما أرفعها من قُربى، وما أعظمه

من توفيق، وما أنفع العلوم التربوية المعينة على ذلك، والتي لا نتلقاها في المدارس ولا في الجامعات!

تقربوا إلى الله برفع معنويات إخوانكم، ولو بالكلمة الطيبة، أو حسن الاستماع لهم وإبداء الاهتمام بمشاكلهم.. (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

***

أمة تمرض لكن لا تموت

عندما أرى إقبال المسلمين المذهل على مواسم الخيرات مثل صلوات التراويح.

على الرغم من القصف المكثف على عقيدتهم بدعوات الإلحاد والشبهات وتسميم المناهج المدرسية..

وعلى الرغم من القصف المكثف على أخلاقهم عبر آلاف القنوات التي تزين الشهوات..

وعلى الرغم من القصف الحربي المكثف في بعض البلدان على دورهم ومساجدهم برا وبحرا وجوا..

وعلى الرغم من أن ملل الكفر لم تجتمع كلها بلا استثناء إلا على ملة الإسلام.

أدرك عظمة هذا الدين الذي شاء الله له أن يبقى ولو كره الكافرون.

وأدرك عمقه في فطرة الناس مهما حاول الشياطين أن يقتلعوه

قد يقول قائل: لا تغرنك هذه الكثرة، فقد قال ابن عقيل: (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم بـ (لبيك)، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة) أي موالاتهم لأعداء الشريعة من الظَّلَمة والمتسلطين وغيرهم.

صحيح... لكننا في حرب وجودية تستهدف اقتلاع الإسلام وردَّ المسلمين عن دينهم بالكلية. فلنا أن نفرح بتنكيس الله لأعدائنا ومخططاتهم وبمظاهر حب المسلمين لربهم ولدينهم ومظاهر الحياة في هذه الأمة، التي تحتاج إلى من يوجه كوامن الخير فيها وسترى منها حينئذ العجب، ولن يقف في طريقها شيء...

أمة تمرض لكنها لا تموت.

***

ما لدي ليس الأمل!

ما لدي كمسلم ليس (الأمل)، بل اليقين.

فالأمل تصورُ إمكانية حصولِ المطلوب..

أما مع الإيمان، فالمطلوب حاصلٌ على كل حال: (فإن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)..

مع الإيمان، فكل ما يأتي من ربنا هدايا، والفرق بينها إنما هو في الغلاف، فالبلاء غلافٌ مكروه، والسراء غلافٌ محبوب، وفي الداخل هدية جميلة في الحالتين.

فما لدي ليس (أملًا) يمكن أن يصيب أو يخيب، بل ربحٌ مضمون... المهم أن أسعى لرضا الله ليكون كل ما يأتيني منه خيرا له، وهذا أمر بيدي أن أسعى إليه، دون انتظار لمجاهيل القدر.

***

وماذا يعنيني أن ينتصر الإسلام (يومًا ما)؟

عندما نسمع البشريات القرآنية والنبوية بانتصار دين الله، فتْحِ روما، دخول هذا الدين لكل بيت... قد نقول في أنفسنا:

(وماذا يعنيني أن ينتصر الإسلام «يومًا ما»؟ أنا أريد أن أتخلص من القهر وأعيش العزة في زمني. لا تحدثوني عن الولاء للإسلام وحب انتصاره.. هذا موجود لدي بالتأكيد.. لكن أريد أن أكون أنا أيضًا منتصرًا.

بل يعنيك!

فأولًا: استحضر أنها معركة ممتدة زمانًا ومكانًا، فيها جولات والحرب سجال... لكن الجميل في الموضوع أن نتيجتها النهائية محسومة مُبَشَّرٌ بها بشارات صدق: النصر لك ولجيشك ولدينك. كل ما عليك فعله هو أن تحرص أن تكون من (الطائفة المنصورة) الممتدة عبر التاريخ والمنتصرة حتمًا في النهاية، وألا تكون من الفرق الضالة عن الطريق.

فالمعارك الحاسمة التي سينتصر فيها المسلمون أنت جزءٌ منها. وفرقٌ كبير بين أن تعاني في معركة لا تعرف نهايتها، وتشك أن الغلبة ستكون للعدو فيها، وفي المقابل أن تعاني، بل وتُقتل، في جولةٍ من معركةٍ

تعلم يقينا أن النصر فيها في النهاية لجيشك، جيش الطائفة المنصورة الممتدة، بل وأن موتك قبل أن تجني الثمار أعظم لك في الأجر.

ثانياً: هذه البشارات القرآنية والنبوية تعني أن هذه الأمة لن تموت في يوم من الأيام.. مهما مرضَتْ وضعفت وكاد لها اعداؤها. لن ينقرض المسلمون ويأتيَ أناس من كوكب آخر لينصروا الدين! إن لم يكن النصر في زماننا فسيكون على يد ذريةٍ من أبناء المسلمين. ودورك أن تقارع وتصبر وتصابر في جولتك وتسلم الراية لأبنائك ليستكملوا المشوار، وتزرع فيهم هذه الرؤيا: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٢٨] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافَّات: ١٧٣] .

يضاف إلى ذلك أن الإسلام منصور دومًا بغلبة حجته وبرهانه على كل باطل، وأن المسلم فائز فوزًا مباشرًا إن مات على ما يرضي الله حتى وإن قُتل من عدوه...فبعدها خلود له في الجنة وخلود لعدوه في النار..﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨٥]

الإسلام منتصر.. طيب، وبالتالي؟!

مع كل خبر من أخبار الحرب على الإسلام تجد من يعلق: (الإسلام منتصر لا محالة)..(الله غالب على أمره)..(مهما فعلوا فلن يطفئوا نور الله)..

صحيح.. لا شك... وهناك بشارات في السنة الصحيحة لم تقع بعد حتى نقول أنها إنما كانت للماضي وما بقي إلا أفول شمس الإسلام، بل نحن ننتظرها.. وسيُظهر الله أمره لا محالة، وسيذهب

أعداء الإسلام والكائدون له إلى مزبلة التاريخ ثم يركمهم الله جميعا فيجعلهم في جهنم... لا نشك في ذلك طرفة عين.

لكنْ ليس هذا هو السؤال! بل السؤال: أنا وأنت يا من تقول هذه العبارات.. أين سنكون أو سيكون أولادنا يومئذٍ؟! في سفينة النجاة أم في الطريق إلى مزبلة التاريخ؟!

كثير منا يقول عبارات التفاؤل هذه وكأن «مشكلته» سوف تُحَل بانتصار الإسلام...

يؤسفني أن أقول لك: قد تكون (مشكلتك) هي انتصارَ الإسلام نفسَه! قد تكون مشكلتك أنك أو ذريتك ستوضع على المحك، ولم تتجهز له ولا جهَّزت أبناءك، فتكون حينئذ في صف الأعداء الذين سيكنسهم الإسلام من طريقه!

كثير منا قد يكتب عبارات التفاؤل وهو في طريقه إلى المسجد بينما أبناؤه أو من يمكنه التأثير فيهم (يعيشون) في غيبوبة، وينسلخون يوميًّا عن هويتهم الإسلامية، قد فتحوا عقولهم وقلوبهم لأعداء الإسلام يملؤونها شهوات وشبهات وشكوكًا في الدين ونفورا من أحكامه! على الموبايلات، أو في الشوارع برفقة الكلاب التي اشتروها تقليداً للغربيين!

لا تحدثني عن البركان الخامد الذي سيثور في قلوب هؤلاء يوم تحتدم المعركة! فالمسألة لم تعد شهوات وسكرات ينفضها الإيمان العميق فجأةً كما في قصص التائبين! بل المعركة قد انتقلت إلى هذا

الإيمان تخنقه وتقتلعه من قلوبهم لتحوِّلهم معاول هدم للإسلام من الداخل وخناجر في ظهره.

نعم. الإسلام منتصر لا محالة. بعز عزيز أو بذل ذليل... لكن السؤال: في أي الصفين سنكون ويكون أبناؤنا يومئذ؟! صف الأعزة أم الأذلة؟ المؤمنين أم المنافقين؟ الصابرين أم المطأطئين رؤوسهم لأعداء الإسلام؟! هل سيكون أبناؤك ممن سيفاخر بهم محمد ﷺ، أم حسرات عليك يوم تدرك أنك سمَّمتهم للنار؟!

لا تخفْ! دين الله ليست لديه مشكلة.. فهو: (دين الله)! المشكلة مشكلتي أنا وأنت أن نعمل لركوب سفينته يوم ينتصر:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾

[فَاطِر: ١٥ - ١٧].

ورحم الله القائل: (والله إنّ النصر فوق الرؤوس، ينتظر كلمة (كن) فيكون، فلا تشغلوا أنفسكم بموعد النصر، انشغلوا بموقعكم بين الحق و الباطل).

***

وماذا تنفع محبة النبي ﷺ؟

كثيرا ما نسمع: ماذا تنفعك محبة الرسول إذا لم تكن ممن يطيع أمره ويترك ما نهى عنه؟

فأقول: بل تنفع المسلم! وتنفعه جدًّا!

قد نخاطب بالعبارة المذكورة (ماذا تنفعك محبة الرسول) أصحاب الإيمان الثابت على سبيل استنهاض هممهم لطاعة الله ورسوله..

أما المعركة الآن فهي معركة على الإسلام نفسه: تكون مسلماً أو لا تكون!

نحن الآن ننادي كل من ينتسب إلى الإسلام:

الأولوية الأولى: حقق الحد الأدنى من الإيمان الذي ينجيك من الخلود في النار، بأن تعظم الله ورسوله وتحب الله ورسوله وتتبرأ من أعداء الله ورسوله وتتمايز عنهم ولا تصطف في صفهم ولا تواليهم...حتى إن كنت عاصيًا/ شارب خمر/ آكل ربا/ متبرجة/ عاق والدين... إلخ. إياك أن تقول: (أنا عاصي، ماذا ينفعني ذلك؟)

بل ينفعك بأن يجعلك في زمرة مَن في قلبه إيمان وينجيك من الكفر ويدخلك في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] روى البخاري أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ اسمه النعيمان كان يجلد لشربه الخمر، فأُتي به مرةً ليُجلد فقال رجل من المسلمين: (اللَّهُمَّ العَنْه، ما أكثر ما يُؤتَى به؟) يعني ليجلد على الخمر.

فقال النبي ﷺ: «**لا تَلْعَنُوه، فوالله ما عَلِمْتُ إلَّا أنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه**»! (صحيح البخاري ٦٧٨٠).

فانظر كيف نفعته هذه المحبة.

الخطوة الثانية: حول هذه المحبة إلى دافع لك لتطيع ربك الذي تحبه وتعظمه، ورسولك الذي تحبه وتعظمه، وتتخلص من ذنوبك،

مستعيناً بالله تعالى، بعد أن بنيت على الخطوة الأولى وتعزَّزَتْ نظرتُك لنفسك.

محمد ﷺ نبي المسلمين كلهم، مطيعهم ومذنبهم. وهو إمامنا كلنا وحبيبنا كلنا. اللهم أحْيِنا وأمِتنا على محبته ونصرة دينه، واحشرنا تحت لوائه.

***

أراك تحس بالضعف

أراك تحس بالضعف، فاقداً الدافعية إلى العمل، نَظْرَتُك إلى نفسك مهزوزة، أيامك تمر هباءً، قلِقاً من المستقبل...

لجأتَ إلى الأقرباء والأصدقاء من حولك... شكوتَ لديهم همَّك، أردتهم أن يرفعوا معنوياتك... فلم تجد مطلبك عندهم...

وسَّعْتَ دائرة بحثك فسألت البعيد والغريب... ولم تجد الأمل عندهم أيضًا!

أليس كذلك؟!

ثم بدؤوا يتهربون منك...لأنك لم تعد مصدر أُنسٍ لهم، بل أصبحت بشكواك (مُمِلًا) بالنسبة لهم تزيد همهم همًّا!

أليس كذلك؟

بل وجدتَ أن الكل مثلك! مهزوزٌ من الداخل، لكن الفرق أنهم يتصنعون السعادة ويُخَدرون أنفسهم ويخافون من مواجهة مشاكلهم! وأنت لم تعد تطيق...

عُدتَ من رحلة بحثك الطويلة وقد ازدَدْتَ همًّا! تتجاذبك المشاعر:

(لماذا كَسَرتُ نفسي أمامهم؟ ماذا استفدتُ من إظهار ضعفي لهم؟!

لقد خذلوني جميعًا، لم يساعدوني وأنا في حاجة إليهم!)

ثم عدتَ فقلتَ: (لكنهم هم أيضًا عندهم همومهم كما رأيت... كيف يعيننني وهم ضعفاء من الداخل كما أنا ضعيف؟ هم -مثلي- بحاجة إلى جبر خواطرهم ورفع معنوياتهم).

أليس هذا الذي حصل معك؟

تريد نصيحتي، بل توجيه ربك جل وعلا:

ألستَ تقرأ في كل ركعة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]...أي (لا نستعين إلا بك يا رب)؟ قلها صادقًا!

تريد نصيحة النبي ﷺ؟: (وإذا استعنت فاستعن بالله)... بالله وحده، لا بأحدٍ غيره.

تريد نصيحة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٦] كما فعل يعقوب عليه السلام... لا تَشْكُ إلى غيره.

حينئذٍ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]... الله وحده كافيك.

توكل بصدق وانقطاع رجاء من كل شيء إلا من الله وحده...

أتعلم ما سيحصل بعدها؟

سيمنحك الله الإرادة من جديد...

ويعطيك القوة من جديد...

ويُفَجِّر طاقاتك من جديد...

وتصبح أنت منارةً لهؤلاء الذين طلبتَ عونهم بالأمس!

قدوة لهم..

تحيي همتهم..

تجبر خواطرهم..

تُلهب حماستهم..

وتدور عجلة الحياة من جديد!

لا يتعارض هذا مع طلب النصيحة أو التعزيز من أصدقاء تثق بحكمتهم ويغلب على ظنك أن يفيدك كلامهم، أو طلبها من معالج ماهر يتقي الله إذا كان لديك أعراض اضطراب نفسي. لكن كلامنا هنا هو عن البوح السلبي لمن لا ينفعك الشكوى له بل قد تضر. فالإمساك عن بث الهموم لهؤلاء أجدى وأحفظ لكرامة النفس ولحسن العلاقتك بهم.

***

أين السعادة التي يحققها الإسلام لمتبعيه؟

لماذا تحصل للمسلمين هذه الابتلاءات؟ أين السعادة التي يحققها الإسلام لمتبعيه؟

الجواب: هناك حقائق نتهرب من مواجهتها لأننا نستثقلها. التهرب لا ينفعك، بل يوقعك في حيرة واضطراب كما حصل

لأصحاب هذا السؤال. واجِه الحقيقة، سلم لها، تقبلها، اعمل بحسبها... يعطِك الله الطمأنينة.

الحقيقة التي نتهرب منها هي أن هذه الدنيا دار بلاء وليست دار جزاء، وأن عقد الإسلام الذي وقَّعناه لم يعِدْنا بألا نُبتلى، بل على العكس تماما.

لقد تكرس في نفسياتنا أن الإسلام والتدين يعني تلبية رغباتك الدنيوية لأن منظومتنا التربوية في البيت، في المدرسة، في خطبة الجمعة تتَّسِمُ عموما بقلة الصدق والجدية في التعامل مع أمر الدين، وبالاهتمام بإنجاز السلوك أكثر من غرس القيم، وبالاستعجال في قطف الثمار والتهرب من العمل للآخرة... نتيجة لضعف اليقين أو غَلَبة الدنيا على تفكيرنا:

(صلِّ حتى تنجح في دراستك) ... (تصدق حتى تدفع الشر عن مالك)...(ابتعد عن المحرمات حتى يوفقك الله في حياتك)...

هناك عبارات نراها قليلة التأثير: (حتى يرضى الله عنك)، (حتى تدخل الجنة) ...فندعمها بمحفزات دنيوية، أو نجعل ثمرتها دنيوية: (يرضى الله عنك فيوفقك في عملك أو دراستك)! مع أن هذه المحفزات الدنيوية ليست جزءا لازما من عقدنا مع الله تعالى.

(يعني ما تعلمناه عن ديننا كان خطأ؟!) نعم، كان خطأ... وهذا ليس ذنب الإسلام، بل خطأ منظومتنا الفكرية التربوية.

حين عاهد النبي ﷺ الأنصار قبل الهجرة قال: «**تبايعوني علَى السَّمعِ والطَّاعةِ في النَّشاطِ والكسَلِ ، والنَّفقةِ في العُسرِ، واليُسرِ وعلَى**

الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المنكرِ ، وأن تقوموا في الله لا تخافون لومةَ لائمٍ ، وعلَى أن تنصرونيَ فتَمنعوني إذا قَدِمْتُ عليكُم ، ممَّا تمنعونَ منهُ أنفسَكُم وأزواجَكُم وأبناءَكُم ولَكُمُ الجنَّةُ» .قال فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيدِه أسعدَ بنَ زرارةَ -وهو أصغرُهم- فقال: رويدًا يا أهلَ يثربَ فإنا لم نضربْ إليه أكبادَ الإبلِ إلا ونحن نعلمُ أنه رسولُ الله وأن إخراجَه اليومَ مفارقةُ العربِ كافةً وقتلُ خيارِكم وأن تعضَّكمَ السيوفُ أما أنتم قومٌ تصبرونَ على ذلك وأجرُكم على الله وأما أنتم تخافون من أنفسِكم خبيئةً فتبيَّنوا ذلك فهو أعذرُ لكم عندَ الله قالوا أمِطْ عنا يا أسعدُ فوالله لا ندعُ هذه البيعةَ أبدًا ولا نسلُبُها أبدًا فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنةَ. (أخرجه أحمد ١٤٤٥٦)

كان رسول الله ﷺ إذا حفز الصحابة لشيء قال: (من يفعل كذا وكذا وله الجنة).

كثيرًا ما نتهرب من هذه الصورة الجادة التي لا يصبر لها إلا أهل اليقين.

هي جادة قليلة الزخارف، لكنها عظيمة تجعل لحياتك معنى ولا يرضى بها النبلاء بدلًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التَّوْبَة: ١١١] ... هذه الضمانة لكل مؤمن: الجنة.

أنت حين أسلمت... ألم تكن تعلم بهذا؟ هل فاجأك الإسلام بغير ما تم التعاهد عليه؟! هل أضاف الإسلام بنودا بعد الاتفاق والتوقيع؟!

حين قلت: (رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا)، ألم تكن تعلم أن

الله تعالى قال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨٦]؟!

ألم تكن تعلم أن الله قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥] ؟!

ألم تعلم بأنه قال:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٣١] ؟!

ألم تكن تقرأ قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العَنكَبُوت: ٢]...

ألم تكن تعلم بحال النبي وأصحابه في المرحلة المكية؟!

هل فاجأك الإسلام بغير ما تم الاتفاق عليه حتى تتشكك وتستاء؟!

ستقول لي: يعني الإسلام لا أثر له في سعادة الحياة الدنيا؟

بلى، الجماعة المؤمنة موعودة بالتمكين في الأرض والتبديل من بعد خوفها أمنا...أما الأفراد فكم منهم عانى في عهد النبي ﷺ وتوفي قبل أن يرى النصر وله في الآخرة جزاء الضعف...ومع ذلك كان هؤلاء أيضا في نعيم دنيوي هو نعيم الأرواح والقلوب.

انظر إلى الآيات التي تبشر المؤمن بحياة طيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النَّحْل: ٩٧] ، وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يُونُس: ٦٤] .

هتان آيتان في سورتين مكيتين (النحل ويونس)... في مرحلة اضطهاد المسلمين... ومع ذلك فهل استشكل الصحابة فهمهما؟ هل

قالوا لرسول الله أين الحياة الطيبة ونحن نُقَتَّل ونعذب؟

بل قرأوا الآيات وفهموها وعلموا أنها لا تعارض واقعهم لما وجدوه من نعيم قلوبهم. حياة الرضا والصبر والاحتساب والتطلع للآخرة والشوق إلى الله واسترخاص النفس في سبيله وحسن الظن به واليقين بمَعِيَّته.

نعيمٌ هو الذي قلَب سحرة فرعون في لحظة من دجالين إلى صدِّيقين لا يعبأون بتهديد فرعون، بل يقولون له: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٢ - ٧٣].

الطينيون المشكِّكون سيهزأون بنا ويقولون: انظروا إلى هؤلاء يصبرون أنفسهم بمثل هذا... ولا غرابة فهم لم يذوقوا هذا النعيم فكيف يفهمون؟! قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٦ - ٧].

فلهم ظواهرُ من مأكل وملبس وزينة وتفاخر... حياة بهيمية. ويوم القيامة سيعلمون أنها لم تكن حياة أصلا، وأن ما تصبرنا به هو الحياة: (يقول يا ليتني قدمت لحياتي)... أي الحياة الحقيقية في الآخرة. ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠].

❊❊❊

اللّه يوهن كيدهم

في صلاة الفجر لفت نظري قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]

يعني يُضعِفه..

لا تقلق كثيرًا من كيد الكافرين ودراساتهم ومراكز تخطيطهم ومؤتمراتهم ومؤامراتهم وترساناتهم وميزانياتهم للصد عن سبيل الله.

كل ما عليك كمسلم هو أن تعمل على بصيرة

والله يوهن كيدهم.

***

أسباب ضيق الصدر على مواقع التواصل الاجتماعي

إخوتي الكرام، عندما يتعرض أحدنا لما يحزنه فإن من أعظم ما ينفعه الله به أن يوفقه لمراجعة نفسه وتصويب أخطائها بدلا من الانشغال بالتظلم من الآخرين والشكوى منهم.

على مواقع التواصل الاجتماعي قد يصيبنا الغم والهم من تفاعلنا مع بعض الناس وسماع أذيتهم. تعالوا نرى أسباب ذلك على ضوء الكتاب والسنة:

١- التقصير في الإخلاص: فأحدنا عود نفسه على أن يتخذ من الإعجابات والمشاركات والتعليقات الإيجابية على المواد التي ينشرها مصدرا لتعزيز نفسه ودفعها إلى نشر المزيد من الكتابات. وقد ينسى

في ذلك تجديد النية واستحضار الإخلاص وجعل مرضاة الله عز وجل هي المحرك الأساس، وأن يجتهد في إصابة الحق ثم يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المَائِدَة: ٥٤].

إذا قصرنا في ذلك فإن صدورنا تضيق عندما نسمع ما يسوؤنا من البعض، لأنا عودناها على الحفاوة الزائدة بكلام الناس. وكما سُررنا بمن يمدحنا بما ليس فينا، فإنا نجازى بمن يذمنا بما ليس فينا!

٢- الاشتغال بالضمان عن الأمر: أَمَر الله عباده بأوامر وضمن لهم ضمانات. فالسعيد من اشتغل بالأمر، مؤمنا أن الله أصدق ضامن. والمحروم من انشغل بما ضمنه الله عما أمر به فأضاع كليهما!

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] .

الأمر: أن تكون من الذين آمنوا، والضمان: أن يدافع الله عنك.

وأقسم نبينا صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أمور منها: «**وما ظُلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا**».

والصبر المقصود هو الصبر الجميل، لا الصبر الذي يخالطه كثرة تأفف وقيل وقال وانشغال عن الدعوة النافعة.

فاشتغِلْ بما أمرك الله به و ثِقْ تماما وآمِن بأنه سيدافع عنك حينئذ.

٣- مخالفة أمر الله بالإعراض عن الجاهلين: طبعا ليس كل من يخالفنا جاهلا، لكن البعض لديه جهل في أسلوبه إذ يعتمد السباب أو الطعن في النوايا. ماذا أمرنا الله أن نفعل مع هؤلاء؟:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٩٩]

فالله تعالى يعلم أن الذي يأمر بالعرف لا بد أن يتعرض له الجاهلون،

فأَتْبَع هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ .

ضِيقُ صدرك قد يكون عقوبةَ مخالفةِ أمر الله، إذْ تحرص على رضا الجاهلين أو تشغل نفسك بمتابعة ما يقولونه فيك والرد عليهم.

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن:﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفُرْقَان: ٧٢] . ومرور الكرام يتطلب أيضا ألا يقف الإنسان عند كل من يؤذيه وينال منه.

من خالف أمر الله في هذا فإنه يبتلى بسيطرة أذية الجاهلين على تفكيره، فيصبح موجِّهُه فيما يقول ويفعل طلب مرضاة الناس وكف أذاهم، وبما أن رضا الناس كلهم غاية لا تدرك، وما يرضي بعضهم يسخط الآخرين، فإنَّ طالِبَ رضاهم يتخبط ويتردد وتتذبذب مواقفه وتخرج كلماته خجولة خائفة من ردات الفعل!

ومن أعرض عن هذا كله وجعل مرضاة الله نصب عينيه فإن الله يجعل لكلامه رونقا وقبولا وتأثيرا.

وإني أنصح كل من لديه صفحة يكثر التفاعل عليها أن يستعين بأحد المتابعين ليزيل الكلام المؤذي حتى لا يقرأه فيعمل في نفسه ويصده عما هو فيه من خير أو يؤثر في نيته، مع الإبقاء على الاعتراضات العلمية والمناقشات الجادة.

أسأل الله أن يرزقني وإياكم صلاح القصد وصواب القول والفعل والاشتغال بأمره سبحانه وأن يستعملني وإياكم في طاعته ويجعلنا من أنصاره.

***

سيماهم على لهم الرحمن من وشاب

من المفاهيم التي تحتاج تصحيحا اعتبار كثرة الأعداء دليلا على صحة المنهج. فهذه القاعدة ليست على إطلاقها، وإنما مقيدة بنوع الأعداء وسبب العداوة.

صحيح أن ورقة بن نوفل قال لنبينا صلى الله عليه وسلم: (لم يأت رجل قَطُّ بمثل ما جئت به إلا عودي). وصحيح أن قسما من الناس أصحاب نفوس مريضة تعادي الحق لأنه يسحب امتيازاتها ويكشف زيفها أو يعارض أهواءها التي هي مستعبَدة لها.

لكن عندما يكرهني المسلمون أيضا فإن علي أن أتهم نفسي! فإن من الخطورة حينئذ أن أعتبر هذه الكراهية (ظاهرة صحية) تدل على أنني على الحق المبين! من الخطورة أن أفترض أنهم يَنفرون عني لاستقامتي أو سلامة المنهج الذي أحمله بينما بعضهم ينفر مني لغلظتي وعبوس وجهي، والبعض الآخر لتقصيري في عملي أو لتناقُضي في سلوكي ووقوعي في معاصٍ أستهين بها بينما أضخم أخطاء غيري، والبعض الآخر لأني تمسكت من دينِ الله بجانب وتركت جانب الأخلاق، والبعض الآخر لأني أسأت الظن بالناس أو لم أقدر جوانب الخير فيهم، والبعض الآخر لأني خلطت انتصاري لنفسي بانتصاري للدين، والبعض الآخر لأني لم أعتنِ بمظهري وحسبت أن ذلك زهد جهلاً بالسنة، والبعض الآخر لسوء فهمٍ كان يـُمْكنني أن أشرحه لكن منعني كبْري.

من الخطورة أن أتغافل عن هذه الأسباب كلها وأضحك على

نفسي وأقنعها بأن هؤلاء جميعًا إنما ضايقهم النور الذي أحمله! وأنهم إنما يعادونني لاستقامتي!

الأصل في حامل الدعوة وصاحب الهمِّ للإسلام أن يكون محبوبا يوده المسلمون. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مَرْيَم: ٩٦] .

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ: إن اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبِبْه، فيُحِبُّه جبريلُ، فينادي جبريلُ في أهلِ السماءِ: إن اللهَ يحبُ فلانًا فأحبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السماءِ، ثم يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ**» (البخاري ٦٠٤٠، ومسلم ٢٦٣٧).

وفي الحديث الذي حسنه بعض أهل العلم: (المؤمن يألف و يؤلف، و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف، و خير الناس أنفعهم للناس)

وفي المقابل قال نبينا ﷺ منكرا على الإمام الذي كان يطيل في الصلاة: «**إن منكم منفرين**» (البخاري ٧٠٢، ومسلم ٤٦٦).

صحيح أن نبينا ﷺ قال: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كما بَدَأَ غَرِيبًا**» (صحيح مسلم ١٤).

لكن هذه الغربة حالة مؤقتة لا يستَمْرِئُها المسلم، بل يسعى في إصلاحها. فقد عرَّف نبينا ﷺ الغرباء بأنهم: «**الَّذينَ يُصلِحونَ ما أفسدَ النَّاسُ مِن بعدي مِن سُنَّتي**» (سنن الترمذي ٢٦٣٠).ولم يقل: الذين يتقوقعون ويكرسون الغربة عن الناس بسلوكهم الخاطئ.

فإذا مرت الأيام ولم يزدد الناس عنك إلا بعدت وجفوة، فاعلم أن الخلل ليس فيهم فحسب!

ليس حاملُ الدعوة مطالبا أن يجامل على حساب دينه ولا يسترضي الناس بكتمان الحق أو الزيغ عنه. لكنه في الوقت ذاته مطالب أن يترفق بالناس في عرض دعوته ويتخلى عن حظوظ نفسه ليعلم الناس أنه لا ينتصر لنفسه بل لدين الله تعالى. وحينئذ فإذا عاداه شرار الخلق والكفار فإن عامة إخوته من المسلمين سيحبونه ويلتفون حوله وتلهج له ألسنتهم بالدعاء...ولا عجب، فهو من الموعودين بأنهم: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مَرْيَم: ٩٦].

***

هل نفرح بالعيد؟

كثيرًا ما يتزامن عيد الفطر أو عيد الأضحى مع اضطهاد للمسلمين في بلد من البلدان. فيتساءل بقية المسلمين: (كيف نفرح بالعيد مع هذا) ؟

فنقول: افرحوا، بل وأظهروا فرحتكم بالعيد.

لأن الله الذي أمرنا أن نهتم لـمُصاب المسلمين هو سبحانه من شرع لنا أن نفرح بطاعتنا. قال تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] ، وقال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يُونُس: ٥٨]

فالأعياد احتفالات بطاعات وبفضل الله المنتظر عليها، سواء الصوم رمضان أو طاعات العشر من ذي الحجة.

أظهروا فرحة العيد إغاظةً لمن يريدون أن يفسدوها علينا. فإغاظة الأعداء قُربى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٠]. فهم يريدون أن يرونا في مشقة وحزن: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٨]..فلا تحققوا مرادهم!

أظهروا فرحة العيد تعظيمًا لشعائر الله.

قال ابن تيمية: (الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع)..

وقال ابن حجر: (إِظْهَار السُّرورِ فِي الأعيادِ من شِعَارِ الدِّينِ)..

وتذكر مع ذلك قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. أظهروا فرحة العيد حتى نبث الفرح بالشعائر في نفوس أبنائنا فيحبوا هذا الدين ويعظموه، ولا يروا الالتزام به مقترنًا بالحزن والكآبة. بل نريد أن نورثهم نفوساً قوة واستبشارًا يسهم في رفع الظلم بإذن الله.

أظهروا فرحة العيد لتكون دعوة لبقية الأمم إلى الإسلام حين يرون فرحنا بشعائر ديننا. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عن لعب الحبشة في المسجد يوم العيد: «**لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً؛ إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ**». (أخرجه أحمد ٢٥٩٦٢).

المهم: ألا يكون في الاحتفال بالعيد محرم، بل نتذكر أننا نعبد الله بإظهار فرحتنا، فكيف نعبده بمعصية؟!

فنَعَم، نتألم لإخواننا ونهتم بهم ونناصرهم بما استطعنا، ونفرح في الوقت ذاته بالعيد بطُرُق مشروعة ونغيظ أعداءنا بذلك.

كم بسمةٍ رغم الجراح أَبَنْتُها والخطب ينهش والرزايا تؤلمُ
وأُري بصبري من يريد شماتةً أني - وربي حافظٌ - لا أُهزمُ

اللهم كن مع إخواننا المستضعَفين في كل مكان، وأعِنَّا على نصرتهم، وانتقم من أعدائنا وأعدائهم، وأبرم لهذه الأمة أمر رُشد وعز وتمكين، واجعل لنا فيه يداً يا رب العالمين.

وكل عام وأنتم ومقدَّساتنا والمسلمون جميعًا بخير، والمجرمون والمنافقون في ذل وصغار و مكرهم في بوار.

تقبل الله منا ومنكم.

❋❋❋

المحور الثاني

مسؤولية

ما معنى أن يكون الإسلام قضية حياتك؟

عندك أولاد؟ مَنْ أَحَبُّهم إليك؟ تذكر معي الآن حركاته وبراءته واستقباله لك وتعلقه بك.

ثم، تصور أن هذا الولد، أو البنت.... اختُطف!

هل سيهدأ لك بال؟ هل ستستطيع ممارسة حياتك بأريحية دون البحث عنه والسعي في استرداده؟

أم أنه سيصبح قضية حياتك؟ تصحو وتنام على التفكير به

هكذا عندما يكون الإسلام قضية حياتنا.

لنا مجد إسلامي مختطف... لنا دَوْرُ ريادةٍ ضائعٌ... لن نكون أوفياء لدين الله حقا حتى تصبح هذه قضيتنا...

حينها، لن يكون عملنا لدين الله (رفعًا للعتب) في أوقات الفراغ! كما لن يكون بحثنا عن ابننا المختطف رفعا للعتب، بل سنسعى لاسترداده في كل اتجاه بعمل دؤوب لا كلل فيه ولا ملل، وكلما فترنا وأُنهكَتْ أجسامنا انقذف فيه الحنين إلى الولد فقمنا نشطاء من جديد يحدونا الأمل.

لو علمت أن استرداد ولدك يحتاج إلى التخطيط فستخطط، يحتاج إلى تعلم العلم فستتعلم، يحتاج إلى الصبر على الأذى فستصبر...لأنه ليس لديك خيار... إنه ابنك المخطوف!

لو علمت أنك ستُفني عمرك في الأخذ بأسباب استرداده فلن تبخل، حتى ولو علمت أنك لن تراه إلا لحظة قبل وفاتك... المهم ألا يبقى مخطوفا.

لن يُهَدِّئَ بالك، ولن يُسعدك، ولن يجعلك تستطيع وضع رأسك على الوسادة في أي يوم إلا إحساسك أنك استنفدت وسعك في التقدم خطوة نحو استرداده...

هكذا صاحب القضية... وفرقٌ بين النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة.

فاللهم اجعل الإسلام قضية حياتنا.

***

لحظةُ اليقَظةِ

عندما يقذف الله في قلبك الانتباه واليقظة من الغفلة، تصبح بعدها صاحب هم وقضية، من الذين وصفهم ابن الجوزي بقوله: (إن من الصفوة أقواماً منذ استيقظوا ما ناموا ومنذ قاموا ما وقفوا، فهم في صعود وترق، كلما قطعوا شوطًا نظروا، فرأوا قصور ما كانوا فيه فاستغفروا). قد تكون لحظة واحدة تجعل دين الله في بؤرة تركيزك.

فرق بين أن تظن نفسك مُلك نفسك وفي المقابل أن تُدرك أنك ملكٌ لخالقك، ومع هذا فقد اشترى منك ما يملكه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التَّوْبَة: ١١١] ...

فرق بين أن تحس أنك سيد يتفضل بالطاعة وقتما شاء، وأن تحسّ بأنك عند ترك الطاعة عبد آبق من سيده...

فرق بين أن تـُحَجِّم الإسلام في كيانك وبين أن تخضع له...

بين أن تأخذ منه بقدر ما تريد، وبين أن تهبه نفسك بقدر ما يتطلب منك...

بين أن تسمح له بالتمدد في حياتك بقدر ما تشاء وبين أن تكون زيتا يمد شعلته بالبقاء.

فرق بين أن تكون الحالة المبدئية لديك أنك لست مطالبا بشيء أكثر من (الفروض) فما كان زيادة على ذلك فهو منة! وبين أن تكون الحالة المبدئية أنك لله تعالى، فأيما وقت صرفته في غير مهمتك أحسست أنك تختلسه وتسرقه لا حق لك فيه.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأَنْعَام: ١٦٢] فرق بين التعامل مع نصرة الدين على أنها القضية الكبرى في الحياة، وبين التعامل معها ككمالية من الكماليات! إنه الفرق الذي ستدركه عندما يقذف الله في قلبك اليقظة.

لحظة اليقظة على سبب الوجود:

يا سعادة من أدركها في الحياة

ويا حسرة من لم يدركها إلا بعد فوات الأوان: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]

***

ماذا تعني الدعوة بالنسبة لي؟

تسألني إن كنت أستطيع أن أعيش من دون الدعوة إلى الله؟

ببساطة: الدعوة حولتني من إنسان إلى إنسان:

١. من إنسان في صدره تساؤل: (لماذا قدَّر الله الضلال على الغافلين؟) إلى إنسان يستمتع ويفرح بدلالة هؤلاء الغافلين على الله.

٢. من إنسان يقول في نفسه: (لماذا أُمتَحَنُ بالفتن وأُطالَبُ بأن أصبر عليها) إلى إنسان يتأمل جمال تفاعل الفطرة التي أودعها الله في نفوس الناس مع الوحي الذي نخاطبهم به.

٣. من إنسان يرى في أهل المعاصي خصومًا يريد أن ينجو من شرهم إلى إنسان يراهم رأس ماله ومزرعة بذوره، فبهدايتهم يتقرب إلى الله.

٤. من إنسان يركز على معاني التمايز عن الغافلين والاستعلاء الإيماني عنهم إلى إنسان يريدهم أن يركبوا معه في سفينة النجاة ويعلو بهم - لا عنهم - إلى رضوان الله.

٥. من إنسان تحبطه مظاهر المعصية في الناس إلى إنسان يكتشف ينابيع الخير العظيمة في نفوسهم.

٦. من إنسان (يندب حظه) أن جاء في هذا الزمان الصعب إلى إنسان يحمد الله على أن استعمله في هذا الزمان المليء بـ(**الفرص**)...

وبعد ذلك تسألني إن كنت أستطيع العيش بدون الدعوة؟ حياة بلا دعوة. هي حياة بلا حياة!

***

(لا تنفش رأسها)

يظهر وأنا أتكلم عن المرأة المسلمة في سلسلة (المرأة) أني (أنفش رأسها) (أُكْبر من قيمتها).. فتأتي تعليقات البعض معترضة على ذلك، وخلاصتها:(لا تنفش رأسها).

فأقول: بلى، أريد أن أنفش رأس المرأة المسلمة وأنفش رأس الرجل المسلم والطفل المسلم والطفلة المسلمة.. وأن أفعل هذا كله بالحق.

أريد أن أُشعِر المسلمين جميعًا بعظم قيمتهم كمسلمين، وبالفرق الهائل بينهم وبين سائر البشر..

ثم بعد ذلك نتكلم عن حقوقنا وواجباتنا تجاه بعضنا...

لكن في البداية، يجب أن نعيد لـمْلَمَة كياناتنا المبعثرة..وأن نَبُثَّ في المسلم والمسلمة تقدير الذات والاعتزاز بالهوية الإسلامية والنظرة الإيجابية إلى أنفسهم..

خاصة في هذا الزمان الذي يعمل فيه الإعلام على إشعار المسلمين برخص دمائهم وهوانهم حتى هُنَّا نحن أنفسنا على بعضنا إلا من رحم ربي..

في هذا الزمان الذي يَبُثُّ فيه بعض المتصدرين من صفوف المسلمين عقدة النقص واحتقار الذات والانبهار بالأمم الغالبة، ويُمَيِّعون الحد الفاصل بين الإسلام والكفر تحت عنوان (التسامح واحترام الآخرين)، والنتيجة أن يحس المسلم أن توحيده وإسلامه لا شيء ولا يعطيه مزية في الدنيا ولا في الآخرة!

وحتى الخطاب الوعظي غير الواعي كثيرًا ما يُكمل عملية التحطيم بالإكثار من اللوم والتقريع دون التعزيز والتشجيع!!

من أعظم ما أتقرب به إلى الله تعالى أن أُذَكر المسلم بأنه مهم، عظيم القدر عند الله بإيمانه، وأن الله كرَّم متعلقاته، فجعل دمه

وعرضه وماله حرامًا كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام..لأنه مهم...

أُذَكر المسلمة بأن الله صبَّ غضبه على الذي ينتقص من عرضها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النُّور: ٢٣ - ٢٥] .آيات مرعبات لمن يمس شرفها لأنها مهمة..

أذكر المسلمين أن عرش الرحمن اهتزَّ لموت مسلم (**سعد بن معاذ**)، وأن دمعةً منك عظيمة القدر في ميزان الله أيها المسلم تنجيك من النار بينما الأرض وما فيها لا تنجي الكافر..

نعم، أريد أن أنفش رؤوس المسلمين جميعا، فالرؤية التي نضعها نصب أعيننا وأعينهم رؤية عظيمة: الاستخلاف في الأرض وريادة الأمم في كل المجالات، ودعوة الناس لينعموا معنا بدين الله، واستنقاذ البشرية من الضلال والعبودية للمجرمين إلى سعة الدنيا والآخرة.

مهمةٌ عظيمة تحتاج نفوسًا عظيمة تقدر ذاتها وتحس بكرامتها على الله، غيرَ متأثرة بهوانها على الكافرين ولا على المنافقين والمنهزمين..

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المُنافِقُون: ٨] .

***

أنا أقل من أن أدعوَ غيري

من مكائد الشيطان أن يأتيك فيقول لك:

أنت أقل من أن تمارس الدعوة إلى الله. ادع نفسك أولا، وإلا فإنْ دعوت غيرك على ما بك من معاصٍ فأنت منافق.

الحق أنك ما دمت تنتسب إلى أمة محمد ﷺ فأنت مطالب بالدعوة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٠] .

مع أن الله تعالى يعلم أن هذه الأمة سيكون فيها الظالم لنفسه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فَاطِر: ٣٢]. لكنها جميعا مطالبة بالدعوة. بل المفرِّط أحوج إلى أن يمارس الدعوة من غيره: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هُود: ١١٤]. المهم أن تكون صادقا مع نفسك، مخلصا في نيتك، تدعو إلى شيء تعلمه لا عن جهل. وحينئذ فهذا أدعى إلى أن تتخلص من معاصيك وتفريطك بإذن الله لتحس بالانسجام مع ذاتك ولتعيش لذة احترام نفسك، وأدعى إلى أن يعينك الله تعالى ببركة دعوتك التي دعوتها ابتغاء وجهه الكريم.

قد كان لدي شخصيا نقائص... رأيتُني بعدما تصدرت للدعوة أتخلص من بعضها بفضل الله تعالى. يوم كنت في الظل لا أؤثِّر كان الاشتغال بالصغائر (مناسبًا) للنفس الصغيرة. فلما شاء الله أن نسلك

طريق الدعوة رأينا صغائرنا هذه جواذبَ وأغلالًا تُلصِق بالطين وتمنع من التحليق، فسهل بفضل الله تركها. ولا زال في النفس نقص نسأل الله أن يجبره ويجبر نقص المسلمين.

أخي، أختي، لا تقع في فخ الشيطان، لا تتواضع تواضعا سلبيا وتقول: (ليس لمثلي أن يدعو غيره). فإن هذا يعني إكمال النقص بنقص آخر! بل تقرب إلى الله بالدعوة ليعينك على جبر النقص.

***

أظهروا دينكم

إظهار اعتزازك بالإسلام من أوجب الواجبات في هذا الزمان. حتى لو كنتَ مقصرًا، وحتى لو كنتِ مقصرة ومتبرجة.

نعم...فالحرب على الإسلام تتطلب من جميع أبنائه وبناته أن يتصدوا لها، مهما كان لديهم من ذنوب ومعاصٍ..

النظام الدولي وأذنابه في بلاد المسلمين يسعون كل يوم جديد ليطمسوا معلمًا من معالم الإسلام، ويحاربوا شعيرة، ويُهاجموا مقدسًا، ويفرضوا قانونًا، ويشوهوا صفحات المناهج، وهدفهم واضح: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البَقَرَة: ٢١٧].

ما الذي يجعلهم يسرعون في سلخ الناس عن دينهم أو يبطئون ويترددون؟ ما يرونه من بقية حياة...فإن وجدوا حرارةَ إيمانٍ كفُّوا شيئاً من شرهم، وإذا رأوا أعصابًا باردة وقلوبًا ميتةً استمروا.

أمام هذه الهجمة، الكل مطالَبٌ بالتصدي...حتى أصحاب أكبر الكبائر ممن لا زال على الإسلام، نتناصح معهم داخليًّا كمسلمين، وقد نشتد على بعضنا في النصح كما تفرك إحدى اليدين الأخرى لتغسلا وسخهما، لكننا جبهة واحدة أمام أعدائنا.

أظهروا إسلامكم، أظهروا اعتزازكم به وتعظيمكم ومحبتكم له واستعدادكم للتضحية في سبيله...

أنت أستاذ في مدرسة؟ دكتور في جامعة؟ مدير في شركة؟ ابدأ حصصك/ محاضراتك/ اجتماعاتك باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، صلِّ وادع من حولك من تلاميذك/ زملائك أن يصلوا معك، أظهر غضبك إذا استُهزئ أمامك بالدين أو انتُهكت محارمه، مهما كنت مقصرا ومذنبًا، فأنت بذلك لا ترائي ولا تخادع وإنما تؤدي شيئاً من واجبك في إظهار دينك وإن قصرتَ في جوانب أخرى...

أنت طالب/ طالبة؟ أظهر شعائر الدين حتى وإن كنت مقصرا/ شارب خمر/ عاق والدين/ متبرجة...كل هذا وتظهر شعائر الدين؟! نعم، قد تقول: لكن الذي يعتز بدينه ويعظمه لا يعمل هذه المعاصي التي تذكرها...

بلى! يجتمع في الشخص الواحد الخير والشر والصلاح والفساد... ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢] ...أنت تُظهر الدين لا لتُقنع نفسك أنك قمت بما عليك وتعفي نفسك من ترك الذنوب، بل تكون قد أسأت في جانب وأصلحت في جانب، فترجو بذلك أن يتداركك الله برحمته ويعينك على إصلاح نفسك، وأن

تكون من أهل قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٢] ...ولا تلتفت لاستهزاء المستهزئين ولا لقول القائلين: (صرت شيخ/ شيخة؟!)...بل تَمَسَّك وبُثَّ روح العزة وانظر كيف سترفع بها الهمم بإذن الله.

شرع الله لنا رفع الأذان وتكبيرات العيد والفرح بالأعياد لإظهار الدين ولِعِلْمه سبحانه أن هذا مما يرفع الهمم ويبث العزة ويُثبت على الإيمان. وأعداء الإسلام يريدون لنا أن نمشي منفيين في أراضينا ونعيش غرباء في بلادنا... فلا تطيعوهم واعلموا أنكم أنتم بطاعة الله الأصيلون وهم المتطفلون... ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٢٨] .

فأظهروا دينكم.

***

تضحية في سياق مختلف

أخ حبيب، طبيب ذو عقلية فذَّةٍ، نال بعد الطب شهادات عليا من جامعات أجنبية في تخصصات نادرة محليا، وعرضت عليه فرص عمل في دول عربية وأجنبية بدخل مرتفع، لكنه بقي بجوار والديه في تلبية لطلبهما، وتوجه إلى القطاعات الصحية التي يستطيع من خلالها خدمة عموم الناس.

بشرني مرةً بأنه تمت ترقيته بما يمكنه من خدمة عدد أكبر من أهل البلد.

فهنَّأته وسألته: (هل راتبك يتجاوز المبلغ الفلاني؟) لأرى إن كان جهده مقدرًا بعض الشيء على الأقل، لأني أعلم أن الرواتب ضعيفة، فرد علي بهذه الرسالة المؤثرة:

لا أظنه يتجاوز.

هنا مقام شكر الله..ثم شكر أبي.

أبي شريك لي في كل هذا..كان يوصيني: انظر مصلحة أُمَّتك وبلدك وأهلك أين، وأنا أكفيك..

نحن في مقام التضحية دكتور.. تضحية في سياق مختلف..

نسأل الله القبول والمعونة..دعواتك.

ما أعظمه من مفهوم!: التضحية بمناصب ودخلٍ عالٍ خدمةً للأمة... تضحية في سياق مختلف لا تخطر ببالنا!

وما أجمله من أب يسد هذا الثغر بتفريغ ابنه لخدمة أمته... دفعني لأ أقول لصديقي: قبل عني يد أبيك..

درس لنا جميعاً... وحسب صديقي ووالده أن لهما ربًّا كريمًا مطلعًا على تضحيتهما لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

***

الأخ (معذور) وقصته الكاملة في سطور

في كل مرحلة عمرية أعذار لترك الالتفات إلى أمر الآخرة وتعلُّم الدين ونصرته:

من الولادة إلى ١٠ سنوات: معذور لأنه ما زال صغيرا.

من ١٠ إلى ٢٠ معذور لأنه (مراهق).

من ٢٠إلى ٢٨ معذور لأن عنده دراسة جامعية يجب أن يركز عليها لأنها (تحدد حياته) ثم البحث عن عمل، ومحاولة (إثبات نفسه) في العمل، وتنقل بين الأعمال لتحسين الراتب.

من ٢٨ إلى٤٠ معذور، فهو يجمع تكاليف الزواج، ثم معذور لأنه عريس، ثم معذور لأن لديه مشاكل مع زوجته!

من ٤٠ إلى٥٠ معذور لأنه يرعى الأولاد ويصرف على دراستهم ويبحث عن عمل إضافي ليوفر لهم تكاليف العيش.

من ٥٠ إلى٦٠ معذور لأنه يريد تزويج أولاده وتدريسهم بالجامعة، ومعذور لأن الأمراض بدأت تظهر ويصرف وقته في مراجعة الأطباء.

من ٦٠ إلى ما بعدها: معذور بكبر سنه وضعف ذاكرته وكثرة أمراضه.

ثم: (معذور) لأنه مات!!

تُرى، متى التفكير بالآخرة؟ متى تعلُّم ديننا ونصرته وخدمته؟ متى بناء ثقافة منهجية؟ متى الدعوة إلى الله على بصيرة؟

(طيب، وسعيي ودراستي وزواجي ورعاية أولادي... أليس هذا كله مما يحبه الله؟)

بلى، إذا كنت في هذا كله مستحضرًا الهدف الأعظم من رضا الله ورفعة الدين، بحيث تكون أعمالك هذه كلها منضبطة بهدى الله تعالى ومُسَخَّرة لهذا الهدف، مع تَوَازُنٍ وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، وهذا هو الأمر الذي لا يتحمل التأجيل ولا ينبغي الانشغال عنه بالأعذار في أي مرحلة عمرية.

***

المفتاح في إحدى الحفر!

تصور معي أمة من الناس حُبست في قلعة ضخمة لها باب... للباب مفتاح...المفتاح في حفرة من عشرة حفر في جدار القلعة... طيب لماذا لا يستخرجونه؟ سأخبرك: الحفر التسعة الأخرى في كل منها عقرب يلدغ لدغة مميتة! وهم يعلمون ذلك.. فالكل خائف من التجربة.

قام الأول فمد يده في الحفرة الأولى بقوة وشجاعة...لدغه عقرب...فوقع ميتًا!

قام الثاني واستفاد من تجربة الأول: أن المفتاح ليس في الحفرة الأولى...وضع على يده قماشة ومدها في الحفرة الثانية...لم تحمِه القماشة من لدغة العقرب...فوقع ميتا!

قام الثالث...ثم الرابع...ثم الخامس...كل منهم يحاول حماية يده من لدغة العقرب بما تيسر من الأسباب المتاحة، لكنه مع ذلك يُلدغ...

وفي كلِّ هذا عموم الناس يتفرجون على من يسقط ميتا...منهم

من يسخر، ومنهم من يصف المحاوِلين بالغباء والتهور، ومنهم من يغبط نفسه أنه نجا إذ لم يحاول! ومنهم من يترحم عليهم..

في النهاية، بعد تسعة قتلى، مد العاشرُ يده واستخرج المفتاح من الحفرة العاشرة، وفتح القلعة وسط تصفيق الناس وإعجابهم به!

فعلياً، من صنَع هذا النصر؟ هل هو العاشر وحده كما توهم كثيرون؟ أم أن التسعة الأولين لهم من النصر نصيب أعظم من نصيبه؟ ألم يكن الأول الذي اختار من بين عشرة حفر أعظم (إنجازا) من الذي اختار في النهايات بين حفرتين أو ثلاثة؟ وهذا بدوره أعظم إنجازًا من الذي مد يده إلى الحفرة الأخيرة المتبقية؟

أمتنا في حبسها الكبير...الفاشل حقيقة هو الذي لا يحاول حتى لا يُلدغ، ويفضل أن يبقى هو وأمته في السجن! وطلائع المجد التي تحاول – على بصيرة وحسن اتباع – ناجحة بكل المقاييس، ومشاركةٌ في النصر الذي سيظهر ولو بعد حين.

لكن بشرطين:

١. ألا تضع يدك في حفرةٍ دلَّ الشرع أو علمُ سننِ الله في الكون أن المفتاح ليس فيها!

٢. أن تستفيد من تجارب السابقين الذين لُدغوا وتبني عليها.

لا أن تكسل عن استعراض تجاربهم وتكتفي بالشجاعة والإقدام وحسن النوايا فتلدغ من حفرة لُدغ منها أخوك، إذ: (لا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين)!

لا مكان لليأس مع الإيمان.

أصحابي يمضون الساعات بمتابعة الأفلام!

أصبحت يوماً على رسالة من أحد الشباب يقول فيها:

(ممكن تتكلم في فيديو للشباب عن تضيع الوقت في الأفلام والمسلسلات الأجنبية بالساعات؟ وهذا غير البوبجي. أنا أغلب أصحابي بالنسبة لهم الأفلام جزء ثابت من يومهم. وهم بيتفاخروا بعدد الأفلام والمسلسلات اللي بيسمعوها! واحد زميلي في الدراسة بيقول في آخر اسبوع تقريباً خلص مسلسل ٣٠٠ حلقة!! التاني مبيطلعش من البيت إلا وهو محمل له كام فيلم يتسلى بيهم في المواصلات عقبال ما يوصل الجامعة! والمصيبة الأكبر في اللي بيحَمِّل ويوزع عليهم وبيبقى فرحان إنه منزل أفلام وسلاسل جديدة.

الواحد بيشوف المناظر دي قلبه بيوجعه والله!

ده حتى بالصدفة آخر صديق ملتزم إلى حدٍّ ما قاعد بيسمع جنبي فيلم في الموصلات فبَصِّيت بالصدفة لقيت الفيلم قلب علي مشهد إباحي!

ولا حول ولاقوة الا بالله) انتهت رسالة الأخ.

طيب....أنا أعلم أن عددًا من الشباب الذين تنطبق عليهم هذه الأوصاف يسمعني. فأحب أن أوجه لهم رسالة بالفعل: شوفوا يا شباب...سأبدأ لكم بكلام أحنّ الناس عليكم: رسولِ الله ﷺ الذي قال في الحديث الصحيح: «**ما قَعَدَ قَوْمٌ مَقعَدًا لا يَذكُرونَ اللهَ فيه ويُصَلُّونَ على النَّبيِّ إلَّا كانَ عليهم حَسْرةً يَوْمَ القِيامةِ، وإن دَخَلوا الجَنَّةَ لِلثَّوابِ**». (أخرجه أبو داود ٤٨٥٦).

تصور! ممكن نجلس نتكلم ربع ساعة/ نصف ساعة في كلام مباح...أنواع السيارات، غلاء الأسعار..أي شيء.. لكن في قلبنا غفلة عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسوله ﷺ في هذه الجلسة.

يوم القيامة، لـمَّا تُفرَد سِجِلات الأعمال ونرى تفاوت مراتب الناس، ونرى أنه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزَّلْزَلَة: ٧ - ٨] . حينئذ ستتحسر على هذه الربع ساعة التي لم تذكر الله وتصلي على رسوله فيها...مع أنك لم تعمل فيها منكراً.

لذلك سيدنا النبي ﷺ إشفاقًا علينا سن لنا أن نقول في نهاية مجالسنا: (سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك). بحيث لا تخلو مجالسنا من ذكر الله.

تصور لما تُمضي ساعات، مش في شيء مباح دون ذكر الله، بل في شيء حرام، تنظر إلى المسلسلات المليئة بما يغضب الله تعالى. مش خايف على نفسك من الحسرة والندامة في يوم قال الله فيه:﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مَرْيَم: ٣٩ - ٤٠] .

شوف الاسم: يوم الحسرة...

أيضاً من أسماء يوم القيامة: يوم التغابن: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ﴾ [التَّغَابُن: ٩] ... وهذه آية من سورة كاملة بهذا الاسم. ماذا يعني التغابن؟ يعني يَظهر للناس أنهم مغبونون. المغبون هو الذي يدفع الكثير فيحصل على القليل. دفعت عشرة آلاف في

سيارة بتسوى خمسة آلاف...نقول: أنت غُبنتَ فيها.

كذلك يوم القيامة، سترى أنك دفعت عمرك الذي كان يمكن أن تشتري به منزلة عالية في الجنة، لكنك لم تحصل الجنة أصلاً، أو حصلت فيها منزلة أدنى. وفي الحديث الصحيح يقول نبينا ﷺ: «**في الجنَّةِ مائةَ درجةٍ ما بينَ كلِّ درجَتينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ ، والفِردَوسُ أعلى الجنَّةِ وأوسطُها ، وفَوقَ ذلِكَ عرشُ الرَّحمنِ ، ومنها تُفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ ، فإذا سَألتُمُ اللهَ فسَلوهُ الفردوسَ**» (أخرجه الترمذي ٢٥٣٠).

أعرِفُ أحد الدعاة من مصر تأخرت هدايته حتى بلغ أواخر العشرين من عمره، وهو حاصل على الدكتوراه من كلية الزراعة بجامعة الأزهر. جاء الشيخ مقبل الوادعي من علماء الحديث إلى مصر. فهذا الدكتور صار ينتقل مع الشيخ مقبل بين المساجد ليسمع دروسه. بعد أحد الدروس جاء للشيخ مقبل سؤال: (فضيلة الشيخ، ما حكم مشاهدة مباريات كرة القدم؟)

فقال الشيخ: روى البخاري..

صاحبنا يقول:(أنا قلت في نفسي: الله! هو البخاري روى حديثا حتى عن مشاهدة كرة القدم؟!) تابع الشيخ: روى البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ**». (صحيح البخاري ٦٤١٢).

قال الدكتور: (أنا لما سمعت بركتُ على ركبتي أبكي!).

صحتك، فراغك...إذا كنت تدفعهما مقابل لا شيء، فأنت مغبون.

في الحديث الذي صححه الألباني بمجموع طرقه أن نبينا ﷺ قال عن رجل في قبره:

«ركعتانِ خفيفتانَ مما تحقرونَ وتنفِلونَ يزيدهُما هذا في عملهِ أحبُّ إليهِ من بقيَّةِ دُنياكُم».

يعني الواحد فينا لما يموت تنكشف له الحقائق. فلو رُدَّ إلى الحياة من جديد وقيل له: ما رأيك؟ تصلي ركعتين؟ ركعتين خفيفتين (مما تحقرون وتنفلون)...يعني انت يمكن دخلت المسجد، نظرت إلى الساعة، بعد ثلاث دقائق تقام الصلاة..تقول في نفسك: (أصلي تحية المسجد؟ ولَّا مفيش وقت؟ خلص خليني أصلي ركعتين خفيفتين)... وأنت تستقل أجر هتين الركعتين.

لو أُعطيتَ فرصة الحياة بعد الموت وخُيِّرْتَ بين هتين الركعتين، أو أن تعيش في الدنيا طولًا بعرض تستمتع بها. فلا طبعًا! ستختار الركعتين. لماذا؟! لأنك سترى بعد الموت أن الدنيا فانية، متعتها زائلة، بينما الركعتان تنفعانك ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨ - ٨٩]، فتسهلان عليك الوقوف في يوم القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة كما في صحيح مسلم.

الركعتان قد تثقلان ميزانك فتدخلانك جنة قال فيها النبي ﷺ كما في البخاري: **«ولَقَابُ قَوْسِ أحَدِكُمْ - أوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ - مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا»**.

طيب انظر فيَّ شوية...مش كلكم...أنت وأنت وأنت... بعضكم...قرأت عينيك! تقول في نفسك: (أصلًا أنا هذه الآيات

والأحاديث بصراحة أنا مش متأكد أنها صحيحة. إيش عرَّفني أنه رسول الله حقا؟ ايش عرَّفني أن الأحاديث حفظت؟ ايش عرَّفني أن القرآن من عند الله؟ مش يمكن كلام بعض اليوتيوبرز المشككين صحيح والإسلام اختراع بشري و..و..).

أيواااه....شوف كيف حضرتك تضيع عمرك ثم تدلي أذنيك لهؤلاء المموَّلين من أعدائنا ليفتنوك عن دينك!..لم تبذل جهدا ولم تُمضِ وقتاً في دراسة دينك، ولا في تعلُّم التفكير الناقد حتى لا تنخدع بهؤلاء، ثم عرَّضت نفسك لفتن الشهوات، فاجتمعت عليك الشبهات والشهوات!

أذكرك بآيات عظيمة مخيفة في سورة الحديد...﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢] شوف هذا المشهد الجميل! الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه المؤمنون يدخلون الجنة يحفهم النور.

لكن في المقابل هناك أناس حالهم مختلف تماماً!: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾

يا جماعة الدنيا عمال بتظلم حوالينا امشوا شوي شوي علشان نستطيع نستفيد من نوركم.

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ لا، معلش! كل واحد بياخذ نوره من أعماله، نحن اكتسبنا نوراً من مشينا إلى المساجد في

الظلمات.. اكتسبنا نورًا من قراءة القرآن وتعلُّم ديننا وغض أبصارنا وأسماعنا عما يغضب ربنا.

ثم تأتي اللحظة الحاسمة المخيفة: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] من جهة المؤمنين الرحمة، ومن جهة المنافقين العذاب.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ينادي الذين وراء السور المؤمنين: ألم نكن معكم في الدنيا؟ فيرُدُّ عليهم المؤمنون..

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ [الحديد: ١٤ - ١٥] أول وصف دمر هؤلاء: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ...عرضتموها للفتنة... نظرٍ إلى الحرام وسماعٍ للحرام، وأنت تعلم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

لطخت مرآة قلبك التي خلقها الله صافية فأصبحت ترى الحق باطلا والباطل حقا، فدخل النفاق إلى القلب.

﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ﴾. شككتم في الدين.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾. أتْبعتُم أنفسَكم هواها وتمنَّيتم على الله الأماني وقلتم (الله غفور رحيم)، كما قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

الله غفور رحيم ولكنه أيضا قال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المَائِدَة: ٩٨] .

فلمَّا تعرض نفسك للفتن ثم يقسو قلبك وتبدأ تستثقل قراءة القرآن وتكره بعض أحكام الإسلام وتحب المعاصي، فتذكر أنك أنت الذي فعلت ذلك بنفسك: (ولكنكم فتنتم أنفسكم).

في الحديث القدسي العظيم الذي رواه مسلم يقول رب العزة عز وجل: «**يا عِبَادِي إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا. فمَن وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ**» (صحيح مسلم ٢٥٧٧).

أنا يا شباب لا أريد لكم أن تندموا...أضعتُ من عمري الكثير في صغري ثم ندمت، وذقتُ مرارة الندم. فلا أريد لكم أن تذوقوها.

عوداً إلى رسالة الشاب: يقول أن بعض الشباب يفاخر بالأفلام التي يحضرها. أُذَكِّر من يفعل ذلك بالحديث الذي رواه البخاري أن نبينا ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عنْه**» (صحيح البخاري ٦٠٦٩).

– قد يقول قائل: (ليش هو يعني أنا ماذا فعلت حتى أستر على نفسي؟! إيش اللي عملته لما أشاهد هذه الافلام؟)

– أيواااه! إذا لم تعد ترى متابعة الأفلام ورؤية العورات والتعلق بالفساق وتحريك عاطفتك بما يسخط الله...إذا لم تعد ترى هذا منكرا

تستحي منه فهذا علامة موت القلب! إذا لم تعد تستحي من ذلك فاعلم أن الإيمان يرفع منك. قال نبينا ﷺ: «**الحياء والإيمان قرناء جميعا. فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**». (أخرجه الحاكم ٥٨).

- أنت تجادل في كونها منكرًا وإثمًا عظيمًا؟ طيب، تصور لو النبي ﷺ جالس بجنبك وأنت ماسك الموبايل وأنت تنظر إلى هذا الفيلم. بالله عليك هل سترى أنه ليس فيها أي حاجة والأمور عادية تمامًا؟! هل ستجادل النبي ﷺ أن هذا حرام ومنكر؟ فالله أحق أن تستحيِيَ منه.

- هل أنت مستعد قبل أن تنظر إلى هذه الافلام والمسلسلات أن تقول (بسم الله)؟ يا حسرة والله اذا كنا مضطرين نجادل في هذه الأمور. فهذا علامة موت القلب! فروح أسعف قلبك.

- يقول الأخ أيضاً في رسالته أن بعض الشباب يُحَمِّل الافلام ليتفرج عليها في الطريق، وكأنه نوع من استغلال الوقت!

- أقول لك شيئا يا اخي: هذه النصف ساعة والساعة في الطريق...هذه تبني شخصيتك. أنا بالنسبة لي بفضل الله تعالى تعلمت وكثيرًا من العلوم الشرعية والتاريخ والرقائق وكثيرًا مما ينفعني في ديني ودنياي، تعلمته في المواصلات وتعلمته وأنا أسوق السيارة.

- كثير من الإخوة يسألني: يا أخي كيف جمعت بين بعض العلم الشرعي والعلم في الصيدلة والأنشطة الدعوية كالتحضير للحلقات؟

- المسألة ليست عقدة يا جماعة...أنا في صغري أضعت الكثير

من الوقت. لكن لما الواحد صحي والحمد لله صرت أحرص على استغلال وقتي بحيث لا تمر ساعة إلا فيما ينفع؛ مش شرط قراءة ودعوة...بل حتى لـمَّا ألعب مع أولادي أو أخرج في نزهة مع عائلتي أحتسب الأجر في ذلك، ولا أضيع وقتي فيما لا يرضي الله عز وجل.

- الأخ صاحب الرسالة يقول أن هناك من الشباب من يوزع على أصحابه آخر الأفلام.

- يعني يا صديقي هل حضرتك حريص أن تكون هذه صدقة جاريةً لك بعد مماتك؟! أُذكرك بقول النبي ﷺ: «**مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا**» (رواه مسلم ٢٦٧٤).

- هل أنت مستعد لأن تلقى الله عز وجل بجبال من السيئات من أثر هؤلاء الذين دللتَهم على الشر؟ يا جماعة ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزَّلْزَلَة: ٨] ..ذرة، ذرة، ذرة! فما بالك عندما تكون سببًا في أن ينظر أصحابك إلى الحرام والمنكرات التي تقسي القلب وتحبب اليهم الكفر والفسوق و العصيان وتجعلهم في غفلة عن ذكر الرحمن؟!

- قال ابن القيم: (للعبد رب هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمِّر بيته قبل انتقاله إليه).

- وتذكروا ختامًا إخواني: (ما قعدَ قَومٌ مَقعدًا لا يذكرونَ اللهَ فيهِ ويصلُّونَ علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلَّا كانَ عليهِم حسرةً يَومَ القيامةِ وإن دخلوا الجنَّةَ للثَّوابِ).

اللهم يا ارحم الراحمين يا رب العالمين اهدِ شباب المسلمين واجمعنا بهم في ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك، ولا تجعلنا نندم يوم الحسرة، ولا تجعلنا مغبونين في صحتنا ولا في شبابنا ولا في أوقاتنا إنك أنت الرحيم الكريم الجواد العظيم.

***

بعدما نشرنا الكلمة السابقة (أصحابي يمضون الساعات بمتابعة الأفلام) حصل تجاوب جميل جدا من الشباب وتردد عند البعض، فنشرنا الكلمة التالية:

***

كيف نثبت بعد التوبة؟

أحبتي الكرام، المتابع معنا رأى التجاوب الرائع من الشباب مع الكلمة التي نصحنا فيها باستغلال الأوقات وترك متابعة المسلسلات.

كثير منكم يا شباب عاهد الله أن يترك متابعة ما يغضبه.. بعضكم قال أنه مسح من جهازه مئات الجيجابايتس من الأفلام التي كان جمعها ليَحْضُرها، بعضكم شطب نيتفليكس من جهازه. فالله يسعدكم ويبارك فيكم.

وهذا عظيم وجميل. ورقةُ القلوب هذه مبشرة بخير قادم لأمة محمد ﷺ بإذن الله.

كلمتي هذه هي لتثبيتكم حتى لا تضعفوا من جديد.

أيضاً، كثير منكم قال: (أنا سأحاول أن أتوقف عن متابعة الحرام)....كلمة (سأحاول) هذه كثيراً ما تعني: (سأجرب أن أطيع الله)! لأنك لـمَّا تقول: (سأحاول ما استطعت)..طيب أنت تعلم أنه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] . فإذا استعنت بالله ستستطيع. لكن دعني أساعدك على قراءة نفسك قليلاً: (سأحاول) قد تعني (سأجرب)، يعني إذا لم أحس بالملل والكآبة والجفاف بعد ترك المسلسلات والإنمي وإضاعة الساعات في الألعاب فسأستمر في طاعة الله..إذا أحسست بالحياة الطيبة التي تتكلمون عنها بعد طاعة الله فسأستمر. وإذا ملَلْتُ أو جفَّتْ حياتي فسأضطر أن أعود إليها. ولأجلكم أيضاً يا من تفكرون بهذه الطريقة أنشر هذه الكلمة.

فكلمتي هذه هي لتثبيت مَن أقبل ولتشجيع المتردد.

شوفوا يا شباب... ما تحتاجونه هو شيئان:

إحراق السفن والتعلق بمحبوب.

ماذا يعني هذا؟

أولاً: بالنسبة لإحراق السفن: قيل أنه لـمَّا طارق بن زياد غزا الأندلس أحرق السفن التي جاء بها هو وجنده وقال لجنده: (العدو من أمامكم والبحر من ورائكم)..يعني لا تفكروا بالهروب. لا يوجد خياران: محاربة العدو أو الفرار...إذْ إنه لا توجد سفن.. فالفرار يعني الغرق في البحر. فجاهدوا العدو فهذا خيرٌ لكم.

الآن جزئية أن طارقًا بن زياد أغرق السفن الظاهرُ أنها لا تصح تاريخيًّا. لكن ذكرناها لنقول لك: مع الله أحرق سفنك. على شاطئ

السماء أحرق سفنك. إذا كنت تريد أن يعوضك الله عما تركته لوجهه من حرام ويجعل حياتك طيبة فلا تفكر في خيار الرجوع. لا تحفظ خط الرجعة. في المثل الأجنبي يقولون: (don't break the bridges)....
لا تكسر الجسور، يعني احفظ خط الرجعة... أما مع الله فلا...عندما تُقبل عليه كسِّر الجسور التي يمكن أن تعيدك لمعصيته.

كنتُ متعلقًا بالموسيقى...ولا أريد هنا أن أُفَصِّل في حكم الموسيقى.. ولا شكَّ أن الموسيقى لا تقارَن بالأفلام والمسلسلات الي هي باكج كامل من المحرمات ومفسدات القلب.

لكن محل الشاهد ببساطة هو أني اقتنعت أن عليَّ تركَ الموسيقى لوجه الله، وأنها تُكَبِّلني في طريقي إلى الله. وكان الناس يومها يستعملون الأشرطة.. فأتذكر لما أمسكت شريطا عندي به أكثر مقطع موسيقي أحببته، فكسرته بيدي، كإعلانٍ عن حرق السفن...إعلانٍ عن bre-aking the bridges التي تعيدني لشيء اقتنعتُ بحرمته. ووالله لقد أبدلني الله خيرًا منها.

لذلك أحيي الشباب الذين قالوا لي: (حذفت/ ألغيت/ شطبت الأفلام وقنواتها). سلم الله أيديكم وأكرمكم.

لما أنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المَائِدَة: ٩٠] ...ماذا فعل الصحابة؟ كسروا قلال الخمر فسالَتْ في الطرقات...الإسلام ينهى عن إضاعة المال عمومًا. لكن هذا الكسر كان كأنه إعلان كسْرٍ للتعلق بالخمر وإخراجٌ له من قلوب الصحابة.

الإسلام يعني الاستسلام لله...يعني مفيش حاجة اسمها تحفظ خط الرجعة. مفيش شيء اسمه رِجْل قدام ورِجْل ورا!

بل إقبالٌ على الله بلا نظرٍ إلى الخلف، وأنت كلك يقين بأنه سبحانه لن يضيعك، لأنك موقن برحمته وحكمته سبحانه...﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجْدَة: ٢٤].

القصة التي نعرفها من صغرنا... عجيبة لكن صحيحة، فهي في حديث أخرجه البخاري ومسلم.

الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا...جاء إلى راهب فقال: (هل لي من توبة؟) قتلتَ تسعة وتسعين نفسًا! لا...ليس لك توبة.

- ليس لي توبة؟! إذًا (خربانة خربانة!)....قتل الراهب... فكمل به المئة!

- الرجل شاعر في داخله أن الله أرحم من أن يصده ولا يقبل توبته...لكن لا يعرف ماذا يفعل...سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على عالم: (هل لي من توبة؟).

- (نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم. ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)..

- تعرفون الحديث كيف أنه خرج فمات في الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. الله عز وجل غيَّر في جغرافيا تلك الأرض ليصبح الرجل أقرب لأرض الصالحين وليدخله في رحمته.

– محل الشاهد: هذا الرجل...هل خرج إلى أرض الصالحين في رحلة استكشافية ليرى إن كانت تعجبه؟ أبدًا...بل هو خرج مضحيًا ببيته وصُحبته وماضيه، عازمًا فيما يظهر على التزام أمر العالم: (ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء). لن يرجع إلى المعصية. رجلٌ أحرق سفنه وأقبل على الله بصدق. ما فعل هذا إلا وهو يوقن بالله وبرحمته وبأنه لن يضيعه..فغفر الله له مع أنه قتل مئة نفس.

– لما تتقرب إلى الله بهذه النية الصادقة ماذا يحصل؟

يأتيك الجواب في الحديث القدسي العظيم الذي رواه البخاري ومسلم. يقول الرحمن عز وجل: «**ومَن تَقَرَّبَ إليَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا**».

ومن «**تقرب إليَّ شبرًا**»...على سبيل التجربة؟ يريد أن يجرب العلاقة مع الله وحافظ خط الرجعة في حال لم تعجبه؟ لا طبعًا...من تقرب إليَّ بصدق...

«**ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإذا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي، أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ**» (صحيح مسلم ٢٦٧٥).

يا أخي ما هذا الجمال؟! إيش هذا الجمال في ديننا؟! ما هذه الرحمة والكرم والود الإلهي؟! بالله عليك ربك بعد هذا تجرب طاعته تجريباً؟! أم ترتمي على أبواب رحمته ثقة وتسليماً وحباً وتعظيمًا؟

شاعر بصعوبة قطع الصلة بالحرام؟ تذكر قول ربك عز وجل في الحديث القدسي الذي رواه مسلم:

«**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**». ربك الذي يُقبل عليك ويأمرك بطاعته يقول لك: استعن بي.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق: ٣] . من أعلى مقامات التوكل أن تتوكل على الله في إعانتك على التزام طاعته.

فإذا قلت في نفسك: سـ(أجرب) طاعة الله وترك معصيته.... فاسمح لي أن أقول لك: (ستفشل التجربة! والسبب معروفٌ من جملتك! فالله تعالى يوقَنُ به، ولا يـُجَرَّب).

لن تذوق حلاوة الإيمان إن كنت تريد أن (تجرب) الاستقامة فترة، فتطرد المعاصي من قلبك لكنك تقول لها: (ابقي قريبة، فقد أحتاج إليك من جديد إذا جفَّت حياتي ولم أُحَصل ما أرجوه من راحة في العلاقة بالله)! ثم تعطي الدين فرصة، وتجلس تنتظر منه الفتوحات والتَّجَلِّيات والنفحات...حتى إذا لم يحصل من ذلك شيء عذَرْتَ نفسك وقلت: (جربت التدين ولم يحقق لي السعادة)!

لا! الإقبال على الله لا تجريب فيه.

-يعني أنا لما أعزم على أن أطيع الله لن أعمل أي حرام؟ وإذا عملت بشيء حرام أكون كاذبًا في إقبالي؟!

- لا...لا أقول لك ذلك...سيهجم على قلبك لصوص السوء (المعاصي)..لكنك تراهم لصوصًا وتعاملهم كلصوص، فتستعين بالله على طردهم.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٥] ...فلا إصرار على الحرام ولا تبرير للحرام. أما أن تستأنس بهؤلاء اللصوص (التعلق بالمعاصي)...وتُبقيهم قريبين...وتعطي الدين «فرصة مؤقتة»، وتتوقع من الله أن يَعمُر قلبك بالإيمان..فأخشى أن هذا فيه استهانة وسوء ظن بالله.... ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأَنْعَام: ٩١] .

إذاً هذه أول تذكرة للذين قالوا (سنترك الحرام) حتى يستمروا، وللذين يترددون حتى يُقبَلوا:

إحراق السفن بثقة وإيمان وتسليم لمن أنت مقبلٌ عليه سبحانه، وطرد المعاصي من حياتك، والتعامل مع هجماتها عليك كلصوص فتستعين بالله عليها.

-(طيب نفترض أني تبت توبة صادقة وأحرقت سفني ثم بعد ذلك عدت للمعصية..أستسلم؟ هل هي فرصة واحدة في العمر؟)

أبدًا، بل تبقى تتوب، وترى أين كان الخلل لتصلحه، ولا تيأس.

في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فقالَ**: رَبِّ أَذْنَبْتُ فاغْفِرْ لِي، **فقالَ رَبُّهُ**: **(أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي**»...فهذا العبد اعترف بذنبه ولم يكابر، وتوقف عن الذنب ولم يصر، وأقرَّ بأن له ربًّا يغفر ويعاقب. فكانت تلك أسبابًا في أن يغفر الله له.

يتابع رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ الله، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فقالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ** - يعني ذنبًا آخر - **فاغْفِرْهُ. فقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ**

أَذْنَبَ ذَنْبًا، قالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ، فاغْفِرْهُ لِي، فقالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا، فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ» (صحيح البخاري ٧٥٠٧).. – ثلاثًا – يعني قال الله تعالى: **غَفَرْتُ لِعَبْدِي، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، غَفَرْتُ لِعَبْدِي**، وقوله سبحانه: **فليعمل ما شاء**، يعني ما دام في كل مرة يستغفر ويتوب توبة حقيقية فالله يغفر له.

***

إيش طالع بإيدنا نعمل؟

قد يكون هذا أكثر زمن بيدنا أن نعمل فيه أعمالًا مؤثرة في حياة أمتنا تثقل موازيننا عند ربنا. كيف؟

الهزيمة النفسية تتسرب للقلوب عند قطاع عريض من المسلمين، مصطحبةً معها الشكوك والشبهات..

كثير من شبابنا فاقد لأبسط المعلومات الدينية وفاقد للحصانة الفكرية تمامًا. معلومات بدهية بالنسبة لك قد تغير حياتهم ونظرتهم للأمور تمامًا، مع شيء من المتابعة والاهتمام بهم.

هذا جهاد بكل ما في الكلمة من معنى. ولطالما شكا حاملو الهم من تشوقهم للجهاد وصعوبة سبله. فها هو الطريق مفتوح أمامكم! فأين الهمم؟

اهتمامٌ منك بأحد الشباب تناقشه، تبني فيه اليقين بدينه، تزيل شكوكه، ترفع معنوياته، تبصره بدوره، قد يكون سببًا في إنقاذه من الخلود في النار! وتحوله إلى جندي آخر من جنود الإسلام.

هو ذاته، إذا تركته، فسيقع فريسة لشياطين الجن والإنس ويصبح عدوا جديدا للإسلام وخنجرا جديدا في ظهر الأمة.

لا تستهن بأي معروف، فقد قال نبينا ﷺ: «**لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا**» (صحيح مسلم ٢٦٢٦). أمتنا كالمريض المثخن بالجراح لكن عندنا من الله ضمانة أنه لن يموت. فأي دواء نافع يمكن أن تقدمه له سيسهم في عافيته واستعادة قوته ولو بعد حين.

- بناء مشروعك الذي تخدم به أمتك يحتاج طول نفس ومجاهدة للنفس وكسلها وأهوائها ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العَنكَبُوت: ٦٩].

- تعلُّمُك للعلم النافع بحيث تُثَبِّت أبناء المسلمين على الإيمان من أعظم المشاريع. هناك ملايين من أبناء المسلمين عندهم فراغ فكري كبير، الذي يسبق إليهم يؤثر فيهم.إذا سبق أهل الشهوات والشبهات جروهم إلى جهنم، وإذا سبقتَ إليهم أخذت بأيديهم إلى الجنة بإذن الله.

- دونك ميادين العمل، بالانخراط في الدورات **العقدية، الفكرية، والمنهجية** المتصدية للهجمات على أمتنا، وما أكثر هذه الدورات في أيامنا وما أنفعها بفضل الله، وأطروحاتها بصيرة بالواقع مواكبة للمستجدات.

حتى الأعمال الروتينية التي كنت تعملها بأهداف دنيوية كالدراسة والعمل تصبح بعد اليقظة تحتسب بها الأجر وتسعى إلى إتقانها بنية صالحة وهدف عظيم أنك تريد أن تسهم بها في نجاة أمتك.

أمامنا الكثير لنعمله، وما نحن فيه ما هو إلا جزء من أقدار الله ليبلونا أينا أحسن عملًا..

- ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٤٨] .

- ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحَدِيد: ٢١] .

- ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٣] .

***

كلماتي لن تؤثر، فغيري أحسن مني

دار نقاش بيني وبين أحد الإخوة الذين أحبهم في الله. عبَّر لي عن هاجس يثبطه عن الدعوة إلى الله ومحاولة إصلاح الواقع، وقد كان هذا الهاجس نفسه يأتيني، وأظنه يأتي لكثير منكم يا كرام:

(لماذا أتكلم؟ لماذا أحاول أن أغير؟ كلماتي لن تحدث فرقًا كبيرًا... غيري أحسن مني... فلان أتقى مني فيما أحسبه، والآخر أعلم مني، والثالث أكثر إخلاصًا فيما أحسبه. فهل سيَفتح الله عليَّ بما لم يفتح عليهم؟! هل سيجعل لكلماتي أثرًا أكثر مما جعل لكلامهم؟! على ماذا؟)..

نعم، كان هاجسًا يأتيني فيَغلبني حينًا ويُثَبِّطني عن كتابة المقالات وتصوير الحلقات والسلاسل، وأَغْلِبه حينًا فأتشجع وأمضي في طريقي...

قلتُ للأخ، وأقول لكل من يأتيه مثل هذا الهاجس نفسَ ما تعلمتُ أن أخاطب به نفسي:

مش شغلك! الله يفتح على من شاء بما شاء، ويوفق من شاء لما شاء. قد يكون فلان وفلان خيراً منك وأكثر علمًا وإخلاصاً وأقرب إلى الله وأعظم عنده منزلة، لكنه قد يفتح عليك أو على أي عبد من عباده برحمة وتوفيق، ويُجري على يدك خيرًا لم يُجره على يد من هم خيرٌ منك.

ما تظنه (تواضُعًا) في هذه الحالة هو نزغة شيطان إذا ثبطك عن نقل هذا الخير للآخرين! مدخلٌ خفي من مداخل الشيطان لنفسك فاحذره!

أيّةُ حميَّةٍ للدين وغيرةٍ عليه، أيّةُ إرادةِ خيرٍ بالناس وإشفاقٍ عليهم من الباطل، أيّةُ لحظة يمتلئ فيها قلبك حبًّا لله ورسوله وكتابه وشريعته، فتدفعك إلى كلمة طيبة ودعوة خير، فحياة قلبك هذه نورٌ رزقك الله إياه، ليس من حقك أن توقفه عندك! بل أشعَّ به على الآخرين.

نعم، ليس من حقك (ولا أقولها كفتوى تحريم وإنما كموعظة تحفيز)، ليس من حقك أن توقف الخير عندك.

فدعك من تثبيطٍ يُلْبِسه الشيطان لك لباس التواضع!

وإنما ألزم نفسك بأمرين:

١. إخلاص النية لله، مع الصدق والتوازن، بحيث لا تتصدر لدعوة الناس وأنت مهمل لنفسك وتزكيتها ولمن لهم حق عليك كأهل بيتك.

٢. وألا تتكلم في مسألة إلا بعلمٍ، باذلاً جهدك أن تصيب.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

[التَّوْبَة: ١٠٥]

***

لا بدّ أنْ تَفْتُرَ

لا بد أن تفتر أحيانا وتغفل أحيانا.

لكن: فَرْقٌ بين أن تحس بأنك نزلت عن شواهق الجبال التي ارتضاها الله لك، فلا تلبث أن تشعر بتأنيب النفس ووخز التقصير فتصعد من جديد...

وبين أن تستمرئ الجلوس في القيعان ولا تتسنم ذروات المجد إلا قليلا...

قال نبينا ﷺ: «**إن لكلِّ عملٍ شِرَّةً، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فمن كانت فَتْرَتُهُ إلى سُنَّتِي، فقد اهتدى، ومن كانت فَتْرَتُهُ إلى غيرِ ذلك فقد هَلَكَ**» أخرجه أحمد (٦٩٥٨). «**إن لكل عمل شِرَّةً**»، أي: نشاطًا ورغبةً، «**ولكلِّ شِرَّةٍ فَترةٌ**»، أي: ضعفٌ وفتور. ففتور الهمة أحيانًا لا بد منه. لكن المهم ألا تنزل خلال هذا الفتور عن السنة، وهي هنا بمعنى هدي النبي ﷺ من الالتزام بالفروض والابتعاد عن المحرمات. فالعبد العاقل يستغل فترة همته ونشاطه ليحلق عاليًا، بحيث إذا فتر لم ينزل عن الحد الأدنى المطلوب.

***

ماذا تحب مني أن أفعل يا رب؟

عندما أنظر إلى الخير الذي أجراه الله تعالى على يدي الدكتور الكويتي عبد الرحمن السميط رحمه الله أقول: سبحان الله!

كثيرون عندما يرون ما يحصل في العالم من مجاعات يتساءلون: (لماذا يا رب؟)! بينما د. عبد الرحمن السميط رحمه الله سأل: (ماذا تحب مني أن أفعل يا رب؟) فالمعاناة والمآسي التي بسببها يسخط البعض أو يتشككون هي نفسها التي دفعت السميط إلى أن ينزل إلى الميدان، يعالج المساكين بالطب الذي تعلمه، يدعوهم إلى الإسلام، يرويهم، يطعمهم، يفتح لهم المدارس والمساجد..

فأجرى الله على يديه بركة عظيمة.

فما هو سبب شك أو كفر للبعض هو سبب خير وأجر عظيم وفتوحات بإذن الله لآخرين.

المفتاح هو أن تفهم مقام العبودية، فتعلم أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل، وتسأل السؤال الصحيح: ماذا تحب مني يا رب أن أفعل...

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [المَائِدَة: ٥٤].

***

الداعية الصادق

الداعية الصادق لا يوهم الناس أن التأهل للدعوة أمر معقد يحتاج لحفظ المتون وفهم الشروح والإلمام بالعلوم الشرعية...

ولا يدندن حول ما يتميز به عنهم من ذلك ليقنعهم أن عليهم توقيره واتباع رأيه...

الداعية الصادق يستحث همم الناس ويشعرهم أن الدعوة أمرها سهل وفي متناولهم:

١. إخلاص النية ليبارك الله لك.

٢. وصيانة السمع والبصر والفؤاد عن المحرمات لينور الله بصيرتك .

٣. والحركة بالعلم الذي تتعلمه، لا تَرْكُه جامدا حتى يموت في نفسك.

٤. وإلزام النفس ألا تتكلم إلا بما تعلم، ولا تستحي إن ظنك الناس أعلم مما أنت فسألوك أن تقول: (لا أعلم).

٥. وأن تبذل الجهد في استيعاب المسألة التي تدعو الناس إليها كما تبذل الجهد في فهم مسألة تهمك من مسائل دنياك.

٦. وأن تتجرد في ذلك من الهوى والانتصار للنفس وتجدد النية باستمرار.

فمن فعل ذلك فتح الله عليه وأجرى على يديه من الخير ما لم يجرِه على كثير من العلماء.

أمورٌ سهلة ممتنعة، فهي في متناول أكثر الناس، لكن قل من يصبر عليها.

حتى تكون داعية صادقا لا تقل للناس (قدموني فقد حزت ما لم تحوزوه)...

بل: (تعالوا إلى الميدان، فأنتم أهلٌ للدعوة، فلنتواصَ بمقوماتها)

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العَصر: ١ - ٣]

﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عِمۡرَان: ١١٠].

***

من أجل أبنائنا

ونحن نتصدى لطوفان الإفساد ومحاربة الهوية الإسلامية، سندفع ثمن المشي بعكس السير، وستصيبنا الضراء في أموالنا أو وظائفنا أو راحتنا واطمئناننا...

ولكننا مع ذلك نكبح جماح الشر، بالجرأة في الحق وعدم الملل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنترك لأبنائنا وبناتنا مجتمعا أنظف يمارسون فيه دينهم، ما كانوا لينعموا به لو أن آباءهم طأطأوا الرؤوس وتركوا طوفان الإفساد يتقدم بلا معارض.

اختر لنفسك، إما أن تسكت وتترك لمن بعدك أياما صعبة تُضَيع دينهم، فتكون سمَّنْتَهم للنار من حيث ظننت أنك قمت بواجبك في إطعامهم وكسوتهم والبقاء حولهم! أو يقولوا - إذا اختاروا طريق الاستقامة وما يصحبها من مشقة شديدة حينها -: (ليت آباءنا وأمهاتنا ما أنجبونا)!!

وإما أن تتصدى للطوفان فيقولوا: (رحم الله آباءنا وأمهاتنا!

تلقوا عنا سهام المفسدين، وأخَّروا اندفاع الطوفان، لننعم بشيء من ديننا وشعائره).

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النِّسَاء: ٩] إنْ كنت تخاف على ذريتك، فأعظم ما تقدمه لهم تقوى الله، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول السديد، ومنه كلمة الحق في وجه المفسدين ولو كلفك هذا ثمنا.

***

هل سنصلي في الأقصى قريبًا؟

تحصل أحداثٌ تكشف عن وجوهٍ من الخير في الأمة.. ومع ذلك فإذا أرادت الأمة النصر فله سُننٌ لا يمكن تجاوُزها.

(تفاءلوا بالخير تجدوه) ليس حديثًا ولا حتى قاعدةً صحيحة. بل الصحيح: اعملوا للخير وتفاءلوا به تجدوه.

أما أن نكون ضعفاء في الأخذ بالأسباب ثم نكتفي بمشاهدة الأحداث دون سعيٍ جادٍّ للتأثير فيها، ومع ذلك يُبَشر بعضنا بعضًا باقتراب النصر، فهذا تواكل مذموم وتقصير، لا حُسْنُ ظنٍّ بالله كما يظن البعض. والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

وقد جربنا من قَبْلُ أن الذين يتأمَّلون دون عمل تنتكس نفوسهم فيما بعد ويَشُكُّون في وعد الله!

أقول هذا لِـمَا أراه من حالةِ التأميل والتعليق بمواعيدَ قريبة، والتي تسود عند كثيرين، حتى على مستوى بعض الدعاة غفر الله لنا ولهم.

أيُّها ثلة تجاهد لإعلاء كلمة الله والدفاع عن المستضعفين فعلى الله أجرها، لكنْ مِن تجاوُز السنن أن نعتبرها تنوب عن الأمة كاملة ونظن أنها ستأتي بالنصر لأمة لم تنصر دين الله كما ينبغي النصر..

لا بد من التذكير بهذه المعاني قبل أن يقول قائل: ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾؟ -لماذا لم يحصل ما كنا نرجو؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٥].

هل يعني هذا أننا لن نصلي في المسجد الأقصى قريبًا؟

بل هذا يعني ألا ننتظر من يقول لنا: (ها قد حررنا لكم الأقصى، تعالوا فصلوا فيه!)..هذا يعني ألا نكون في دور المشاهد من بعيد، بل نتلمس الطريق لنصرة دين الله بما نستطيع.

فكما قيل: نصر الله قريب، لكن نحن الذين نقترب منه أو نبتعد عنه.. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأَعْرَاف: ٥٦]. والمعادلة واضحة: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

إذا حافظنا على الزخم عندما تستيقظ نفوس المسلمين، ولم تَفْتُر هممنا كما كانت تفتر كل مرة، وحوَّلْنا الألم إلى توبة ويقظة وعمل وهمة كما أمر الله، فنصر الله قريب، واللهُ يبارك حينئذ ويهيئ الأسباب ويُعِزُّنا ويرفعنا، وآخر همنا حينئذ قوة أعدائنا وتفوقهم، فالله يمكر بهم ويبطل كيدهم. ولسنا حينئذ ممن يستبعد النصر ويرى تأخره إلى كذا وكذا من الأزمنة الطويلة.

عندما تحصل أحداث تلهب المشاعر، ترى من الشباب من يستقيم أو يوشك أن يتوب لأنه أحس بقرب الفرج. لكنه يكسل

ويعود إلى ما كان عليه إذا أحس أن النصر له سننه وأسبابه التي عليه الأخذ بها وبذل الجهد لها. فنقول له: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٤]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

فتعال! أقبل ولا تتولَّ، واجعل توبتك من أسباب النصر الذي سيأذن الله به يومًا ونحن بذلك موقنون ولله الحمد..

ما نحتاج أن نعمل عليه هو استثمار الأحداث التي تلهب مشاعر المسلمين، نستثمرها للشحن الإيماني ورفع الهمم للعمل والمفاصلة بين الحق وأهله والباطل وأهله ونُصرة المستضعفين بما نستطيع، وبنفَسٍ طويل وعزم وهمة عالية. تحتاج أن يكون لك مشروع تخدم به دينك..

كيف؟ من أين أبدأ؟ هل أستطيع؟

والله يا إخواني أرى بنفسي كيف يمكن التأثير بشكل كبير في محبة الناس لربهم وتعظيمهم له واعتزازهم بدينهم، نرى من الله بركة في هذا كله. وهو بداية طريق النصر..

مفتاح هذا كله أن يُقذف في قلبك الهَمُّ لدينك، اليقظة التي لا غفلة بعدها، فتجاهد نفسك وأهواءك والله يُبَصرك بالطرق الموصلة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العَنكَبُوت: ٦٩].

الخلاصة: سؤال: هل سنصلي في الأقصى قريبًا؟ ليس سؤالًا عن معلومة لا دور لنا فيها مثل متى سيمر نيزك من السماء! بل نحن جزء من الجواب.

فاللهم أعِنا على طاعتك لنستحق نصرك.

ماذا أفعل لإنقاذ الأقصى؟

هذا السؤال يشبه: (ماذا أفعل لأبني الطابق الرابع من بناية؟) الجواب ببساطة: أن تبني الطوابق الثلاثة الأولى.

- (لكن الأمر أعجل من ذلك... قد يهدمونه في أية لحظة!)

- لا أعرف طابقا رابعا بُنِيَ على عَجَلٍ قبل أخواته!

احتلال الأقصى له رمزية مهمة.فهو لك لم يدنَّس إلا بعد أن دُنست نفوس المسلمين بالشهوات والشبهات وأمراض القلوب والتغافل، فانهدم كيانهم وتفرقت كلمتهم.

فما يحصل للأقصى صحيح أنه ذل للأمة، لكنه نتيجة وليس سببا...وهو من أشكال الذل الذي قال فيه نبينا ﷺ: «**سلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزعُه حتى ترجعوا إلى دِينِكم**» (أخرجه أبو داود: ٣٤٦٢) .

وكما كان احتلال الأقصى تتويجا لاحتلال أرواح وبلاد المسلمين، فلن يكون تحريره إلا تتويجا لجهود التحرر من هذا الاستعباد.

ونسأل الله أن يجعلنا من جند هذين التحريرين.

***

افعلها لله قبل أن تفعلها لنفسك!

في العديد من البلاد المسلمة، لا زال الناس يتقبلون الخطاب الدعوي الصادق المخلص الذي لا يريد إلا نصرة الدين والخير للناس. هذه فرصتنا لندعو إلى الله تعالى غيرةً على دينه، لا رغبةً فيما لدى الناس ولا رهبة منهم.

قد يأتي يوم، كالذي أتى على بعض البلاد، تعمل التراكمات عملها، فلا يتقبل الناس هذا الخطاب، بحيث تعطي أحدَهم مطوية عن حب الله فيردها بفظاظة...تنصحه أو تنصحها فيجيب بسخرية... تتقدم لعملٍ فتُرفض لمظاهر تدينك...تذهب إلى مكان عام فينظرون إليك باستهزاء أو تشكك...

حينها، قد تنشط في الدعوة مِن بعدِ فتور وكسل، لكن نشاطك هذا سيكون إلى حدٍّ ما لحماية كيانك الشخصي! لم يحرِّكْكَ مِن قَبْلُ أن ترى محارم الله تنتهك وحدوده تُضاع ودينه يُترك وسُنة رسوله ﷺ يُرغب عنها، لكن حَرَّكَكَ نفور الناس عنك وسوء معاملتهم لك وإغلاقهم الأبواب في وجهك...حركَكَ أنك تحس بأنك غُزيت (في عُقر شخصيتك).

تأكد تماماً أن الدعوة لوجه الله غيرةً على دينه أخلصُ نيةً وأعظمُ بركةً وأطيبُ ثمرةً من دعوتك يومئذ لله ولأجل نفسك (معًا)!

تأكد تماماً أن الناس يلمسون الفرق في تقاسيم وجهك ونبرات صوتك مهما حاولت الإخفاء!

تأكد تمامًا أنك أنت في قرارة نفسك ستكون مهزوزًا يومئذٍ تنظر إلى نفسك نظرة دونية وتهاب الناس، بعد أنْ كان يمكن لك أنْ يُلقي الله هيبتك في قلوبهم جميعا لو عملت في سبيله أيام الرخاء.

هذا كله إنْ اخترت خيار الدعوة، وإنْ لم يستغل الشيطان انكسارك ليبعدك عن الدعوة بالكلية إيثارًا لنفسك، بل وقد يستدرجك لتترك استقامتك وتصير من الغافلين!

عندما تكون هناك دائرة متاحة للدعوة قطرها متر فلا ينبغي لنا

أن نحصر أنفسنا في نصف متر! والوقت الذي نضيعه في أيام الرخاء في غير ما ينفع سنندم عليه غدا.

كم حصل للمسلمين في بلاد الغرب أنْ قصروا في دعوة الآخرين وانشغلوا بالدنيا، حتى إذا حصلت أحداث تضع المسلمين في دائرة الاتهام نشطوا في الدفاع عن أنفسهم والحديث عن محاسن الإسلام، وأحياناً بشيء من التزويق والتزوير ليناسب أمزجة الناس! ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّسَاء: ٦٦]، ولو أنهم دعوا إلى دين الله بلا رغبة ولا رهبة من الناس لكان أدعى للقبول عند الله ثم عند الناس وأدعى لاحترامهم.

بادر الآن، ادعُ إلى الله لأجل الله...فقط... و(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة).

هذه الرسالة ليست للـ(ملتزمين) و(الملتزمات) فقط، بل لكل من يحب الله ورسوله ويغار على دينه.

***

عندما ترتدي السلبية ثوب الحكمة

يبتلى بعضنا في سبيل الله...فيحدث هذا الابتلاء أثرا عميقا في نفسه: انسحاب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفتور عن مواجهة الباطل وأهله...وهو يرى هذا الانسحاب (حكمة).

تمر الأيام، فيرى محارم الله تنتهك أكثر فأكثر، وحدوده تضاع، ودينه يُترك، والأجيال الجديدة تلوث فطرتها...فيجد نفسه على مفترق طريق:

– إما أن يستمرئ حياة السلبية الجديدة حتى تخبوَ جذوة الغيرة على دين الله في قلبه إلى أن تنطفئ شعلتها، وتنسلَّ منه معاني الكرامة والإباء ورفضِ الذل شيئا فشيئا...وينخرط في دوامة الحياة مع المنخرطين...فيَسلَم في الظاهر، لكن يموت في الداخل شيئا فشيئا، وتفقد الحياة طعمها ومعناها.

– وإما أن يفضل حياة قلبه وغضبه لله وانتصاره لدينه.

هنا، لا بد من مراعاة أمور:

– معرفة الفرق بين الشجاعة والتهور..

– ولا ينبغي لمن يختار لنفسه العزيمة أن يُحَرم على الناس الأخذ بالرخص..

–وكما قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمؤمنِ أن يُذلّ نفسهُ**، قالوا : وكيف يُذلّ نفسهُ ؟ قال : **يتعرّضُ من البلاءِ لِمَا لا يطيقُ**» (سنن الترمذي ٢٢٥٤).

– وأن يراعي من يعول ومن هو مسؤول عنهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون.

وفي الوقت ذاته يدرك الفرق بين الحكمة والخنوع، فلا يركن إلى الدنيا ويعطي ظهره لخدمة دينه ويترك الغيرة تنسل من قلبه بحجة الحكمة.

المؤمن لا يستطيع العيش بلا عزة وكرامة..وصدق الفاروق عمر إذ قال: (الشجاعة والجبن غرائز في الرجال، فيقاتل الشجاع عمن يعرف ومن لا يعرف، ويفر الجبان عن أبيه وأمه). (أخرجه ابن أبي شيبة).

اللهم اجمع لنا العافية وحياة القلب.

فإن لم يستطع

يبخل البعض عن الإنكار باللسان مع قدرتهم عليه ويظنون أن الإنكار بالقلب كافٍ. مع أن الحديث: «**مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أَضْعَفُ الإيمانِ**». (صحيح مسلم ٤٩).

لاحظ قوله ﷺ: «**فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**»

فلا يجوز النزول عن رتبة الى ما بعدها إلا عند عدم الاستطاعة.

***

الفجوة الثقافية

الفجوة الثقافية مع طلاب الجامعات من الظواهر التي ينبغي أن يتنبه لها المربون والمصلحون. فما تظنه أنت بدهياً معروفا للجميع قد لا يكون كذلك لدى أكثرهم! من طبيعة عملي كدكتور جامعي درَّست في عدة جامعات خاصة وحكومية وأعطيت محاضرات ثقافية فيها لاحظت هذه الظاهرة بوضوح.

في أحد الاختبارات القصيرة كان السؤال: أي من الأدوية التالية المانعة للتخثر يمكن إعطاؤه عن طريق الفم؟ وضعت خيارا صحيحا (warfarin) وخيارات أخرى ووضعت معها (Stalin)، الزعيم الشيوعي السفاح المعروف (أو الذي ظننت أنه معروف!).

وهناك من اختار (Stalin) كجواب! عندما ذكرت ذلك لدفعة أخرى على سبيل الطرفة تفاجأت بأن الطلاب لم يعرفوا من هو ستالين!

في جامعة أخرى تكلمت عن الإيجابية، فاستشهدت بحديث: (احرص على ما ينفعك) الذي كان من أبجديات ما تعلمته، ومن أشهر الأحاديث.

سكتُّ ليكمل الطلاب الحديث فلم يكملوه... لعل بعضهم هاب، لكن كان واضحا أنه ليس من الأبجديات كما هو لجيلي!

ليس محل الشاهد من الموضوع التحسر على الفجوة الثقافية، بل اعتبارها فرصة للمربين والمصلحين: ما تراه أنت بديهيًّا قد لا يكون بديهيًّا لدى كثيرين...فلا تستقل أية معلومة نافعة يمكن أن تنشرها وتعلمها.

قد تظن أن الشيوعية سقطت من اعتبار (الجميع) بعد جرائم ستالين الذي قتل وشرد وعذب عشرات الملايين، بينما بعض من حولك يتأثر بمخلفات الدعوات الشيوعية أو الاشتراكية.

قد تظن أن الحديث الصحيح الذي تعرفه يعرفه (الجميع) وليس كذلك.

صحيح أني تألمت يومها حين لم يعرف الطلاب حديث (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل).

لكني استمتعت بعدها وأنا أملي عليهم الحديث وأطلب منهم أن يكتبوه، متذكرا قول النبي ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امرأً سمِعَ منَّا شيئًا فبلَّغَهُ كما سمِعَهُ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامِعٍ**» (رواه الترمذي ٢٦٥٧، وقال حسن صحيح).

وقوله: «**بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً**» (صحيح البخاري ٣٤٦١).

وقد حصل أيضا أن أتعلم من غيري ما يتفاجأ بأني لم أعرفه من قبل.

فعلينا ألا نستهين بشيء نعلمه إخواني، طالما كان موثوقا نافعا... ولا نقف عند التحسر على بساطة ثقافة الكثيرين، بل لنعلم ونتعلم، فأن تشعل شمعة واحدة خير من أن تلعن الظلام ألف مرة.

***

لا تدعها تمنعك

قد تكون وتكونين أصحاب معاصٍ كثيرة...هذا لا يجعلك تقعد عن الدفاع عن إسلامك عندما تراه وترى أبناء الإسلام مستهدفين.

بل دفاعك عنه قد يكون السبب الذي به يغفر الله ذنوبك ويوفقك لطاعته ويقذف محبته وتعظيمه والتعلق به في قلبك ويرزقك به عزة الإسلام.

«**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ الله، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بها دَرَجاتٍ**». (صحيح البخاري ٦٤٧٨).

ليس درجات في الآخرة فقط، بل وفي الدنيا أيضًا.

أظهر حبك لله ودينه، أنكر المنكر، لا تسمح لذنوبك أن تمنعك، ولا تعبأ بسخرية الساخرين وتخذيل المخذلين.

فالله أحق أن تسترضيه...﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هُود: ٣٤]

***

المحور الثالث

ثبات

الاستقامة أعظم كرامة

يتمنى أحدنا أحيانا أن تحصل له كرامة خارقة للعادة. خاصة المُبتلى، ليَشعر بأن الله معه.

لكن عند التأمل، فكما قال علماؤنا: (**الاستقامة أعظم كرامة**).

عندما تكون أيها المسلم المستقيم في هذا الزمن الصعب، يتعاقب عليك شياطين الإنس والجن. ﴿مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سَبَإ: ٣٣]، وبعض الدوائر والمراكز تتعاقب عليها ثلاثة (شفتات) حتى لا تخلو ساعة من عمل!

ولا تقف المسألة عند حدود القدرات البشرية، بل: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأَنْعَام: ١٢١] ، كما يُقال: الشيطان يفكر عنهم!

وينفقون المليارات في الإعلام ولديهم مئات مراكز التخطيط الاستراتيجي في العالم بميزانيات ضخمة وضعت على رأس أولوياتها ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأَنفَال: ٣٦] ...

وينفقون المليارات في حروب عسكرية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧]...

ويعاونهم أناس من أبناء جلدتك وبأسماء إسلامية مثل اسمك ممن يلبسون الحق بالباطل ويستدلون بالقرآن محرفين الكَلِمَ عن مواضعه.

وأنت مع هذا كله ثابت على دينك، مستقيم على أمر الله!

ماذا تريد كرامة أكبر من هذه الكرامة؟!

وماذا تريد خرقا للعادة أكبر منذ هذا الخرق؟! ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]. (قراءة متواترة صحيحة بضم لام **لتزول**)... ومع ذلك لم يُزل مكرُهم الإيمانَ من قلبك! فإيمانك أرسخ وأثقل من الجبال!

لذلك كله: الثبات على الاستقامة أعظم كرامة.

أصل فكرة المقال من حوار مع أخ كان رفيقي في ظرفٍ صعب حين قلت له أني أحب أن أرى رؤيا مبشرة بمعية الله، فذكرني جزاه الله خيرا بهذه المقولة: (الاستقامة أعظم كرامة).

***

الحرمان الخفي

كثيرا ما يغتر أحدنا بأن وضعه الديني (مستقر)... فعلى الرغم من أنه مقصر في الطاعات/ الخشوع/ نصرة الدين/ طلب العلم الشرعي النافع/ الرد على المشككين/ تقريب الناس من ربهم... وعلى الرغم من عمله المشوب بالحرام/ نظراته المحرمة/ تراخيها في حجابها/ ضوابط التعامل بين الجنسين...

على الرغم من هذا كله إلا أن الله تعالى لم يفتنه عن دينه، فها هو لا يزال يصلي ويصوم ويحب الإسلام ويجتنب الكبائر (على افتراض أن التقصير فيما مضى ليس من الكبائر)... وبالتالي فإن الله تعالى لم يحرمه ولم يعاقبه في دينه على تقصيره.

يغفل هذا المسكين عن حرمانٍ كبيرٍ هو واقع فيه!

قد كان يمكن له أن يكون (شيئًا مؤثرًا) في تاريخ البشرية... قد كان يمكن له/ لها أن يكون من أنصار الله تعالى في أرضه، يحيي في كل يومٍ سنةً ويُمِيت فتنة ويرد شبهة ويقمع باطلا ويوقظ غافلا ويقرب بعيدا وينشر هُدىً ويحيي نفوسا أماتها الجهل والهوى.

قد كان يمكن له أن يَذْكُره الله في الملأ الأعلى ويحتفي به أهل السماء لـمَا يرونه من نصرته لله تعالى ومحبة الله له.

قد كَان يمكن له أن يكون من السابقين الصديقين المقربين...

قد كان يمكن له أن يكون من الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب...

قد كان يمكن له أن يكون علامةً فارقةً في التاريخ، وأن يكتب الله لجهده قبولا وأثرًا مباركًا إلى يوم الدين...

قد كان يمكن له هذا كله...لكنه رضي بما دونه، بل لم تخطر بباله هذه المعالي أصلًا، أو خطرَتْ فترةً ثم نسيها!...وبقي سنواتٍ يصارع التأخر عن صلاة الفجر، وشهوة الإكثار من الطعام وما يتبعه من كسل ونوم، والفتنة بالزميلات في الدراسة أو العمل!

بينما غيره ينصرُ الله به الدين ويرتفع درجات في عليين وتحل عليه إلى الأبد مرضاةُ رب العالمين... وقد حجز مقعده في الفردوس الأعلى...

إنْ لم يكن هذا هو الحرمان فما الحرمان؟! وإن لم تكن تلك عقوبة فما العقوبة؟!

قد يدخل الجنة في النهاية، لكن بعد مرارة الإحساس بالغُبْنِ في

اليوم الذي سماه الله تعالى: ﴿يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التَّغَابُن: ٩].. اليوم الذي يندم فيه المسيء على إساءته، ويندم المحسن أن لم يزد إحسانا.

هناك آفاق عظيمة تنتظرك...فلا تحجبك عنها الغفلات.

هناك لذات عُلْوية، فلا ترضَ بها بديلًا.

هناك مقامات عالية، فلا تَقْنَعْ بالدون.

والعمر قصير، فلا يغررك طول الأمل.

يا رب تدارَكْنا برحمتك قبل أن نندم.

***

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾

عندما تتأثر برأي الآخرين فيك وكلامهم عنك ولومهم لك...

عندما تضيع البوصلة: تقوم بعمل، أو تتخذ موقفا، يمدحك المادحون عليه فتُسر، يلومك اللائمون فتندم، وتتخذ موقفا آخر لتُعَدِّل الوضع، فيلومك آخرون ويذمك من مدحك بالأمس، وتتشتَّتُ نفسك وفكرك ولا تدري ماذا تفعل...

فاقرأ حينئذ قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المَائِدَة: ٥٤].

﴿يُحِبُّهُمْ﴾: وإذا أحب الله عبادا له أراهم لطائف وعلامات تلك المحبة، فيأنس بها العباد أيما أُنس.

استشعار تلك المحبة هو مصدر طمأنينتهم وثباتهم وقوتهم.

وهم مستعدون لفعل أي شيء للمحافظة عليها، ويرفضون بحزمٍ فعل أي شيء يُفقدهم محبة الله لهم واستشعار أنه معهم.

﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: محبةً ملأت عليهم قلوبهم، لا يزاحمها التفكير في نظرة الناس لهم، ولا يقدمون عليها استرضاء أحد من الخلق أو دفع سخطه وملامته.

بل محبتهم لله تَحْكُم شعورهم ومواقفهم ونظرتهم لكل أحد ولكل شيء، وعلى أساسها يكون حبهم للآخرين أو بغضهم.

فهي محبة مهيمنة حاكمة، لا شريكة مزاحمة.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لأن محبة المؤمنين تابعة في قلوبهم لمحبة الله تعالى.

وذلهم للمؤمنين دليل على أن استخفافهم باللوم ليس عن كبر ولا غرور.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: حتى لو ظهر الكافرون منتصرين وأن العزة لهم، فمحبة الله في قلوب المؤمنين مصدر استعلاء وثقة، لا تنهزم نفوسهم ولا تنكسر.

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بقلوبهم وألسنتهم وأيديهم.

يجاهدون الكفار والمنافقين وباطلهم وإفسادهم، وهم يعلمون أن جهادهم هذا قد يكون تجديفا عكس التيار وقد يُعَرضهم للكثير من التضحيات.

ومع ذلك: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: هذا اللائم قد يكون من

أهل الباطل، يلومك ليُخَذِّلك أو يُنَدِّمك أو يشمت فيك.

وقد يكون من المسلمين المحبين لك، يلومك على ما (خسرته) وأنت تنكر المنكر أو تحارب الباطل، يلومك محبة لك وخوفا عليك.

ومع ذلك، فهذا اللوم كله، أيًّا كان صاحبه وأيًّا كان دافعه، لا يؤثر في مواقف المؤمنين الخُلَّص، ولا يخافونه، ولا يحدِث لديهم ندما ولا تراجعا إذا كانت مواقفهم منطلقة من محبة الله، وإذا كانت تضحياتهم في سبيله وابتغاء وجهه الكريم، حتى لو كان لوم مُحبٍّ مشفقٍ حريص عليهم، لكنه غير محق بلومهم في ميزان الله.

لذلك لاحظ العموم: ﴿لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾.

فالحزم والإعراض عن اللوم دليل يقينهم بالدين الذي من أجله يضحون، ودليل قوة عزمهم.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾: ذلك الاجتماع للقلب على محبة الله، بحيث لا يَتَشَتَّت شمله، ولا يتمزق على محاولة إرضاء هذا وذاك، ولا يندم بلوم هذا وعتاب ذاك، بل يُصبح المؤمن هو الموجه والمؤثر في مواقف اللائمين والمصحح لمسارهم، ويَحمدون له يوما ما كانوا قد لاموه عليه بالأمس. هذا كله فضل من الله، ما أسعد من تعرض لطلبه وحظي به.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾. سعةً تتعالى على التأثر بمواقف لحظية من حب الناس وبغضهم ومدحهم ولومهم، وعلمًا بعواقب اليقين وعمق محبة الله في قلوب المؤمنين.

***

﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥٓ﴾؟!

في مجادلته لقومه قال صالح عليه السلام: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ [هُود: ٦٣] وهذا ما ينبغي أن يقوله كل داعية صادق للظَّلَمة الذين يساومونه بالترغيب والترهيب ليُدَاهن إفسادهم واستعبادهم للناس ويُـحَرِّف في دعوته بما يناسب أهواءهم: من ينصرني من الله إن عصيته وأطعتكم أنتم وداهنتكم؟

من ينصرني من الله إن عصيته فعاقبني بأنْ حرمني توفيقه وأعمى بصيرتي فصدرت عني أفعال مخزية تسقطني من عينه ومن عيون الناس إلى الأبد؟

من ينصرني من الله إن عصيته فجعلني أفقد احترام أولادي وأقرب الناس لي بل واحترامي لنفسي؟

من ينصرني من الله إن عصيته فسلط علي مرضًا مزمنًا عضالًا أتمنى معه الموت فلا أجده؟!

من ينصرني من الله إن عصيته فسلطكم أنتم علي أيها الظالمون فظلمتموني مع أني استرضيتكم بسخط الله؟!

من ينصرني من الله إن عصيته فعاجَلَني بالموت على خاتمة سوء ووقفت بين يديه لا مدافع منكم ولا نصير، فماذا أقول له يومئذ وبأي وجه ألقاه؟!

بماذا ستنفعونني في هذه المواقف كلها؟ بل (فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ) لن تزيدوني إلا خسرانا... أنا وإياكم مقهورون لله ﴿وَهُوَ

ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، فاذهبوا وساوموا ورغبوا وهددوا من لا يعرف هذه الحقيقة عن نفسه وعنكم!

***

جائزة فورية ننساها...

كثيرا ما نذكر أن الذي يقع في الفتن والشهوات يسود قلبه، لكن هذه نصف الحقيقة فقط! النصف الآخر الذي لا يقل أهمية: أن الذي يقاومها ينال جائزة فورية: البقعة البيضاء!

عندما تتعرض لفتنة فهما نتيجتان لا ثالث لهما: إما البقعة البيضاء وإما البقعة السوداء. ليس هناك احتمال ثالث أنْ لا لك ولا عليك!

وهنا الجائزة الفورية! عندما تقاوم الشهوة والفتنة فلا تُصَبرْ نفسك بأجر الآخرة فحسب، ولا بأن من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه لاحقًا فحسب، بل هناك بقعة بيضاء فورية، تؤهلك لأن تصبح من أصحاب القلوب البيضاء التي تميز الصواب في هذا العالم الـمُحَيِّر، والتي تشعر بلذة التعلق بالله تعالى، والتي يسكب الله فيها الأنس به والشوق إليه وحبه وحب دينه وكتابه ورسوله ﷺ وحب المسلمين فيه سبحانه.

عندما ترى أن الله تعالى يعرضك لفتن ويصبرك عليها فاعلم أنه يريدك لكرامة في الدين تحتاج قلبا أبيض. لا يعني هذا طبعا أن نحوم حول الشهوات ونقتحم غمارها، لكن أن نصبر إذا واجهَتْنا.

وفي المقابل، تذكَّرْ أنَّ تقبُّل الفتنة والاستمتاع بها له عقوبة عاجلة: نكتة سوداء تحرمك من المشاعر النبيلة المذكورة، ويحل محلها التشتت

والتيه في فتن الشهوات والشبهات.

هذه المعاني موضحة في حديثٍ رواه الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: -«**تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالحَصِيرِ عُودًا عُودًا**» أي متشابكة كثيرة تلو بعضها كتشابك الحصير.

- «**فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ**» أي أن القلب الذي يقبلها ولا يدافعها تلقى فيه بقعة سوداء.

- «**وأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ**» الذي يقاومها ويرفضها ويصبر عنها تلقى فيه بقعة بيضاء.

- «**حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأَرْضُ**» قلب المتصبِّر عن الفتن يصبح أبيض شيئا فشيئا، ببياض جبل الصفا، فتصبح عنده قوة ومناعة ضد الفتن التي ستعرض له فيما بعد ولو كانت أكبر من الأولى.

- «**والآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا**» يصبح القلب أسود اللون بلون الرماد.

«**كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا**» يعني مثل الجرة المقلوبة على فمها. هذه الجرة لو جئت بصهريج ماء كامل فيه أمتار مكعبة من الماء، وحاولت أن تصب شيئا من هذا الماء في هذا الكوز المقلوب، كم سيدخل؟ ولا نقطة! وكذلك القلب الذي يقبل الفتن ولا يدافعها ويتلطخ بالسواد يصل الى مرحلة يكون مثل هذه الجرة المقلوبة..قد تأتي له بآيات وأحاديث وأبيات شعر ومواقف للصحابة وقصص مؤثرة فلا تهز فيه شعرة واحدة! لأنه أصبح منكوسا والعياذ بالله.

«لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ» (صحيح مسلم ١٤٤). يصبح محركه في حياته ومقياسه في الحكم على الأشياء الهوى فقط.

عندما تقاوم الفتن وتحمي نفسك منها فتذكر أنك حميت بفضل الله من هذا المصير المخيف، وتلقَّيْتَ جائزة فورية ببياض قلبك، فلا تَنْسَها ولا تفرط فيها.

***

اجتماع القلب على اللّه

فرقٌ بين أن تحفظ آية أو حديثا من جهة وأن توقن بهما من جهة أخرى.

هناك حديثٌ عظيم...عندما توقن به فإنك تسير على الأرض وقلبك معلق بالعرش، لا ترجو سوى الله، وغيرَه لا تخاف..

لأنك توقن بعده أن مديرك في العمل، وزميلك الذي يكيد لك، وأستاذك في الجامعة، وأي موظف حكومي يسعى في تحميلك أعباء مالية، وقريبك الثري، ومحبيك ومبغضيك ومؤيديك ومعارضيك وشانئيك وحاسديك جميعا، على أرض الواقع وعلى صفحات مواقع التواصل الاجتماعي... والمليارات من البشر...

هؤلاء كلهم...كلهم بلا استثناء...عبيد مقهورون لله تعالى... قلوبهم بين أصبعين من أصابعه سبحانه، لا ينفعونك إلا بإذنه ولا يضرونك إلا بإذنه.

فإنْ أردت خيرا فاطلبه من القاهر فوق عباده، وإنْ خفت من العبيد شراً فاستعذ بسيدهم سبحانه.

هذه حقائق...فالآيات فيها محكمة غير متشابهة ولا منسوخة، والأحاديث فيها صحاح.

إنما الدور عليك أن توقن بها، وحينئذ فأنَّى لقوة من هذه القوى المقهورة أن تخيفك أو تطمِعَك أو تشتري ذمتك أو تجد إلى قلبك سبيلا لتصرف نيتك عن الإخلاص للقاهر وتوقعك في الرياء أو التزلف للمقهورين؟!

هذه حقائق...فإن آمنت بها تجمَّعَتْ فِلَقُ قلبك الممزق وانتظمت خرزاته والتمَّ شَعَثُه على الله عز وجل.

أذكر يوم مررتُ بظرفٍ صعبٍ مخيفٍ قبل سنوات طويلة.. ثم تذكرت فجأةً هذا الحديث...فكأنه طَرَق كياني ليجمع قلبي المبعثر...ليجمعه على الله وحده.

إنها كلمات عظيمات تحدث انقلابا في الكيان...علَّمَها رسول الله ﷺ لطفل (عبد الله بن عباس) وهو يركب خلفه على الدابة...ليبني بها شخصيته.

فَحَرِيٌّ بنا نحن البالغين أن نعيد تأسيس شخصياتنا على أساسها...فقد فاتنا الكثير، وأضعنا من عمرنا وفِكرنا وجهدنا وصحتنا الكثير لغفلتنا عن الحديث، الذي ربما حفظناه...

لكن نحتاج هذه المرة أن...نوقن به! إنه قول نبينا ﷺ: «**يا غلامُ،**

إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله.

واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإن اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك.

رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُف» (سنن الترمذي ٢٥١٦).

***

كلما دعتك نفسك إلى معصية...

كلما دعتك نفسك إلى معصية.. تذكّر:

أنّ أمّتك الجريحة تنتظرُ من يحملُ همّها؛

ويتلمس طريق عزّتها!

معصيتُك وغفلتُك تجعلك عبئًا جديدًا على أمّتك ...

اتق الله.. فالحِملُ كاد يكسرُ ظهرهَا!

هذه الكلمات أعلاه تحت عنوان (كلما دعتك نفسك إلى معصية) كانت سببا في قصة لطيفة أرسلها لي أحد الإخوة قائلًا:

(قبل مدة قصّ علي صديق لي قصة رائعة كنتَ أنت طرفًا فيها، فأردت اليوم أن أسردها عليك):

قال لي: (إن ثقة حدّثه عن شاب فلسطيني تعرّف على امرأة متزوجة، وبدأت بينهما علاقة في مواقع التواصل، يتراسلان ويتهاتفان، وكانت تطلب منه أن يَقدُم إليها، فسبحان لله! كان كلما همّ بالمجيء جدَّ له أمرٌ فلم يستطع! هكذا في كل مرة! حتى أعلَمَتْهُ

مرة أن زوجها قد سافر وتركها في البيت وحدها، فطلبَتْ منه المجيء، فحضّر نفسه، وأوقف سيارةَ أجرةٍ وانطلق نحوها، وفي الطريق إليها (وإلى الفاحشة) - تخيّل ماذا تذكر يا دكتور؟! - يقول:(فتذكرتُ مقولة الدكتور إياد قنيبي: [كلَّما دعتكَ نفسُك إلى معصيةٍ تذكَّر أنَّ أمَّتَك جرِيحةٌ تنتظرُ من يحملُ همَّها، ويتلمس طريقَ عزتها، ومعصيتك وغفلتك تجعلك عبئًا جديدًا على أمتك..اتق الله فإنَّ الحِملَ كاد يكسر ظهرها!] فاستفقت ورجعت، وقمت بحظر المرأة وحذفِها).

فانظر يا دكتور كيف أن كلمة واحدة زجرت قلب مؤمن وحالت بينه وبين المعصية.. واصِل يا أبانا الحبيب، فإنّك على ثغر!

أقول:

ترون لماذا علينا ألا نيأس أبداً؟!

أترون لماذا أؤمن بعمق بأن الكلام يؤثر وبأن علينا أن نعمل بلا كلل وملا ملل؟

أترون لماذا أحب أمة محمد ﷺ ولا أقطع الأمل في أبنائها مهما بدا أنهم ابتعدوا؟!

لأجل هذا ننشر قضايا أمتنا، ليتحول الهم إلى همة وترفُّعٍ عن الحرام.

اللهم ثبت عبدك هذا واربط على قلبه وأعفَّه بالحلال وجميع شباب وبنات المسلمين.

***

غضُّ البصرِ

قدر الله لي أن تفوتني طائرة العودة من إسطنبول إلى الأردن، فذهبت إلى بيت صديق لي بانتظار الرحلة التالية... وفي حديثي مع ابنه الشاب ذي الـ١٦ سنة من العمر، سألته: (هل تعاني مع فتنة النساء هنا يا فلان؟) قال لي: (جدًّا)...

فقلت له: (سَأَذْكر لك تجربتي مع هذا الأمر وما أكرمني الله به). وأنا أعيد ما ذكرته له لإخواني الشباب والشابات لتعم الفائدة.

بداية يا شباب، المسلم عليه ألا يعرض نفسه للفتنة... يعني لا تذهب بنفسك إلى مكان فيه فتن وتقول (سأصمد).. لا تختبر إيمانك بهذا الشكل. فكم من إنسان زل وضل من تعريض نفسه للفتن. والمنافقون يقال لهم يوم القيامة: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحَدِيد: ١٤] .. يعني عرضتموها للفتنة حتى فُتِنَت.

لكن افترض أنك احتجت بالفعل أن تكون في مكان فيه فتنٌ طاغية... كيف تتصرف؟

كنتُ في المرحلة الجامعية في البكالوريوس ثم في مرحلة العمل في الأردن قبل دراسة الدكتوراه... كان تعرضي للفتن قليلًا... الحاجة للتعامل مع الجنس الآخر قليل، وإذا حصل تعامل ألزَم غض البصر ومنشغلٌ بالدراسة والعمل.

حَصَلْتُ على منحةٍ لمتابعة الدكتوراه من جامعة هيوستن الأميريكية. وطبيعة المنحة هي أن أَدْرس الدكتوراه برسوم مخفضة جدا وأحصل على راتب من الجامعة مقابل عملي كمساعد تدريس. عملي

كمساعد تدريس يعني الحاجة للتعامل مع طلاب وطالبات، حيث أُشرف على مختبر الطلاب والطالبات فيه مقسمون إلى مجموعات. وأنا والدكتور المشرف على المختبر نسلمهم في بداية المختبر حالات مرَضية، ثم نعطيهم فرصة لمناقشتها والبحث عن العلاج الأمثل لها، وخلال ذلك يسألُنا الطلاب بعض الأسئلة فنجيب ونوجههم للمصادر المناسبة، ثم يقوم ممثل أو ممثلة عن كل مجموعة بعمل Presentation، شرح لكيفية العلاج، ونقوم بتقييم الأداء. وأحياناً يأتينا زائر أو زائرة ممن يعملون في قطاع ال pharmacy doctor، دكتور صيدلة، ليشرحوا للطلاب عن آفاق المهنة.

كنت خلال ذلك أؤدي مهمتي، وأغض البصر، وأتعامل برسمية، وأقدم المساعدة...الذي يحصل في هذه الحالة أن بعض الغربيات إذا رأيْنَ منك هذا التعفف والأخلاق يصبح عندهن فضول، وأحيانًا رغبة في كسر حالة الشموخ هذه لديك. يعني وكأنه تحدٍّ لهن (challenge) أن يكسِرْنَ هذا الترفع.

تعرضت لمحاولاتٍ من هذا النوع. فكانت ردة فعلي أن ألجأ إلى ربي عز وجل قائلًا: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يُوسُف: ٣٣] ...تبرأت إلى الله من حولي وقوتي وطلبتُ التثبيت منه سبحانه. هذا أولًا.

ثانيًا: هربتُ من الفتنة هروبًا... الإنسان قد يضحك على نفسه ويقول: (إيش أعمل يا رب؟! أنا مضطر أتعامل مع هؤلاء) ويكون في قلبه فَرِحًا بأن الفتنة جاءته لعنده وفرضَت نفسها عليه.

لم أفعل ذلك ولم أضحك على نفسي. بل بادلت المختبرات التي فيها محاولات التقرب.. بادلتُها مع زميلةٍ في برنامج الدكتوراه بحيث أؤدي مهمةً أبتعد فيها بنفسي عن مواطن الإغواء. فالمؤمن لا يحوم حول الفتن، بل إذا جاءته هرب منها.

سكنتُ في أميريكا بجانب مسجدٍ فيه أجواء إسلامية جميلة... لكن السكن لم يكن كل سكانه من المسلمين... في طريقي من مصف السيارات إلى شقتي كنت أمر بمسبح، واستمر ذلك لسنوات، لم أكن فيها ألتفت لهذا المسبح وما فيه. وذلك بفضل الله وحده وتوفيقه.

تَرى يا شباب أنا عندي عيوب وتقصير ونقاط ضعف، ولست مثاليًّا لا والله. لكنْ..فتنةُ الشهوات بالذات كنت أحذر منها بشدة لأنني أخشى أن يُطمس على قلبي بسببها فأصل إلى مرحلة أكره فيها دين الله وأُحرم بسببها أن أكون كمن قال الله لهم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ [الحُجُرَات: ٧] .

كان من الممكن أن أقول لنفسي: (صغائر أكفر عنها بالأعمال الصالحة).. لكن لا، لأني كنت أدرك أني ممكن بشؤم هذه الصغائر يزيغ قلبي فأدخل في كبائرِ القلوب ككراهية ما أنزل الله، وهو ما حصل لعددٍ من المسلمين في الغرب، ممن بدأت فتنته فتنة شهوات ثم انقلبت شبهات. تلطخت مرآةُ قلبه فما عادت تظهر الأشياء على صورتها، ما عادت ترى الإسلام حسنًا ولا الكفر قبيحًا. ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصَّف: ٥].

وهو الأمر الذي كنت أخاف منه كثيرًا فأتحاشاه. وعندي في المقابل نقاط ضعفٍ وأسأل الله العفو والعافية.

كنتُ في غض البصر وسط الفتن أستشعر قول نبينا ﷺ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ كالحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ على قَلْبَيْنِ، على أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ**» (صحيح مسلم ١٤٤).

جاءت فتن متتابعة...أنكرتُها..فأحسست بعدها بالحصانة كأني تلقيت مطعوماً بجرعات تقويةٍ متتابعة. وأحسب أن الله تعالى عوضني عما تركتُ خيراً كثيرًا...

الطالب الذي يعيش في أجواء فيها فتن فيغُضُّ بصره ويتعفف، يكون هذا أدعى أن يطلق طاقاته في العلوم النافعة ويبرع فيها ويتفوق على أهل الأديان أو الملحدين ممن ليس عندهم هذه المعاني. وقد أكرمنا الله بهذا، وأعفني بعد ذلك ببنت الحلال الله يكرمها. ونسأل الله ألا يسلب منّا نعمه بعيوبنا وتقصيرنا.

أنت عندما تصون سمعك وبصرك فإنك تصون قلبك: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسْرَاء: ٣٦] ...تحمي قلبك من أن تدخل عليه لطخات المعصية عبر السمع والبصر، فتبقى مرآة هذا القلب صافية، وهذا أدعى أن ترى الأمور على حقيقتها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ

﴿فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩] ...فرقاناً تَفرق به بين الحق والباطل. يؤتيك الله سبحانه نور محبةِ دينه وكتابه والدعوة إليه. طبعاً غض البصر والتعفف أحد الأسباب وليس كل شيء، لكنه سبب مهم.

تصوروا لو أن العبد الفقير لما حامت الفتن حوله، لو أنه انزلق قليلاً، وتبع هذا الانزلاق تَعَلُّقٌ وانزلاقات متتالية، هل كان ليستعمله الله في الدعوة إليه سبحانه والدلالة عليه؟!

المعاناة في غض البصر تنقلب إلى لذة، لذةِ الاستعلاء على الحرام، لذة الانتصار على الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، لذة التضحية في سبيل الله وتقديم محبته وتعظيمه على اللذات الفانية. ثم يصبح الأمر أسهل وأسهل بإذن الله. ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مَرْيَم: ٧٦].

أنا أذكر هذا الكلام لكم يا شباب لا على سبيل التفاخر، بل لأن نبينا ﷺ قال: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». (صحيح البخاري ١٣)، وأنا والله أحب لكم ما أحب لنفسي. أنا أعلم يا شباب أن الفتن شديدة هذه الأيام...لكن تذكر: أنت عندما تغض بصرك فإنك لا تفعل ذلك التزامًا بقواعد جافة جامدة، بل أنت تتعامل مع ربِّ العزة الحكيم العليم الذي يُبْصرك ويسمعك ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غَافِر: ١٩]، ما أمرك بغض البصر إلا وهو يعلم أنك عليه قادر: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] ..تتعامل مع الودود الكريم الذي إذا رآك تصبر من أجله أحبك وأكرمك وأعطاك.

تأخُّر سن الزواج ليس وضعًا طبيعيًّا. ومن أسبابه الظلم والإفساد المتعمد في بلاد المسلمين..وعلينا أن نعمل لنسترد حقوقنا المسلوبة ونقيم شرع الله، بحيث يأنس الشباب والفتيات بالزواج الحلال في سن مناسب. وعلينا أن نشجع على تسهيل الزواج مع الاستعداد النفسي والعلمي والتربوي له. حتى ذلك الحين نتذكر قول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النُّور: ٣٣].

أنت إما أن تكون جزءًا من مشكلة الأمة أو جزءًا من حلها... إذا لم تغض بصرك فأنت ستكون جزءاً من مشكلة الأمة ومتأثراً بها. بينما ما أجمل أن تكون حلًّا للمشكلة بأن تدعو إلى الله لِتُعِين المسلمات المتبرجات على طاعة الله والتعاون مع إخوانهن من المؤمنين على استعادة مجد الأمة.

طبعاً قد تكون مقصراً في هذا الجانب محسنًا في جانب آخر. وحتى لو كنت مقصرًا فلا تيأس وابقَ قاوِمْ نفسك والشيطان مستعينًا بالله. وأنصح دائمًا في ذلك بسلسلة إدارة الذنوب لأخينا الدكتور أيمن البلوي.

والله يا شباب كل جميلات الدنيا لا يعدل جمالهن جمال أن تكون سبباً في هَداية شاب أو فتاة وعودتهم إلى الإسلام أو إلى طاعة الله تعالى.

هذه لذات لا تقارن باللذات الحرام. فكيف بلقاء الله تعالى يوم القيامة، الله الجميل الذي النظر إلى وجهه الكريم هو أعلى النعيم في الجنة. تريد هذا النعيم؟ ابذل لأجله في الدنيا وغض بصرك.

غَضُّ البصر ليس سهلاً، لكن: (**ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**). الجنة..سعادة أبدية لا تنقطع...لا موت معها ولا مرض ولا حزن ولا تعب ولا خوف ولا قلق. تريدها ببلاش وبلا أية مشقة ولا تضحية؟

نبينا ﷺ قال: «**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا**»، يعني طلعةٌ في الجهاد خير من الدنيا وما فيها، «**ولَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ - أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ - مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا**»، إيش يعني هذا الكلام؟ الآن القوس الذي تُرمى به السهام؛ لاحظوا أن ما بين القوس والوتر ليس إلا بضع سنتيمترات مربعة، وهذا المقدار في الجنة خير من الدنيا وما فيها! وكذلك موضع قدم من الجنة.

- (غريب!)

- لا، ليس غريبًا. لماذا؟ لأن هذا المقدار في الجنة دائم باق لا يزول بينما الدنيا زائلة فانية.

ثم قال نبينا ﷺ: «**ولو أَنَّ امْرَأَةً مِن نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ ما بيْنَهُمَا، ولَمَلَأَتْ ما بيْنَهُما رِيحًا، ولَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا**». (صحيح البخاري ٦٥٦٧). هذه القطعة التي تلبسها على رأسها تَزَيُّنًا، خير من الدنيا وما فيها!

أنت إما أن تكون مؤمنا بأن محمدًا ﷺ رسول الله يخبر عن ربه عز وجل بالحق والصدق. فهذا الكلام حينئذ سيعينك في مشوار غض البصر في حياتك. وأما إن كنت تشك فَعُدْ إلى ترسيخ اليقينيات.

كان هذا ما قلته للشاب ابن صديقي. وهذه بالمناسبة تذكرةٌ أن

نصارح أبناءنا اليافعين ونسألهم عما يتعرضون له ونُظهِر لهم التفهم ونعطيهم الحلول ونذكرهم بالأجور العظيمة عند الله.

ماذا عن بناتنا؟ يعني هو الكلام فقط للشباب؟ أعلم يا بناتي أن بعضكن تعاني أيضا مع غض البصر ومع حفظ نفسها في أجواء الفتن. وكل ما قلته للشباب أقوله لكن: النصيحة بتجنب مواطن الفتن ابتداء، وعدم الحوم حول الفتن ولا التعذر بأنها جاءتنا إلى عندنا، وتذكر الأجور العظيمة في طاعة الله عز وجل.

قالت أمُّ سلمَةَ رضي الله عنها: يا رسولَ الله إن النساءَ قُلْنَ: (ما نرى اللهَ سبحانَه ذكَر إلا الرجالَ). فأنزل الله تعالى آية تبين أن الأجور المذكورة هي للذكور والإناث فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. أسأل الله تعالى أن يعيننا جميعاً على طاعته ويرزقنا نورًا في بصائرنا ويمتع الأمة الإسلامية بأيام عزٍّ تتلاشى فيها الفتن ويسود فيه الأنس بالزواج الحلال وتسترد فيه أمتنا مجدها وكرامتها.

***

ماذا قدمنا من هذه المهور؟

(كنت في زيارة لأخٍ عزيزٍ يصارع المرض ويعاني آلامه الشديدة. فقرأت عليه آيات، وكان منها خواتيم سورة آل عمران، فاستوقفتني منها آية: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩٥] .

فقلت له كلمات أود أن أقولها لنفسي ولإخواني لنستفيد جميعًا، خاصةً الذين يعانون من بلاء شديد ويكاد صبرهم ينفدُ:

انظر المؤمنين المذكورين في الآية ومهر الجنة الذي دفعوه، خمسة أشياء:

١. هَاجَرُوا (أي في سبيل الله).
٢. وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ.
٣. وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي.
٤. وَقَاتَلُوا.
٥. وَقُتِلُوا.

ماذا كان جزاؤهم؟: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩٥].

في المقابل، ماذا فعلنا نحن؟ وماذا قدمنا من هذه المهور الخمسة للجنة؟

هل هاجرنا؟ أخرجنا من ديارنا؟ أوذينا في سبيل الله؟ قاتلنا؟ قُتلنا؟

ونريد أن ننعم بجنة عرضها السماوات والأرض لنا فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً بلا انقطاع؟

فهل إذا ابتلانا الله لندفع مهراً للجنة تبرَّمْنا وضاقت نفوسنا وبَخِلَتْ بالـمَهر؟!

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٢].

إذا لم نصبر فعلامَ نحسب أننا سندخل الجنة إذن؟!

(ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة).

***

قارن!

عندما أرى مثل هذه الصور أتذكر بعض المحسوبين على الإسلام الذين يسخطون على القضاء والقدر إذا (بنشر) عجل سيارة الواحد فيهم أو رشقته سيارة عابرة بماء المطر! مسلمون في بلاد منكوبة دُمرت منازلهم، قتل آباؤهم وإخوانهم، أصيب أطفالهم بالإعاقات من صغرهم، ثم يأتون يصلون في مساجد الله المهدمة في خضوع ورضا وتسليم بقضائهم واسترخاص للغالي والنفيس في سبيل الله فيما نحسبهم. تعلموا أيها العاتبون على القدر!!

***

أهل الأرض والمتطفلون

(إذا لم يعجبك ما يحدث في البلد فاخرج منها)

هذه العبارة قد يسمعها المسلم وهو يحاول الإصلاح في مجتمعه وإنكار المنكرات، مجدفا عكس التيار.

والذين يقولونها عادة هم المستكبرون، الذين يرون أنفسهم أصحاب الأرض لأن القوة بأيديهم، فالسماح لك بالعيش ضمن (سلطانهم) كرمٌ منهم وتفضل! ومخالفتك لقوانينهم - بدعوتك القرآنية السنية - جريمة تجيز لهم طردك أو حبسك، على طريقة مَن قَبلهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨].

لاحظ: ﴿أَرْضِنَآ﴾!

لا عجب أن يتكبر المتكبرون، لكن الخطورة إذا تسرب (منطقهم) هذا إلى نفسك أيها المسلم فأحسستَ أنهم أصحاب الأرض حقًّا

وأنك بدعوتك متطفل! فهذا شكل من أشكال الهزيمة النفسية.

لا بد أن نستحضر دومًا أننا نحن – الذين نطيع الله وندعو إلى طاعته – أنا نحن أهل الأرض، وأن الذين يريدون تطويع الناس لأهوائهم هم المتطفلون، وليس العكس.

عندما يقول قائلهم (إذا مش عاجبتك قوانين البلد اطلع منها) فجوابنا جاهز: (إذا لم تعجبك شريعة خالق البلد والكون فاخرج من كونه)!

لو أن صاحب عمل استأجرك مع آخرينَ لبناء بيتٍ في بستان ثم غاب عنكم فترة، فبدأتَ تَعْمُره كما أمرك، وبدأ الآخرون يخربون، ثم صوبوا نحوك الأخشاب والحجارة و(بلطجوا) بها عليك قائلين: (نحن أكثر منك وأشد قوة، لذا فنحن أصحاب البستان، فأطِعْنا أو اخرج من البستان).

قد تخاف من أذاهم، لكنك ترى فعلهم هذا بلطجة ومنطقهم سخيفًا، خاصة وأنك تدرك أن صاحب العمل عائد وسيرى ما صنعت وصنعوا، ولن تحس للحظةٍ أنك متطفل، أو أن لديهم (بعض الحق) في إلزامك بما يريدون!

الله عز وجل استخلفنا في هذه الأرض لنعمرها بشرعه وهُداه. فمن التزمه فهو من أهلها، ومن خالف فهم المتطفلون.

بيقيني في هذا الأمر أشعر بعمقٍ جذوري في كل أرضٍ أحل بها ولو ذهبت إلى أميريكا أو الصين، وأشعر أني حين أصلح في مجتمعي بما يرضي الله فإنما أعيد الناس إلى الأصل، ولا أجد في ذلك أية غضاضة أو حرج.

بهذا اليقين تشعر أنك إنْ جدفتَ بدينك عكس التيار، فالتيار هو الذي يسير في الاتجاه الخاطئ، بينما أنت تسير منسجما مع سائر الكون الذي خلقه الله، بدءًا من حركات الجسيمات في الذرات وانتهاء بكواكب المجرات. وتشعر بمن يشاغبون عليك في أثناء ذلك ويبغونها عوجًا من المتسلطين أنهم - مهما بلغوا من القوة - فما هم إلا: متطفلون. فقل لهم: أنا هنا أؤدي مهمتي في كونٍ خلقَه الله، فمن لم يعجبه شريعة رب الكون فليخرج منه إن استطاع!

***

أنا مش وجه بهدلة!

كم مِنا مَن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه يخشى أن يتعرض للـ(بهدلة) من الي يسوى وما يسواش، وهو (مش وجه بهدلة)...فهو ذو مكانة علمية أو اجتماعية أو ثراء، ولا يليق به أن يُستهزأ به، أو يُضرب أو يفقد وظيفته أو يُحبس...

ما أحوجنا هنا إلى أن نتذكر قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٠] إذن ليس لمسلم أن يترفع عن مكابدة معاناةٍ عاناها رسول الله ﷺ، وكأن نفسه أكرم من نفس رسول الله.

رسول الله أوذي في الله وشُتم وضرب وأغشي عليه ورمي بالحجارة وألقي على ظهره سلا الجزور وكُذِّب واستُهزئ به وهُدِّد وحوصر في الشِّعب واضطر لترك بلده وأوذيت ابنتاه وافتُري على أهل بيته وجاع وعطش وتحمل المشاق، وهو أعظم البشر وأعلاهم

منزلةً وأكرمهم على الله، وأرهف الناس حسًّا وأعزهم نفسًا ﷺ.

فليس أحدنا أكرم نفسا ولا أرفع قدرًا ولا أرهف حسًّا من رسول الله ﷺ مهما كانت مكانته الاجتماعية والعلمية والمادية.

قال ابن القيم في (إغاثة اللهفان): (ومن مكايِده - أي: مكائد الشيطان- أنه يأمرك بإعزاز نفسك وصونها حيث يكون رضى الرب تعالى في إذلالها وابتذالها كجهاد الكفار والمنافقين وأمر الفجار والظلمة بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فيخيِّل إليك أن ذلك تعريضٌ لنفسك إلى مواطن الذل وتسليطِ الأعداء وطعنِهم فيك، فيزول جاهك فلا يقبل منك بعد ذلك ولا يسمع منك).. أي: يقول الشيطان لك: إذا أُهنت فستفقد هيبتك، فيَنْفَضُّ الناس عن دعوتك! وإنما هي مكيدة شيطانها لتعز نفسك عن مخاضات خاضها نبيك الأكرم ﷺ.

قد تخاف، قد تضعف...وقد يكون لك عذر في بعض المواطن، لكن لا تقل في نفسك (أنا مش وجه بهدلة)! لا ترغب بنفسك عن نفس حبيبك محمد ﷺ.

***

المحب لا يستطيع الكتمان

إنها حقيقة مشاهدة: المحب لا يستطيع الكتمان.

تراه يريد أن يبوح لصديقه، لأمه، لأخيه أو لأخته.

يصطنع مع أحدهم موضوعا ليس هو هدفه ليصل منه إلى التعبير عن الحب الذي وقع في قلبه.

ينتظر من صديقه أن يسأله ويستفصل ليبوح له أكثر.

يجد متعة في التعبير عن حبه...ظنا أنه ببوحه سيُنَفِّسُ، وإذا بالمحبة تتأجج أكثر! ولأجل هذا نُظمت القصائد وقال الشعرَ من ليس بشاعر!

ليست نقطتي هنا هل هذا الحب مشروع أم لا...هل أدى إلى زواج طاهر أم زلل...

هل عليه أن يتغافل عن حبه هذا ويطفئ جذوته إن كان في غير محله أو لا يستطيع أن يحظى بما يريد...

إنما هو تقرير حقيقة: أن المحب لا يستطيع **الكتمان**.

فكيف بالمحبة العلوية التعبدية النقية...محبة الله عز وجل؟!

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٥].

هل يُتصور أن تحب الله ثم تستطيع كتمان حبك؟!

أليست الحقيقة أنه لا بد لهذا الحب أن يظهر؟

ألا يجدر بك أن تُظهر هذه المحبة باستمرار وتجد متعة ولذة فائقة في إظهارها؟ عندما يُطرح الحديث عن تميز المسلم بمظهره يجده بعضنا حملا ثقيلا! يجدها «ضريبة» شاقة للـــ(التزام)...

بينما المحب يجدها متعة هو مدفوع إليها دفعا. يستعلن بأنه يحب الله تعالى ويحب رسوله ﷺ.

هل يُعقل أيها المسلمون ألا يستطيع الواحد التمييز بين عبد الرحمن وعبد الشيطان... لا أقصد عبد الشيطان مجازًا، بل حقيقة! أقصد فرقة عباد الشياطين! أليس كلاهما يلبس آخر الموضات ويحلق آخر موضات الحلقات ويتصرف بشكل متشابه ما لم تنبش عن معتقد كل منهما؟!

أيُعقل يا ابنة الإسلام ألا يمكن التفريق بينك وبين من لا تعترف بنبيك ولا بالقرآن؟!

أيُعقل أن يُفعل المنكر أو يُتكلَّم بمنكر أمام الناس فلا يظهر منك حبك لله وغيرتك على حرماته؟!

لا تنظر إلى الهدي الظاهر وإبداء الاعتزاز بالهوية الإسلامية على أنه (تكليف) صعب، بل هو قبل كل شيء تعبير عن محبة صادقة.

فالمحب لا يستطيع الكتمان.

***

وكفى بها عقوبة!

تظن إنْ غَلَبَتْ حسناتُك سيئاتك أنك أفلتَّ من العقوبة؟ تظن إنْ رحمك الله ولم يعذبك أنك أفلتَّ من العقوبة؟ يا مسكين! ويا مسكينة! ستأتيك فُرصٌ، الواحدة منها خير من الدنيا وما فيها:

- شاب أو فتاة يقول لكَ أو لكِ: (لستُ مقتنعًا/ مقتنعة بهذا الأمر المعين من الإسلام، و قد دخل قلبي الشك في الإسلام كله... ساعدني/ ساعديني)..

- شبابٌ صغار ضائعون على قارعة الطريق، يخرج من أفواههم كفرٌ واستهزاء بالدين، مررتَ بهم في لحظة صفاءٍ تركَتْهم فيها الشياطين قليلا!

قد كان يمكن لك أن تستغل هذه اللحظات الفارقة...قد كان يمكن لغَيرتك على الدين أن تشتعل في قلبك، فتسِحَّ عيناك دمعا،

وترجف شفتاك وترِقَّ قسمات وجهك وتنساب على لسانك كلماتٌ صادقةٌ يكتب الله بها الإيمان في قلوبٍ انفتَحَتْ لك للحظةٍ صفحةً بيضاء...فتقلِبُ الغافل والمستهزئ والنافرة إلى عبد لله صالح وصالحة، ويبدأ عد أعماله في ميزان حسناتك، حتى لو لم تلق الله إلا به لرجوت رحمته.

- قد كان يمكن أن تنالك هذه (الكرامة) - لكن...! اجتمعت عليك ذنوبٌ استهَنْتَ بها...فجثمت على قلبك وأطفأت جذوتك وربطت لسانك! فخرجت منك كلماتٌ ميتة لم تؤثر فيك فضلا عن أن تؤثر في غيرك من سامعيها! ومرت هذه اللحظة التاريخية، وفقدتها، ربما...إلى الأبد!

- عندها ستفهم جيدا معنى الخذلان! استهنتَ بالمعاصي، وفضلتَ شهواتٍ زينها الشيطان على فتوحات الرحمن، وقلت في نفسك: (سيُغفر لنا...نعمل حسنات تغمرها...الله رحيم فعسى ألا تمسنا عقوبة) وما فكرت في ضياع فرص الكرامات..

وكفى بها عقوبة!

فلا تحرم نفسك...فما عند الله خير.

حياة قلبك خير وأحلى من حياة الغفلات وما فيها من متاع قليل...

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]

الحقيقة والكابوس

حصل معي أن أحلم بكابوس، ثم أدرك -أثناء الحلم- أنه مجرد كابوس، فأستريح وأستمتع! لأني أقارنه بالواقع الأفضل الذي ينتظرني عند اليقظة.

جمال العيش مع القرآن أنه يجعل آلام الحياة في حسك مثل هذا الكابوس، ويجعلك تعيش واقعًا جميلا منتظرا، هو واقع نهايات معركة الحق مع الباطل، وواقع الحياة الآخرة الأبدية.

تقرأ في القرآن: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المُنَافِقُون: ٨] وتقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المُجَادلَة: ٢٠] فتعلم أن ذل المؤمنين وعزة الكافرين كابوس، مجرد كابوس...سيزول قريبا وتنتقل إلى الحقيقة التي يجعلك القرآن تعيش معها في لحظتك الراهنة!

تقرأ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفِطَار: ١٣ - ١٤] ..فتعلم أن نعيم الفجار وجحيم الأبرار كابوس، مجرد كابوس وهمي سيمر سريعًا، وستصحو قريبا على واقع حقيقي أبدي سرمدي، يجعلك القرآن تعيشه الآن!

بهذا الشعور - الحقيقي - قد تتحول آلامك إلى متعة! لأنك تقارنها بالواقع المنتظر فتدرك الفرق، وتنتظر لذة الفِطر بعد طول صيام.

إنها لذةٌ وطمأنينة لن تدركها أبدا إلا بالعيش مع القرآن...يوميًّا.

ومن حُرم منها في يوم من الأيام فقد حرم خيرا كثيرا، إذ سيعيش

كابوس الحياة الوهمي على أنه واقع... ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨٥] .

وكلما عشت مع القرآن أكثر، قراءةً وتدبرًا، فإن الإحساس بالحقيقة يزداد، والاهتمام بالكابوس يقل.

الدنيا حلم بمعنى الكلمة...وغفلةٌ كبيرة أن تعاملها بغير هذا ولا تدرك هذه الحقيقة إلا يوم القيامة، يوم يقال للمُعرِض: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] .

وهذا كله لا يُكَسِّل المسلم عن أن يعمل على إصلاح الواقع ومدافعة الباطل وأهله ونصرة المستضعفين بما يستطيع، بل إنه في ذلك كله تصبره الحقيقة التي يعيشها بروحه، ويستخف بالآلام إذْ يعلم أنها: مجرد كابوس، وسينجلي....

***

إذا الشيوخ فتنوا، فإيش حالنا إحنا؟

يتساءل كثير منا في هذه الأيام فيقول: (شيوخ وعلماء أجلاء كنا نسمع لهم ونثق بهم، بل وتعلمنا الدين على أيديهم، إذا بهم ينقلبون على أعقابهم ويغيرون مبادئهم بهذه السرعة المرعبة، وصرنا نرى منهم مواقف مخزية. إذا كانت الفتنة أثَّرت في هؤلاء فكيف حالنا نحن البشر العاديين؟)هذا السؤال لعله يخطر ببالك أنت أيضا، وبل ولعل البعض لو أراد التعبير بصراحة أكثر فإنه سيقول: (إذا كان الله

لم يُنَجِّ هؤلاء الشيوخ من السقوط في الفتنة مع أنهم دعوا إليه وأمضوا حياتهم في سبيله، فلماذا ينجينا نحن وليس لنا مثل حسناتهم؟).

هذا التساؤل يا كرام يُخشى أن يكون فيه سوء ظن بالله، ونبينا ﷺ قال: «**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» (صحيح مسلم ٢٨٧٧)..

وهذا هو هدف مقالنا هذا: أن نحسن الظن بالله تعالى.

هؤلاء الدعاة والعلماء المذكورون منهم من يُفترى عليه أن سقط وخذل الدين وليس الأمر كذلك. لكن البعض يتلمس عيوب المتصدرين ويضخمها ليتعذر نفسه في أخطائه ومعاصيه هو، وهذا حسبه قول نبينا ﷺ: «**يا معشرَ من أسلمَ بلسانِه ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبِه، لا تؤذوا المسلمينَ ولا تعيِّروهم ولا تتَّبعوا عوْراتِهم. فإنَّهُ من يتَّبعْ عورةَ أخيهِ المسلِمِ يتَّبعِ الله عورتَه، ومن يتَّبعِ الله عورتَه يفضحْهُ ولو في جوفِ رحلِه**» (أخرجه أبو داود ٤٨٨٠).

والدعاة والعلماء ليسوا مستثنين من تحريم اتباع عيوبهم، خاصة إذا لم يكونوا مجاهرين بها ولم تكن تطعن في مصداقيتهم ولا تؤثر على من يتأثر بكلامهم.

في المقابل، هناك من تراه منهم يسقط بالفعل فيوالي الظالمين ويلبس الحق بالباطل. وهؤلاء هم أحد صنفين:

- إما أنهم ساقطون أصلا صُنعوا ولمعوا لمهمة ترويج الباطل والتلبيس على الناس.

- وصنف آخر ليس كذلك، لكن عندهم معاصي وذنوبًا كبيرة خذلتهم في مواقف الامتحان.

- (معقول علماء عندهم معاصي كبيرة؟).

- نعم...

- (مثل ماذا؟)

رياء، حسد، حرص على رضا المتابعين لئلا يفقدوا شعبيتهم، استشهاد بأحاديث موضوعة في زمن يستطيع أحدنا أن يستخرج صحة الحديث من ضعفه على النت بسهولة، ومع ذلك فمن هؤلاء الدعاة من يستهين بنسبة كلام إلى الله ورسوله ﷺ دون توثُّق ليأتي بجديد على للمتابعين ولو على حساب الحق، وغيرها كثير. وهو في ذلك كله يعلم أمراض قلبه، لكنه يهملها، معجبٌ بنفسه أنْ اهتدى على يديه كثيرون، كأنه يمنُّ على الدين! فاستفحلت أمراض القلب، حتى إذا وُضع على المحك، وقف مواقف مخزية تهدم أكثر مما بنى، وتتسبب في فتنةٍ للناس. وكان (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ).

عَلِم هدى الله فما احتكم إليه في حياته بصدق، بل تولى عنه أو عن شيء منه وهو يدعو إليه!

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المَائِدَة: ٤٩].

فإياك أخي أن تظن أن الله ينكس قلب عبدٍ دون ذنب ولا سبب.

هؤلاء لهم فتنة قد تكون أكبر من فتاواهم الضالة ومواقفهم المخزية: إنها الشبهة التي تقع في نفوس من ظنوهم صالحين ثم هم

يرون الآن انتكاسهم فيقع في نفوسهم أن الله لم يحفظ الود لأوليائه فنكس قلوبهم ولم يعبأ بكثرة ما جرى على أيديهم من الخير!...

حاش لله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يُونُس: ٤٤].

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ، وإنَّه لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**» (صحيح البخاري ٤٢٠٧). لاحظ قوله ﷺ: «**فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ**».. فمظهره غرَّار لا يعكس ما في نفسه.

أمهلهم الله كثيرا ثم لا يتوقفون ولا يتذكرون، واستجلبوا مقته إذ يقولون للناس ما لا يفعلون، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التَّوْبَة: ١١٥]. تأمل هذه الآية...

﴿وَمَا كَانَ﴾: يعني لا ينبغي له ذلك، ولا يليق به سبحانه..

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾: ما يتجنبونه من أسباب الهلاك بيانا شرعيا عاما في جملة الناس، وكثيرا ما يكون أيضا بلفتاتِ نظر لهم وتذكير وإشارات وعبر وعظات حين يبتعدون..

فَمَن سقط بعد ذلك كله فالعلة فيه، والكمال المطلق في أسماء الله وصفاته، ومن أسماء الله تعالى: الودود. فاللهُ أحفظُ للود من أن ينكس قلبا صادقا مخلصا هكذا بلا ذنب! ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البُرُوج: ١٤]، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هُود: ٩٠].

والله هو الشكور، قال رسول الله ﷺ: « **إن أحدكم ليتكلّم بالكلمةِ من رِضْوانِ الله ما يظنّ أن تبلغَ ما بلغتْ فيكتب اللهُ لهُ بها رِضْوانُهُ إلى يومِ يلقاهُ**» (سنن الترمذي ٢٣١٩). تصور! قد تقول كلمة من

رضوان الله، مثلا مررت بمجموعة شبان يفعلون محرما فغرت على دين الله، ونصحتهم بحرقة بكلمة بسيطة، وهذا الموقف مر عليه سنوات ونسيته، لكن الله الشكور لا ينساه، بل قد يكون كتب لك رضوانه إلى يوم تلقاه من أجل هذه الكلمات التي قلتها بإخلاص.

فما بالكم بداعية له مئات الدروس والمقالات والخطب والمحاضرات التي انتشرت في الناس؟ أيمكن أن يكون في هذا كله مخلصا صادقا متقيا لله، ثم ينكس الله قلبه هكذا بلا سبب؟

لا والله، ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافَّات: ٨٧]؟

اخواني، عشت ورأيت.. ما أعلم أحدا انتكس وسقط في الاختبارات إلا وكان له في أيام الرخاء تصرفات وسوابق سوء تنذر بخطر في المستقبل، وإلا فوالله لو كانوا صادقين لثبَّتهم الله عند الشدائد: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٧].

فهل تُصدق الله؟ أم تصدق هؤلاء؟

يا مسكين، يا من تقول نكسهم الله بعد أن دعوا إليه، أحسنت الظن بالمنتكسين، وأسأت الظن برب العالمين.!

والله لقد رأيت بنفسي مِن ربي لطفا وكرما ورحمة وحلما وإمهالا على تقصيري الشديد. فكيف بمن هم أعلى من ذلك مرتبة، أَيُنكس الله قلوبهم بلا سبب؟ لا والله! لا أُصَدِّق ذلك يوما! ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٧].

وها أنا أقولها لكل من يسمع: (إذا بدرَتْ مني انتكاسة في قادم

الأيام لا قدر الله، فوالله إني لأعلم من نفسي وأمراض قلبي وتقصيري ما يستوجب هذه النكسة، ولا يحول دون الانتكاسة إلا رحمةُ ربي. فاللهم عافنا واختم لنا بأحسن الخواتيم، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أعمالنا طرفة عين يا أرحم الراحمين).

ابن الجوزي شيخ الواعظين وعى خطورة أن تكون سببا في سوء ظن الناس بربهم بأن تجعلهم يظنون أن الله نكس قلبك وأنت تدعو إليه بصدق، فقال في صيد الخاطر كلمة عظيمة بليغة. قال: (ولقد جلست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا مَنْ قد رق قلبه أو دمعت عينه).

لا تستغرب أخي، فهذا الرجل تعرض للابتلاءات حتى أنه حبس في منفى خمس سنين وقد قارب الثمانين، وكان يحضر طعامه ويغسل ثيابه بنفسه، ثم خرج وعاد لوعظ الناس من جديد، وكان من الصابرين فيما نحسبه، فلا تعجبوا أن يُقبل الناس عليه ويتأثر بكلامه.

نعود لكلماته...قال: (ولقد جلست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رق قلبه أو دمعت عينه، فقلت لنفسي كيف بك إن نجو وهلكت؟!)..

يعني ما حالك يابن الجوزي إذا انتفع هؤلاء بكلامك فدخلوا الجنة ثم هويت في النار لما يعلمه الله من ذنوبٍ سترها عن هؤلاء؟!

قال: (فصِحْتُ بلسان وجدي: إلهي وسيدي! إن قضيت علي بالعذاب غدا فلا تُعْلِمْهم بعذابي...يعني: يا رب، إن كنتَ ستعذبني لذنوبٍ وأمراض قلبٍ أَستحِقُّ عليها العذاب، فلدي طلب واحد:

لا تجعلهم يعلمون أنك ستعذبني بأن تختم لي بسوء مثلا، أو تُرِيَ الناس رؤى سوء فيَّ).

لماذا يا ابن الجوزي؟

قال: (فلا تُعْلِمْهُم بعذابي، صيانة لكرمك لا لأجلي، لئلا يقولوا: عذب من دل عليه). يعني لئلا يقول الناس: (ابن الجوزي دلنا على الله ثم الله يعذبه). خاف ابن الجوزي أن يكون سببا في سوء ظن الناس بربهم، وقد ستر الله عنهم ذنوبا وعيوبا يعلمها سبحانه ولا يعلمونها.

في الختام أخي:

- إياك أن تسيء الظن بربك، بل أحسن الظن بالله وأسئ الظن بالمنتكسين.

- وخذ من انتكاستهم عبرة ألا تهمل ذنوبك وأمراض قلبك حتى تستفحل فتسقط في الاختبارات.

- ولا تبرر لنفسك معصيةً بحجة أنه (حتى الشيوخ فتنوا)، بل تذكر قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المَائِدَة: ١٠٥] .

وتذكر قول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ * وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القِيَامَة: ١٤ - ١٥] .

- ولا يشغلْك التحذير من تضليل المنتكسين عن عيوب نفسك. بل تذكر قول نبينا ﷺ: «**أمسِكْ عليكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُك، وابكِ على خطيئتِكَ**» (سنن الترمذي ٢٤٠٦).

محكمات الإسلام واضحة..الحلال بين والحرام بين. واعلم أن في الأمة علماء ودعاة خيرين كثراً، لكن لا يلمعون. دورك ودوري أن نبحث عنهم ونستفيد منهم. نسأل الله أن يهدي من ضل وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه.

***

سؤال «أين معونةُ اللّهِ للمسلمينَ؟»

جاءني تساؤل من أحد المتابعين يقول فيه: (أين ربنا عن الظلم الحاصل بغزة؟

أين النصر وتثبيت الأقدام والملائكة التي تقاتل مع المؤمنين؟

معقول يكون في النهاية اليهود على حق والمسلمون هم الظلمة؟

بالله عليك جاوبني جواب مقنع علشان قناعاتي وإيماني بكل شيء صارت مهتزة للأسف. وربنا يجزيك الخير).

هذه الرسالة إخواني أظنها تمثل عددا من الناس، وهي تبين أننا لم نفهم إسلامنا بعد! عندنا ثلاث نقاط فيها لنجيب عنها:

١. لماذا لا يمنع الله الظلم؟

٢. أين النصر؟

٣. هل الصهاينة أحسن من المسلمين ولذلك ينتصرون عليهم؟

أولاً: عندما تتساءل (أين الله عن الظلم الحاصل؟) أسألك: هل الله تعالى وعد وعداً وأخلفه؟ هل قال لك أن هذه الدنيا دار جزاء فلا بد أن يُنصَف فيها المظلوم من الظالم؟ ألم تقرأ سورة البروج؟ أناسٌ

آمنوا فحفر لهم الكفار الأخدود وحرقوهم أحياء حتى الموت، ومع ذلك قال الله تعالى في هؤلاء المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البُرُوج: ١١].

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.. فالذين يموتون على الطاعة فائزون، بل فوزا كبيرا.. أراد عدوهم صدهم عن دينهم فما استطاع، فلم يملك إلا قتلهم، فقُتلوا، لكن بعد أن انتصروا عليه بكسر إرادته وتفشيل كيده.

إذا كنت لم تدرك هذه الحقائق فالخطأ في فهمك للإسلام لا في الإسلام ذاته، فعُد للإسلام فافهمه، ولا تتكلم عن رب العزة وكأنه وعدَ فأخلف حاشاه، بل هو سبحانه القائل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٤٢] .

وإذا هذا كله لا يقنعك فهذه مشكلتك، أنك لا تريد التسليم بحقيقة أن هذه الدنيا دار بلاء لا دار جزاء، وأنك لا تريد التسليم بمركزية الدار الآخرة في حياة المؤمن.

غريب جدا أن تكون مسلمًا ثم تتكلم وكأن قصص الظلم تنتهي في هذه الحياة الدنيا ثم يصير الظالم والمظلوم ترابا ولا معاد ولا حساب! أين الدار الآخرة من حساباتك؟ أين قول الله:﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨٥] ؟ هل وعَدَ الله بألا يبتلي؟ بل وعد بأن يبتلي فقال:﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ

أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨٦] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

- أهل غزة وأمثالهم من المظلومين من المسلمين في العالم يُصبِّرهم الله وأنت هنا في مكانك تتشكك؟! هم يعانون ونرى مع ذلك رحمة الله في تثبيتهم وأنت تتفرج ولا تعاني مثلهم ومع ذلك يهتز إيمانك؟!

- طيب انخلعت من إيمانك، بماذا نفعت إخوانك؟ لا شيء.. بل تصبح همًّا جديدا وطعنة جديدة في ظهر أمتك... بينما إذا انشغلت في مشروع تصلح به في أمتك وتضمد جراحها بالدعوة وإحياء روح العزة فإنك تنصرهم وتنصر المستضعفين ولو بعد حين.

- الحمد لله هناك إخوة يتابعونني من غزة، وأطفال شاركوا في مسابقات القرآن التي عملناها من غزة. وأنا أتقرب إلى الله بتحبيب دينهم إليهم حتى يبقوا ثابتين إلى أن يلقوا ربهم راضيا عنهم بإذنه سبحانه. وأسأله سبحانه أن يعيننا على نصرهم ورفع البلاء عنهم وعن أمة الإسلام.

- فيا من تهتم لإخوانك في غزة، انشغل بنفعهم ونفع المستضعفين، لا بالاعتراض على رب العالمين لأنك ما فهمت دينه ولا سلَّمت لحقيقة أن الدنيا دار بلاء لا دار جزاء.

ثانياً: أين النصر؟ لماذا لا يُنصر المسلمون في غزة؟

ينصرون على من؟

- على الصهاينة؟

- الصهاينة ما هم إلا وكلاء ممثلون لأعداء المسلمين. وفي كل صراع بين المسلمين وأعدائهم فهو صراع مع قوى الكفر كافة، والتي وإن تفرقت واختلفت إلا أنها تجتمع على حرب المسلمين بشكل مباشر أو غير مباشر. وهكذا حربٌ لا تنوب فيها غزة ولا غير غزة عن الأمة المسلمة.

طيب يعني يدفع أهل غزة الثمن عن تخاذل المسلمين؟ وأين ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فَاطِر: ١٨]؟

بل نقول: من مات من أهل غزة على الإيمان فإن الله اصطفاه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٠]

المؤمن الذي يقتل في سبيل الله ينال أجره كاملاً وافياً غير منقوص، بل ويكرمه الله ويتفضل عليه.

لكن باقي الأمة لم تتأهل للنصر حتى تجازى به.

الأمة لم تتعامل مع حقيقة أنها في حرب إيمان وكفر بعدُ حتى تستحق النصر.

النصر له أسباب، ونحن كمسلمين لم نعط هذه الأسباب حقها بعد.

وإن كان المسلمون يتعذرون بأن الأمر ليس بيدهم وبأن المتسلطين عليهم المتحكمين ببلادهم لا يخافون الله، فإنهم هؤلاء ما سُلطوا إلا بذنوب العباد ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ

شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عِمْرَان: ١٢٠] .

فمن قُتِل على الإيمان، ومن قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، دون تخليط في هذا المقصد...هذا موعود من الله بأجر الشهداء.

أما الأمة فلم تتأهل للنصر بعد. بل وكثير ممن يقول (أين نصر الله؟) تراه هو نفسه عوناً لأعداء الإسلام، يعين الظالمين وينافقهم طمعاً في المال والجاه.. يهمل تربية أولاده فينشأون بلا عقيدة ولا عزة ولا نخوة ويصبحون أدوات بيد أعداء الإسلام، لا يتقن عمله فيزيد المسلمين فقرًا وجهلًا.

ثم بعد ذلك يقول: (أين نصر الله؟!) عجيب والله!

كم قلت أمراض البلاد وأنت من أمراضها
والشؤم علتها فهل فتشت عن أعراضها
يا من حملت الفأس يهدمها على أنقاضها
اقعد فما أنت الذي يسعى إلى إنهاضها
وانظر بعينيك الذئاب تعب في أحواضها

قد تقول: (طيب مهما كان عندنا من تقصير، يعني نحن شر حالًا من الصهاينة ولهذا ينتصرون علينا؟).

سأسألك سؤالًا: لما ضاع النصر في معركة أحد وتمكن المشركون من أذية جيش النبي ﷺ والصحابة، هل يعني هذا أن المشركين كانوا أفضل من رسول الله والصحابة؟ أعوذ بالله.

طيب لماذا لم ينصرهم الله؟

لأن النصر له أسباب، وبعض الصحابة خالف الأمر فأخل ذلك بأسباب النصر.

المؤمنون موعودون كأمة بالنصر إذا حصلوا أسبابه.. فإن لم يحصلوها كانت الغلبة لمن يتفوق عسكريا وماديًّا.

ومع ذلك فمن قُتلوا من جيش رسول الله شهداء فإن الله أكرمهم وأنزل في شأنهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٩] .

وكذلك من يُقتل في سبيل الله في أيامنا.

ختاماً: في كل حَدَثٍ في بلاد المسلمين، من يُقتل منهم صابرًا محتسباً موحدا لله معظماً لشريعته ثابتًا على دينه فإنه فائز لم تنكسر إرادته أمام كيد أعداء الإسلام أجمعين.

نسأل الله أن يلطف بالمستضعفين ويعنيننا والمسلمين على نصرتهم.

***

لا تحبس نفسك بنفسك!

كم حصل أن نرى شراسة الهجمة على الإسلام، فنغار على ديننا، ونحِن إلى أمجادنا، ونهب لإصلاح الأوضاع...نرد على المبطلين، ندعو إلى الحق، نقيم النشاطات...

يستجيب الناس بتلهف، فكلامنا يخاطب فطرتهم ويُحْدِث فيهم تغييرا... وفي هذا كله نقول لأنفسنا:(سيحصل تدخُّل.سيُوقَفُ هذا الخير)...

تمر الشهور والسنوات...ولا يُوقِف هذا الخير أحد، أو ينالنا في سبيل الله ما يهون أمام الجائزة المنتظرة، ولا يزال المجال أمام دعوتنا فسيحاً ونفوس الناس بيئة خصبة للبذور.

ومع ذلك...نَفْتُر، وتنخفض وتيرتنا، وتضعف عزيمتنا...وتمر أيام وأيام، كان يمكن في كل يوم أن ندفع باطلا ونظهر حقا ونقرب بعيدا ونوقظ غافلا...

لكننا عباداتنا تضعُف، ونقلب صفحات النت دون هدف محدد، ونمضي الساعات بلا برنامج واضح...

بل وقد يشكو بعضنا التأثر بالشهوات، ونصبح في مصاف الذين كنا نعالجهم بالأمس وننتظر معهم من ينشلنا!

وقد ننظر فنرى أقراننا حازوا المراتب في الدنيا أو جمعوا الأموال بينما نحن لم نرَ لدعوتنا أثراً مادياً فتبدأ المقارنات ويفتُر في حسِّنا: (جنة عرضها السماوات والأرض)!

بل وقد تتسرب أمراض القلوب لبعضنا، من حُبِّ شهرةٍ أو تحاسدٍ بين الدعاة أو طلب علوٍّ بالعلم الذي آتانا الله إياه!

لنكتشف أننا حبسنا أنفسنا بأنفسنا يوم لم يحبسنا أحد! وآذينا دعوتنا يوم لم يؤذها أحد!

وقد نتحمس من جديد، لكن ما نلبث أن نفتر... وهكذا دواليك...

بينما ننظر: فإذا أهل الباطل في برامجهم مستمرون، بهمة ونشاط وتخطيط وإنجاز...ويكسبون لصفهم يوميا جموعا من المسلمين كان

يمكن أن يكونوا في ميزان حسناتنا. حاديهم في هذا متاع من الدنيا قليل، لا يقارَن بالأجر الذي ننتظره.

وصدق عمر ﷺ إذ قال: فيما نُسب إليه -: (أشكو إلى الله جلَد الفاجر وعجز الثقة).

نحتاج همة لا تلبث أن تفتُر حتى تشتعل من جديد..

وتطلُّعًا إلى الجنة نتنسَّم ريحها ليدب النشاط في الأوصال من جديد..

وترفعًا عن المعارك الجانبية والخلافات الشخصية..

وتذكُّرًا لقول نبينا ﷺ: «**يا شدَّادُ بنُ أوسٍ! إذا رأيتَ النَّاسَ قد اكتنزوا الذَّهبَ والفضَّةَ؛ فاكنِز هؤلاء الكلماتِ: اللَّهمَّ! إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ على الرُّشدِ، وأسألُك موجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألُك شُكرَ نعمتِك، وحُسنَ عبادتِك، وأسألُك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألُك من خيرِ ما تعلَمُ، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلَمُ، وأستغفرُك لما تعلَمُ؛ إنَّك أنت علَّامُ الغيوبِ**». (قال الألباني في السلسلة الصحيح إسناده صحيح ٣٢٢٨، وقال ابن حجر في تخريج الأذكار: حديث حسن).

***

يقين المؤمن

آية استوقفتني في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩] محل

الشاهد: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾؟!

هكذا يُلقَّن المؤمن أن يعلن الحق الذي يعتقده باعتزاز، ويُسَخِّف باطل المبطلين وكأنه كلام مجانين!

فهذا الشيء - دعوى أن مع الله آلهة أخرى - يؤمَر النبي ﷺ أن يُسَخفه ويُشعِر قومه أنْ لا عاقل يقول به، مع أنه في الواقع عقيدة رسخت في قومه أجمعين، بل في جزيرة العرب، بل في العالم كله آنذاك! وكبُر عليها الصغير وهرم عليها الكبير، وماتت أجيال على الاعتقاد بها وتشربتها قلوبهم، وكانت عند الناس آنذاك بمثابة (الحقيقة الكبرى)!

ومع ذلك يُلقَّن النبي ﷺ أن يسألهم عن هذا الاعتقاد الباطل كأنه هذيان لعلهم لم يقصدوه، أو كأنه جنون يُرجى لصاحبه أن يرجع عنه إذا أوقف على معناه!

ذلك أن هذا الواقع لا يعني للمؤمن أي شيء ما دام باطلا في ميزان الله...يقينٌ ما بعده يقين، وعزةٌ ما بعدها عزة!

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن في كل عصر إذا اعترض عليه أهل الباطل بأن قوله (مصادم للواقع) الذي حرفوه عن الصراط المستقيم.

***

رسالة من أسير إلى أمه...

أمي الحبيبة، هذه نقاط أتمنى أن تراجعيها كلما اشتقت إلي: ♥ ♥

١. أيام تمضي بسرعة - كما كنا نقول دائما مستغربين - ثم أعود إليكم بإذن الله، وتعود اللحظات الجميلة، نجلس سويةً، نضحك

سويةً، نخرج في نزهة سويةً، وسننسى آلام الفراق ويبقى أجر الصبر بإذن الله.

٢. هذه الأيام التي أُكثر وتكثرين فيها من الدعاء و قراءة القرآن والذكر رجاء رحمة الله وتعجيل الفَرَج، ليست أياماً (تضيع من حياتنا) كما يحاول الشيطان أن يوهمنا. بل نحن الآن نفعل ما خَلقَنا الله من أجله إذ قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦].

٣. الذي يحرص على ألا تفوته لحظة من اللحظات الجميلة في هذه الدنيا هو ذاك الذي لا يرى بعد هذه الحياة حياةً أخرى، فهو يحرص أن يستمتع بكل لحظة في الدنيا. بينما عندما نتذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٣٢] فإن نفوسنا تطيب بهذه الأيام التي نصبرها الآن لنشتري بها نعيمًا لا ينتهي وقرة عينٍ لا تنقطع.

٤. عندنا تأتين لزيارتي مطمئنة مستبشرةً برحمة الله طَيِّبَةَ النفس بالصبر في سبيله فإني أنا أيضًا أطمئن وأستبشر وتطيب نفسي وأعلم أن الله أراد بي خيرًا، فتكونين بإذن الله شريكة لي في الأجر.

وهناك في الجنة: لا فراق، لا حزن، لا آلام، لا خوف من زوال النعيم، بل فرح وسرور ورضا ونظرٌ إلى وجه الذي صبَرْنا من أجله سبحانه وتعالى.

محبك المشتاق إليك دوماً: ابنك

الضَّعف المزروع

أدركت بالمشاهدات الطويلة أن أكبر انتصار يحرزه أعداؤنا علينا هو أن يزرعوا فينا الضعف، ويَمْضُوا!

سنكون وحدنا، لا سيوفهم مُصْلتة على رقابنا، ولا سياطهم على ظهورنا، ولا قيودهم في أيدينا، ولا نحن تحت سمعهم ولا أبصارهم..

ومع ذلك نحس بالفشل، بالضعف، بازدراء أنفسنا، باللاجدوى من أي عمل يمكن أن نعمله، وبأن أية مبادرة يمكن أن نبادرها لإصلاح أوضاعنا سوف تُوأَدُ في مهدها، فلا نحاول أصلاً!

بل وينمي بعضنا هذه المشاعر المدمرة في البعض الآخر بالإطلاقات السلبية التي نطلقها وبملامح وجوهنا...

ويكفي أعداءَنا لإبقاء بذرة الضعف حيةً أن يسقوها كل فترة بالتضييق على بادرة أملٍ هنا وسد باب خيرٍ هناك، مستغلين سوء تعريفنا للنجاح، إذْ ننسى أن كل خير يقدمه مسلمٌ بحسن قصدٍ وحسن اتباعٍ هو نجاحٌ وأجرٌ يُرجى بتراكم بَرَكته وبَرَكة أمثاله أن يجعل الله لهذه الأمة فرجًا ومخرجًا ولو ظهر أن هذا الخير اندثر..

انتبه لبذرة الوَهَن هذه في نفسك، فوالله إنها لأَضَرُّ عليك من أسلحتهم جمعاء..

فترى أن الله تعالى حذر من هذا الوهن فقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩].

فاحرص أن تكون كالذين قال الله فيهم: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٦] صبراً، يقيناً، عملاً بلا ملل، استبشارًا برحمة الله، و﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٧] .

***

طريقة لطيفة لمقاومة المعاصي والفتن

أيها الأحبة، عندما نتكلم عن المعصية وأثرها فعادةً ما نُخَوف من عقوبتها الدنيوية والأخروية. وهذا مهم. لكن هناك حقيقة علينا ألا ننساها: أن الله تعالى قد يقضي قضاء أبديا بأنك يا فلان أو يا فلانة ستكون في مرتبة عالية من مراتب الجنة.

قد يكون ذلك ببركة فعلٍ فعلتَه أنت في الماضي أو كلمة قلتَها ونسيتها، لكن الله الشكور لم يَنْسَها.

ففي الحديث الصحيح: «**إن أحدكم ليتكلّم بالكلمةِ من رِضْوانِ الله ما يظنّ أن تبلغَ ما بلغتْ فيكتب اللهُ لهُ بها رِضْوانُهُ إلى يومِ يلقاهُ**»

(سنن الترمذي ٢٣١٩).

فهذه المرتبة في الجنة مكتوبة لك، فيعطيك فرصة تلو الفرصة لتتخلص من معاصيك وتلتزم بالواجبات حتى تصل إلى هذه المرتبة.

لكنك كسلاااان ضعيييييف! لم تتوقف عن ذنبك.

فيغسلك الله بالمصائب والـمُحزِنات حتى تستحق هذه المرتبة.

ففي الحديث الذي صححه الهيتمي المكي والألباني والمنذري

وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرَّجُلَ ليكونُ لهُ عندَ الله المنزلة فما يبلُغُها بعمَلٍ فما يزالُ اللهُ يبتليهِ بما يكرَهُ حتَّى يُبلِّغَهُ إيَّاها**».

إن كنت من أهل هذا الحديث فالمنزلة لك يا أخي وأنت لها.

فأيهما أحب إليك؟ أن تبلغها بالطاعة أم بالبلايا التي تكره؟

نسأل الله لنا ولكم علو المنزلة مع العافية في الدين والدنيا.

اسأل الله أن يبلغك إياها بالطاعة ويجمع لك مع ذلك العافية.

***

أجمل من الموسيقى

كنت قديما مولعا بالموسيقى، ثم اقتنعت بالأدلة أنها محرمة، فتركتها على حبي لها.

فشاء الله أن يشغلني بما هو خير منها: وهو دراسة السيرة النبوية من خلال البحث عن أحاديث تصف أخلاق النبي ﷺ وتواضُعَه وقُربه من أصحابه وحُسن عشرته لأهله وملاعبته للأطفال، كل هذا بتلقائية ودون تكلف.

يوما من الأيام، وأنا أُجهز خطبة في الموضوع وأنقر على لوحة مفاتيح الكمبيوتر لأستخرج كنوز السيرة، تذكرت نقري بطريقة مشابهة على آلة موسيقية.

لكن شتان شتان! أيامَ الموسيقى كنت أستمتع وأنا أنقر، لكن ما أن أنتهي حتى أحس بالخواء الروحي واللاجدوى! ثم عندما دخلت عالم الدعوة والحديث عن رب العزة وكتابه ونبيه ﷺ أصبَحَت المتعة

الروحية متنامية والقلب ممتلئا بما ينفع على مدار الساعة، وأصبح (النقر) يبني في كياني طمأنينة واتصالًا بالله تعالى.

عن مثل هذا الشعور يعبر المفسر الزمخشري - ونُسبت إلى غيره - إذ قال:

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي ❊ من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة ❊ أشهى وأحلى من مدامة ســـاقي
وصرير أقلامي على أوراقها ❊ أحلى من الدوكاء والعشـــاق
وألذُّ من نقر الفتاة لدفها ❊ نقري لأُلقيْ الـــرمل عن أوراقي
يا من يحاول بالأماني رتبتي ❊ كَم بينَ مُسْـــتَعْلٍ وآخر راقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته ❊ نوما وتبغي بعد ذاك لحـــاقي

❊❊❊

لسنا أقل تقديرا للجمال

لسنا أقل تقديرا للجمال، ولا فقراء الشعور، وعندنا من الإحساس المرهف ما عند المنقادين لعواطفهم وزيادة، غير أن في قلوبنا كنزا هو أعظم مما يجدون، ولذةً أسمى مما عنها يبحثون، إنها محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه ورؤية وجهه راضيا عنا بما تركنا لأجله..

رأينا أن لذّةَ تأمُّلِ جمالٍ لا يحل لنا تُزاحمُ لذّتنا هذه، وعَلِمْنا أن الله تعالى يغار أن يجتمع الأنس به في قلب واحد مع الأنس بالمحرمات، فكان لا بد من الاختيار.. وما كنا لنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولا لنحزنَ على نظرة محرمة فاتتنا أو موقفِ مزلةٍ لم نسترسل فيه.. فإنما هي قرابين قدمناها ليبقى رضا المحبوب الأعظم سبحانه

وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ١٣١].

***

أمضى حياته موجِّهًا وجهه نحوهم

نحو ثريٍّ يرجو منه رضاه

نحو الناس يرائيهم بأعماله

نحو ما لا يحل له من النساء يتعلق قلبه بهن

نحو صاحب سلطان ينافقه

وحتى وهو في صلاته فَوَجْهُ قلبه منصرف، لم يَخَفْ أن يكون ممن وصف الله: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٧] كيف حاله يوم القيامة حين يدرك أنه طوال حياته وجَّه وجهه الوجهة الخاطئة بدل أن يوجهه لمن يقف الآن أمامه سبحانه وتعالى؟!:

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأَنْعَام: ٦٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأَنْعَام: ٣٠].

هنا يتمنى لو أنه قال كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأَنْعَام: ٧٩].

لذا، لا تعجب من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأَنفَال: ٥٠].

فإنهم وجهوا وجوههم هذه لمن لا يستحق، وأدبروا عن دين الله وهداه، فحُق لهذه الوجوه والأدبار أن تُضرب!

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الرُّوم: ٣٠].

***

المؤمن لا يخاف إلا الله

المؤمن لا يخاف إلا الله. هل معنى ذلك أنه لا يخاف من بطش الظلمة أو من الأعداء في حالة الحرب مثلاً أو من الحيوانات المفترسة؟

بلى، هذا كله خوفٌ طَبَعي فطري لا ينافي الإيمان، وقد حصل حتى من الأنبياء عليهم السلام، كما مع موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ٢١]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القَصَص: ٣٣].

وإنما يتعارض خوفك مع الإيمان في حالتين:

١- إذا اعتقدت أن الذي تخاف منه يضرك أو ينفعك بإرادته هو من دون الله.

٢- إذا أدى خوفك إلى ترك واجب أو فعل محرم، بأن تطيع من تخاف في معصية الله مثلًا مع أنك لم تصل حد الإكراه.

وهذا منهي عنه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عِمْرَان: ١٧٥]

يعني يخوفكم أيها المؤمنون من أوليائه. فما هذا إلا وسوسة شيطان حق لكم ألا تلتفتوا إليها.

فلا يمنعْك خوف أحد من أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتبلغ رسالات ربك بحسب وسعك وطاقتك:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأَحْزَاب: ٣٩].

***

تحرَّر

إذا أردت أن تهتدي إلى الحق في زمن الاختلاف...فتحرر من نظرتك لنفسك ودينك وتاريخك بعيون النظام الدولي المتغلب...

واستعلِ على ضغط الواقع الأليم...

وأيقن فيها أن لك ربا قاهرا فوق عباده، له مقاليد السماوات والأرض، خلق الناس ليبلوهم ولا يحصل ما يحصل إلا بإذنه، ثم إليه إياب الناس جميعا وعليه حسابهم...

وأن دينه هو الحق المطلق، دون حاجة إلى الروغان حول نصوصه بدافع الهزيمة النفسية...

فهذا كفيل بإذن الله بأن يجعل عزة الإسلام تدب في أوصالك..

وبأن تستقبل كلام الله ورسوله بتسليم ومحبة لا تجد في صدرك من شيء منه حرجا..

وتهتدي إلى مراد الله منك في بحر الحيرة والاختلاف..

﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠١]

***

نعمة الانفصال عن الواقع!

الذي يعيش بمشاعر ومعايير لا تتفق مع إملاءات الواقع يسميه البعض منفصما عن الواقع. أنا شخصيا أعتبر هذا الانفصام نعمة من نعم الله الكبرى عليَّ وعلى أي مسلم يُرزق هذه النعمة!

تنظر في الواقع: هناك أناسٌ يستطيعون أن يقيدوا حريتك وقت شاؤوا، يستطيعون أن يتعقَّبوا أبواب رزقك، يريدون أن يسدوها عليك لتخضع لهم!... هم أكثر عددا وقوة منك... يحيطون بك بحيث يظهر أنْ لا بادرة أمل يمكن أن تنفذ إليك من بينهم!

هذا هو الواقع المرير...وحسب هذا الواقع، فمن أين تأتيك السعادة؟ ومن أين يأتيك الرزق؟

لكن تعود فتتذكر أن هذا (الواقع) هو في الحقيقة (ظاهر من الحياة الدنيا)، زيف لا قيمة له، غلاف خارجي يغتر به غير المؤمن...

تعود فتتصل بالحقيقة...أنه ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فَاطِر: ٢] ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأَنْعَام: ١٨] .

وإن كانوا يشاؤون لك أمرا، فإنهم ما يشاؤون إلا أن يشاء الله..

وإن كانوا يحيطونك من كل جانب فالله (مِن ورائهم محيط)..

تعود فتتذكر ما ربانا عليه نبيُّنا ﷺ: أن الناس لو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

تعود فتتذكر أن الله إن شاء قذف السعادة في قلبك وأنت في قعر سجنك، وإن شاء ابتلاك بالاكتئاب ونقص الدافعية وأنت في قصر مشيد وأسبابُ الرفاه كلها حولك!

تتذكر أن الله تعالى إن شاء هدى لك زوجتك وأولادك في لحظة، وجعلهم قرة عين لك، بارِّين، أصحاب خلق ودين.. وأن الدنيا كلها لا تملك لك هذا، ولا تملك أن تمنعه إن شاءه ربك عز وجل..

وإن شاء جعل زوجتك وأولادك وأموالك عذابا لك وتنغيصاً لعيشك، وأن الدنيا كلها لا تملك كشف ذلك عنك..

حينئذ، يصبح شعورك ومواقفك محكومة بهذه الحقائق الكبرى، لا بزيف الدنيا، ويصبح السؤال: (فمن أين يأتيني الغم إذن)؟ و(كيف لا أُرزَق إذن؟)!

فما أجمله من انفصام عن واقع مزيف، واتصال بحقائق راسخة!

ليست دعوة لتعطيل الأخذ بالأسباب، ولكن دعوة لبقاء روحك عالية لا تنكسر، ونفسك مطمئنة لا تخاف إلا الله، ولا ترجو سواه.

فاللهم أدم علينا نعمة هذا الانفصام واجعلنا من الشاكرين.

***

شرك الطائرات

يتسرب لقلب الإنسان أحيانًا نوع من الشرك بأن يُشرك مع ربه سبحانه أشياء يرجو نفعها أو يخاف ضرها أو يظن لها تصرفا في الكون مع الله تعالى، أو يظنها خارجة عن قهره سبحانه وسلطانه.

وقد تسرب لقلوب كثير من المسلمين هذه الأيام أنه: (لن ننتصر ما دام هناك طائرات لدى أعدائنا! فهي قادرة على حسم أية معركة، والقضاء على أي انتصار)!

انتبه!: لو أن هذا التفكير يدفع المسلمين إلى الأخذ بالأسباب المادية للنصر مع التوكل التام واليقين المطلق فإن الأخذ بالأسباب مطلوب، بل واجب، وليس لنا أن نتوقع النصر دونه.

لكني أتكلم هنا عن (استسلام) نفسي وشكٍّ في قدرة الله تعالى...

- أعوذ بالله! شك! لا أبدًا، أنا لا أشك في قدرة الله.

- فتش نفسك، ألا تراها تقول لك: (وكيف سينصرنا الله - حتى لو أطعناه - ما دام هناك طائرات؟) - ألا تقول لك نفسك: (مهما أخذنا بالأسباب المادية، وحتى لو أصلحنا أنفسنا ودعونا إلى الله وتعلمنا الدين وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وصلح حال المسلمين، فلن نمتلك الطائرات)...

- ألا تجد نفسك تبحث عن (سيناريو) محتمل لنصر الله مع وجود الطائرات؟! عندما تقرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ألا تقول لك نفسك: (لكن ماذا عن الطائرات؟) وكأن الطائرات لها تصرفٌ وتأثيرٌ خارجٌ عن آيات النصر؟! هذا هو الشرك الخفي الذي أتكلم عنه.

هنا، ذكِّر نفسك بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فَاطِر: ٤٤] ، وبقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العَنكَبُوت: ٢٢].

- آمنا بالله، لكن كيف؟

- آسف! أستحي أن أشرح الوسائل التي من خلالها يمكن أن ينصرنا الله (رب السماوات والأرض) على الطائرات!! ﴿إِنَّ رَبِّي

لَطِيفُ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يُوسُف: ١٠٠]. كما قال يوسف عليه السلام.

فإذا أراد الله أمرًا هيَّأ أسبابه بطريقة لطيفة.

كما يرزق الإنسان من حيث لا يحتسب فإنه يهزم عدونا وينصرنا - إذا أخذنا بالأسباب - من حيث لا نحتسب: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحَشْر: ٢]

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّحل: ٢٦].

يُروى أنه قيل لعمر المختار: (إيطاليا تملك طائرات ونحن لا نملكها)، فقال: (هل تُحلق فوق العرش أم تحته؟) قالوا: (تحته!) ...فقال: (مَن فوق العرش مَعَنا، فلا يخيفنا من تحته).

صحيح أن المختار قُتل في النهاية، لكن مَنْ كان بهذه العقيدة فقتله شهادة (فوز) بإذن الله، وقد انسحبت إيطاليا بجهاده وجهاد إخوانه.

لم يؤدِّ جهادهم إلى قيام دولة إسلامية عزيزة، نعم...أخَّرها الله لحكمة، وقد وضعوا لبنة في صرح الإسلام قبل أن يرحلوا، ولا بد لهذا الصرح أن يتم.

ختامًا، الله تعالى كلَّفنا بتكليف وضمن لنا عليه ضمانًا، فلننشغل بالتكليف، لا بالضمان: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

فاستَغْفر مَن فوق العرش من لحظات عظَّمت فيها طائرات، مهما علت، فإنها تبقى تـُحَلِّق...تحت العرش.

***

إلَّا وسعهَا

معنى مهم لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]..هذه الآية الكريمة يستدل بها البعض لتبرير التهاون في أمر الله تعالى.

بينما من معانيها: أن الله تعالى لم يكلفك أيها المسلم بأمر إلا وهو يعلم أنه بمقدورك فِعْلُه، فلا تتعذر بعدم القدرة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤] لم يكلفك أيها الشاب بحفظ عفتك والانضباط في التعامل إلا وهو تعالى يعلم أنك تستطيع ذلك إن استعنت به سبحانه، وما شرع لك ذلك إلا وهو يعلم ما سيكون من فتن.

لم يكلفك أيتها الفتاة التي لم تُرزقي بزوج، لم يكلفك بضبط سلوكك وإعفاف نفسك إلا وهو يعلم أن ذلك بوسعك.

في بعض التكاليف مشقة، لكن: «**ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ**». (صحيح البخاري ١٤٦٩)، ويهدِه ويصلحْ باله.

إذن، ليس لنا أن نعذر أنفسنا ونتملص من تكاليف بإمكاننا القيام بها وقد علمنا أنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

***

لا تدعهم يغيرون نظرتك لنفسك

أنت عزيز بإيمانك... لا تسمح لهم أن يُنْسُوك هذه الحقيقة...
حتى وإن وضعوا القيد في يديك والعصائب على عينيك.
مهما شتموك وسخروا منك ونالوا من جسدك.
إياك أن تدع هذا يؤثر على نظرتك لنفسك ونظرتك لهم!
كيف تحس بالمهانة وأنت في كَنَف الله؟!
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المُنَافِقُون: ٨].
كيف تقيم لهم وزنا وقد أخزاهم الله؟!
﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].
كيف تستغْلي الثمن والسلعة الجنة؟!
موازينهم زائفة زيف الدنيا التي لا تَزِن عند الله جناح بعوضة.
ويوم القيامة يرى الجميع الميزان الحقيقي: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأَنبِيَاء: ٤٧] فما فائدة إيمانك إن لم ترَ هذا الميزان في الدنيا أيضًا بنور الإيمان؟!

وما أحسن ما قاله أخ حبيب: حقق (لا إله إلا الله) في قلبك، وتأكد من رسوخها فيه، ثم انظر حولك.. فسترى كل الأشياء حينها بحجمها الطبيعي!.

***

معلش يا رب...هذه المرة فقط!

﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: ٩]. قالها إخوة يوسف عليه السلام وهم يَهِمُّون بالقيام بالظلم.

لسان حالهم: (نحن نحب الصلاح. لكن لا نستطيع الاستقامة على أمر الله والتزام شريعته في حق أخينا على هذا الحال من اختصاص أبينا له بالمحبة. فلنظلم مرة، ليتم لنا ما أردنا، فتهدأ نفسياتنا بعدها، ونتفرغ لصلاحٍ يمحو آثار سيئة الظلم).

وهذا (منطق) بعضنا أيضا! وهو يَهِم بعملٍ ظالمٍ...قد يكون هذا العمل الظالم مثلا وشاية بزميل لك في العمل، لتصعد على ظهره وتنال الوظيفة الإدارية التي تحلم بها..

قد يكون هذا العمل الظالم غشًّا ومنافسة تجارية غير شريفة لـ (تثبت نفسك في السوق)..

قد يكون غشا في الاختبارات لـ (تنجح) في المواد وتحصل على الشهادة الجامعية..

قد يكون ظلما لمسلمين في ساحةٍ من ساحات العمل لتزداد قوة جماعتك وتتسع رقعتها فتُسَخِّر هذا كله من بعدها لخدمة الإسلام!..

لسان حال هؤلاء جميعا: (أحب الصلاح وأكره الظلم، لكن نفسيتي لن تهدأ وتستقر على الوضع الحالي. إذا بلغتُ المكانة التي أحلم بها فسوف تستريح نفسيتي وتنطلق طاقاتي وينشرح صدري، فأقوم بعدها بأعمال من الخير تغمر هذا الظلم، ويكون صفحة طُويت... معلش يا رب... هذه المرة وبَس)!!

إنها خدعة من النفس الأمارة بالسوء، تقمع بها نداء النفس اللوامة التي تحذرك من الظلم.

ومن تَعَوَّدَ على قمع داعي الخير في نفسه وتحجيمه، فقد يتحجم بالفعل، وتتضخم على حسابه القدرة على تبرير الظلم...وأنَّى له بعد ذلك أن يكون من القوم الصالحين؟!

***

الإسلام بحاجة إليك، ولكن...

أحيانا ونحن نخدم دين الله عز وجل قد يصيبنا الإحساس بأننا نقوم بمهمة عظيمة لا يقوم بها غيرنا في حَيِّنا أو مكان عملنا أو بلدنا.

لذا فإننا قد نحس بأننا لن نُضَلَّ بذنوبنا، ولن نُمنع من أداء دورنا ولن نموت قبل إتمام هذه المهمة لأن هذا كله سيحرم الآخرين من خيرنا.

أي أننا نحس بأن الناس بحاجة إلينا، بل وأن الإسلام بحاجة إلينا كذلك.

هذا الشعور إيجابي محمودٌ بقدْر ما يدفعنا إلى تحمُّلِ المسؤولية بحيث لا نركن إلى الدنيا ونترك دورنا الدعوي النافع للبشرية... شعورٌ مفيد بقدر ما نترفع به عن الفتن التي يراد لنا الانجرار خلفها، متذكرين قول القائل: لقد ذُخرت لأمر لو فطنت له... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل!

لكن هذا الشعور يصبح خطيرا أحيانا! يصبح خطيرا إذا دفعنا إلى التفريط في أمر الله تعالى واستصغار معاصينا مطمئنين إلى أن الله

لن يعاقبنا على ذلك بإزاغة قلوبنا أو بِوَقْفِ باب الخير الذي نحن قائمون عليه، لأننا نرى أنفسنا أداةَ الله في نفع خلقه وهدايتهم، فضياعنا ضياع لهم.

لذلك يأتي التبيان الإلهي أن الله عز وجل ليس بحاجة إلى أحد، بل نحن الذين بحاجة إلى نصرة دينه سبحانه. قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

أي يُذهبكم ويأت بخلق جديد خير منكم لا يتولون عن طاعته سبحانه.

بهذه البساطة...

هذا الخطاب الإلهي موجه في المقام الأول للصحابة الذين كانوا حملة الإسلام الأولين، والذين بدا ضياعُهم ضياعا للإسلام...ومع ذلك يقول الله عز وجل لهم: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

بل حتى أحب البشر إلى الله محمد ﷺ قال له ربه عز وجل: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسْرَاء: ٧٤ - ٧٥]

عرفتُ في حياتي أناسا ظننت أن الله لن يقبضهم قبل أن ينجزوا مهمتهم.

لكنهم توفوا شبابا وقيض الله لدينه غيرهم.

وفي الحديث الذي حسَّنه الألباني أن نبينا ﷺ قال: «**لا يزال اللهُ يغرسُ في هذا الدِّينِ غَرْساً يَستعمِلُهم في طاعتِه**».

إذن أخي وأختي...ادعُ الله أن يستعملك في طاعته، فالله عز وجل ليس بحاجة إلى أحد، بل نحن الذين في حاجة إليه سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فَاطِر: ١٥ - ١٧] .

الإسلام منتصر بك وبدونك، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

إنما أنت الذي بحاجة إلى نصرة دين الله لتنجو وتنال الكرامة.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

***

الجنة أحلى

تدعوك نفسك لنظرة حرام وعلاقةٍ تُذهب بها (جفاف حياتك) تقول لنفسك: بل أَصْبِرُ لأنال الجنة، حيث مثل هذه المتع بالحلال هنا يأتيك شعور خفي لم تعبر عنه لأحد: أن حلال الجنة ليس بجمال حرامِ الدنيا (الناعم)!

(الشقاوة الشبابية)، عنصر المغامرة، التحدي، سرقة النظرات، التعلق، انتظار اللقاء المقبل...أشياء موجودة في (حرام الدنيا) وليست في حلال الآخرة!

لذا، فإنك تشعر أن التصبير بالآخرة لا يكفيك ولا يكفي (شعورك المرهف)!

هنا...تحتاج أمرين:

١. تَذَكُّر أن هذا الشعور هو من الشيطان الذي يزين المعصية في مقابل الطاعة، ويزيف الأشياء عن حقائقها.

٢. أن تحسن الظن بالله تعالى، ومن إحسان الظن به أن تحسن الظن بالنعيم الذي أعده لعباده الصالحين المتصبرين أنه نعيم أجمل وأحلى من مُتع الدنيا، من كل النواحي بلا استثناء، وأن الله تعالى يعلم مداخل نفسك وسرائرها وما يبهجها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤].

***

على المحكّ

عندما يشيع النفور من المظهر الإسلامي (لحية، حجاب صحيح، عبارات دينية) توضع المحبة على المحك:

فضعيف المحبة والذي نفسه أغلى عليه من الإسلام سيتخلص من هذه المظاهر حتى لا ينفر الناس منه!

والذي يحب الله ورسوله أكثر من محبته لنفسه سيحرص على هذه المظاهر ويزينها بحسن أخلاقه وعلو همته والحرص على نفع الناس حتى يغيروا نظرتهم عن شعائر الدين وتَسْلم قلوبهم لها.

سيقول: إن كان الناس ينفرون من سنة الحبيب ﷺ فلن أكون جبانا وأنسحب، بل سأُظهر السنة وأحببها إلى الناس بفعلي، لأن

سمعة السنة وصاحبها ﷺ أغلى عندي من سمعتي.

لا ننكر أن إظهار الشعائر له عوامل أخرى غير قوة وضعف المحبة، وأن الإنسان قد يكون محبا لله ورسوله لكن يمنعه من إظهار بعض الشعائر سوء البيئة أو ضعف الشخصية، لكن المحبة من أهم العوامل بلا شك.

***

بيني وبينكم!

بيني وبينكم، أحيانا الواحد فينا يسمع عن معاناة الأنبياء فيهز رأسه أنها كانت معاناة شديدة وأنهم صبروا في سبيل الله ما لم يصبره غيرهم فاستحقوا الإمامة في الدين...نهز رأسنا وفي نفسنا شيء من (التقليل) من حجم هذه المعاناة! وقد نحس بأن غيرهم أشد بلاء منهم.

أتدرون لماذا؟ بعُد العهد ...واختُزلت السنوات في كلمات إذ نقول: (دعا النبي بمكة عشر سنين وقومه يكذبونه و يؤذونه) عشر كلمات اختزلت عشرة أعوام كاملة بأحزانها وآلامها ومعاناتها!

الواحد فينا يُفترى عليه أو يُسب (إلكترونيًّا)، فيبقى معكرًا سائر النهار! رسول الله ﷺ خير منك، وحِسُّه أرهف من حِسِّك، وسابُّه شر من سابِّك، والفرية عليه أكذب من الفرية عليك، ولا تأتيه السبة والافتراء وهو يحتسي القهوة من وراء شاشة الموبايل! بل تقال في وجهه ممن لا يساوي غرزة في نعله!

أتدرون أيضا لماذا (نستقل) معاناة النبي ﷺ أحيانا؟

أحدنا إذا أوذي مرة: يحلم...

مرتين: يصبر...

ثلاثا: يضبط أعصابه ويحتسب الأجر...

أربعا: ينفد صبره ويغضب و(بيطلع البدري والوخري) -يعني يعوض عما فات وما تجمع من تراكمات- ويشتكي ظالمه إلى الناس ويتفتق في المجالس تفتُّقًا ليأتي إلى موضوع ظلمه والافتراء عليه وبراءة ساحته، ويتحين الفرص ليرد لظالمه الصاع صاعين...

بينما... رسول الله ﷺ: عشر سنين من المعاناة بمكة...

لم يتكلم عنها!! ولم ينقلها إلينا في أحاديثه الشريفة!!! ولا نعلم منها إلا ما ذكره القرآن مجملا أو نقله مَن رآه في هذه الفترة يؤذى، ولم (يفضفض) رسول الله بشيء منها إلا جوابا عن سؤال حين سألته عائشة رضي الله عنها عن معاناته فحدثها برحلة الطائف وما لقيه فيها.

٣٥٠٠ يوم بمكة في الدعوة الجهرية...في أكثرها إيذاء، سخرية، افتراء، تكذيب، شتم، تهديد...طواها رسول الله ﷺ وادّخرها عند ربه سبحانه، ولم يمتنَّ بها علينا، ولا أطلعَنا على تفاصيلها لنقدر تضحياته...

لقد كان مشغولا عن ذلك بالبناء، وبرسم معالم الطريق إلى الله لندخل الجنة معه.... وعانى مثلها من إيذاء المنافقين بالمدينة لتتم عشرون سنة كاملة...

فاللهم اجْزِ رسولك ﷺ عنا خيرا.

***

استخراج العبوديات

ربُّنا العظيم خَلَقَنا لغاية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦]. وشاء بحكمته أن يعترضنا في الطريق إليه له أعداء دينه قطاع الطرق، لا ليشقينا: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[طه: ٢]،ولا لتضيق صدورنا: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المَائِدَة: ٦]، ولا لتذهب نفوسنا حزنا وهما مما يفعله أعداء الإسلام: ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[النمل: ٧٠].

إنما كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [مُحَمَّد: ٤]. ليستخرج منا عبوديات المجاهدة لوجهه الكريم والتوكل عليه والاستنصار به سبحانه ودعائه واللجوء إليه واستعذاب التضحيات في سبيله.

وفي النهاية سنقف بين يدي ملك السماوات والأرض.. فليتذكر كل منا أن سعيه سوف يُرى ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٤١].

***

إنما هي نفحة واحدة!

إذا قال لك السفهاء من الناس: لماذا لا ينتقم معبودكم لنفسه من المستهزئين إن كان عظيما قويا كما تصفون؟

فقل لهم: لأنه القائل: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القَلَم: ٤٥]

كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ

هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢]

هو سبحانه يفعل ما يفعله عن حكمة ولا يستفزه أحد كما يُستفز البشر.

وما جعل الدنيا دار استيفاء جزاء، بل قال: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

ومن حِكَمه في إمهال المستهزئين أن يرى الله من ينصره ودينه ومن يغار على حرماته، فيرفع أولياءه في الجنة درجات ويكب أعداءه في جهنم على دركات.

فأيها المستهزئون، (اعملوا ما شئتم)، إنما هي نفحة واحدة من نفحات جهنم ستنسون معها باطلكم كله وينقلب الكبر مذلة وندما: ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٦ - ٤٧].

اقرأ هذه الآية، وتصور الذين يمضون أعمارهم في الصد عن سبيل الله.

قد يكون أحدهم كتب الكتب ونشر المقالات في الدعوة إلى الإلحاد، إلقاء الشبهات، الاستهزاء بالدين، كتابة الروايات والسيناريوهات في تشويه معالم الشريعة.

أدمغة محشوة بزبالات الباطل، ولعشرات السنوات...مع أول مَسٍّ من عذاب الله، لعلها لسعة سريعة من النار التي سيخلدون فيها بعد ذلك أبدا... سيتطاير هذا الباطل كله من عقولهم وقلوبهم فورًا!... فورًا! ستُمرغ أنوفهم التي لطالما استعلت على الدين، سينكسر كبرياؤهم، سينسون ضحكات السخرية من عباد الله الصالحين، ويقولون عبارة واحدة: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأَنبِيَاء: ١٤]...

***

سجى لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ

حرصوا في حياتهم على العلو

قيل لهم ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الدُّخَان: ١٩] فاستعلَوا واستكبروا على الله

قيل لهم: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗا﴾ [القَصَص: ٨٣]. فأفسدوا واستعلوا على خلق الله

وتمنوا أن يبقوا في هذا الاستعلاء طويلا: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [البَقَرَة: ٩٦].

لكن..... يوم القيامة لهم أمنية واحدة: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [النِّسَاء: ٤٢]... أي يتمنون لو تنفتح لهم الأرض فينطمروا فيها فيكونوا والأرض سواء!

كان أحدهم في الدنيا أحرص ما يكون على الظهور والعلو، وهناك لا يريد أن يُرى أصلا! ويتمنى الفناء: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النَّبَإ: ٤٠] ... وهيهات!

استعلُوا ما شئتم، تكبروا ما شئتم، اعملوا ما شئتم...هذه أمنيتكم يوم القيامة، ولن تنالوها!

في المقابل يقول المؤمن وهو يغبط نفسه: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصَّافَّات: ٥٨ - ٥٩] ..يقولها مسرورًا بأن لا موت بعد اليوم ولا عذاب، بل خلود في دار الكرامة.

فاللهم اجعلنا من أهلها.

***

لستُ من دوابكم!

لدى الدخول على مواقع التواصل تقع العين على فيديوهات عليها ملايين المشاهدات

أَنظرُ في عنوانها فإذا هو انحلال وانحطاط، وباللغة العربية... فالمشاهدون في عامتهم مسلمون!!

أيها الشاب!! أترضى أن يجرك هؤلاء من شهواتك بهذا الشكل الرقيع؟!؟!

أترضى أن تكون ممن يعامله شياطين الإنس والجن كالدابة؟ ألم تسمع ما حكاه القرآن من قول الشيطان..﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإِسْرَاء: ٦٢]

قال الشيطان لله تعالى: أرأيت آدم هذا الذي تريدني أن أسجد له تكريما، أعطني فرصة وسأضع اللجام في حنك ذريته وأَركبهم لأُسَيِّرهم كالدابة حيث أشاء، إلا قليلا ممن سوف يستعصون علي!!

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبإ: ٢٠]

لو لم يكن دينُك هو الذي يمنعك...أين نخوتك، عزتك، إباؤك...أن تدع أعداءك الذين يعادون دينك وينهبون ثرواتك ويدوسون كرامتك يحتقرونك بهذا الشكل؟!

يقولون لك: تعال نغويك ونغريك ونلهيك..

فتقول: لبيكم!!!

والله لو كان عنترة الجاهلي لما رضيها!

أهل المجون المجرمون والمتآمرون يختارون هذه المقاطع لتظهر كمقاطع مرشحة للمشاهدة لبلدان العالم الإسلامي، وأنت تعلم ذلك وتفتح لهم عينيك ليُلْقوا من خلالها في قلبك حثالاتهم؟!!

ألا تخشى أن تكون من المنافقين الذين يُضرب السور بينهم وبين المؤمنين يوم القيامة ليخلدوا بعدها في العذاب المقيم ويقال لهم أول ما يقال: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؟! عرضتها للفتنة حتى افتتنَتْ فَكَرِهَتْ شرع الله وأحبَّتْ الـمُجون والفسوق والعصيان؟!

الآن...الآن...أعلنها توبة وقل: لست من دوابكم يا أعداء الله! وقد أكرمني الله فما يكون لي أن أهين نفسي.

***

صمام الأمان

لا أحد يحافظ على أمن أي بلد أكثر من الدعاة المصلحين. قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هُود: ١١٧] لاحظ: ما قال (صالحون) في ذوات أنفسهم ثم لا يعنيهم ما يكون من الناس، بل ﴿مُصْلِحُونَ﴾ يأمرون غيرهم بالصلاح.

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوُا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**»، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي ، ثم يقدِرون أن يُغَيِّروا ثم لا يُغَيِّروا ؛ ألا يوشكُ أن يعمَّهم اللهُ منه بعقابٍ**». (سنن الترمذي ٢١٦٨).

فإذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، دون أن تعترف بأية خطوط حمراء غير ما خطه الله، ثم قيل لك: (أنت تثير الفتن)، فإياك أن تصاب بالهزيمة النفسية وتصدق ذلك! بل أنت صمام الأمان، ولا تأخذ على ذلك أجرًا إلا من ربك عز وجل، وبأمثالك يؤخر الله العذاب أن يقع على الجميع، فحُقَّ لك أن تعتز بذلك.

فأخلص نيتك، واعتصم بربك، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠].

***

مع زحمة الحياة...

مع زحمة الحياة، وتشتت كيان الإنسان...

واختلاط النوايا واضطراب المعايير ومحدودية النظرة بالحياة الدنيا والغفلة عن المقاصد العظمى.

تأتي آية لتقرع كيانك وتجمع شتاتك وتضبط البوصلة من جديد: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١] .

***

شلل الإرادة

كثيرًا ما يصل الإنسان إلى مرحلةٍ لا يعود يستمتع فيها بالمعاصي وحياة الغفلة، لكنه (لا يستطيع تركها) على حد تعبير من ابتُلي بذلك.

لماذا لا يتركها ما دام لا يستمتع بها؟ وما دام لا يجني منها إلا الإثم ووخز النفس اللوامة؟ إنه شلل الإرادة، وإِلْفُ المعصية، والخوف من المجهول إن تركها، وعدم اليقين بأن الله سيعوضه ويَعْمُرُ حياته بخير منها.

يصل الإنسان حالةً تشبه بعض أنواع الإدمان، حيث لا يعود المرء يُحَصل نشوة قوية من تعاطي المادة الإدمانية، لكنه مع ذلك متعلق بها نفسيا ويخاف من تركها ويتخلى عن ماله وأخلاقه في سبيل تحصيلها!

وللمعاصي كذلك إدمان...فكَأَنَّ المدمن عليها عبدٌ بائسٌ حزين مقيد بأغلال وهميةٍ يجره الشيطان منها! هي وهمية، لكنه لا يملك

الجرأة ليحاول إهمالها وإعطاء ظهره للشيطان ليسير عكس الاتجاه الذي يجره إليه.

وكأن هذا (المدمن) ناله نصيبٌ من قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾ [المُجَادلَة: ١٩].

إنه استحواذٌ بحيث يتملك الشيطانُ العبدَ مقابل لا شيء! ولا حتى مقابل متاع الدنيا الرخيص!

والذي يُبقي العبد في هذا الاستحواذ البائس: ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾.

كأن العبد نسي أن له ربًّا بإمكانه أن يستعين به ليخلصه مما هو فيه.

أيها المدمن الحزين! ألم تر أن الشيطان ما مُكن أن يأتيك إلا من أربع جهات: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأَعۡرَاف: ١٦ – ١٧] .

ولم يُمكَّن أن يـأتيك من فوقك فيحول بينك وبين رحمة الله تعالى.

فهلَّا رفعت رأسك وقلت: (يا رب)؟! فإنه: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ [فَاطِر: ٢].

***

خدعة (لَهُون وبس)!

ونحن نخوض معركة الفتن في حياتنا قد نلين أمام بعضها ونتنازل فيها ونقول في أنفسنا: (لَهُون وبس..أنا في هذه مقصر مذنب، لكني لن أقع في فتنة أكبر)، وقد نقصد بالفتنة الأكبر الوقوع في الكبائر أو الأعمال الشركية... فنرى أننا في مأمَن ما دمنا لم نخترق هذه الخطوط الحمراء.

ننسى في هذا كله أن هذه الفتن هي اختبارات تهيئ للاختبارات الأكبر، وأن الذي يرسب فيها يستجلب البقع أو النكت السوداء على قلبه، والتي تقلل - تدريجيًّا - من بشاعة الفتنة الكبيرة في حسه، وتُضعف إيمانه فلا يعود يثبت أمام بريق هذه الفتن.

قال نبينا ﷺ: «**إذا أذنبَ العبدُ نُكِتت في قلبِهِ نُكتةٌ سوداءُ. فإن تابَ ونزعَ واستغفرَ صُقِلَ قلبُهُ. وإن زادَ زيد فيها حتى يعلو قلبَهُ،** (يعني يغلفه السواد). **فذلِكَ الرَّانُ الَّذي قال اللهُ تعالى:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المُطَفِّفِين: ١٤]».

حري بكل من سارع إلى فتنة أن يسأل نفسه: ما الاختبارات التي رسب فيها من قبل حتى طاش عقله في هذا الاختبار الأكبر من سابقاته؟

عند تعرضك لفتنة النساء، فتنة المال، فتنة المنصب، فتنة الجاه... وتغريك نفسك في ذلك بشيء من التنازل، إياك أن تخدع نفسك وتقول: (سَأَلِينُ في هذه وأصمد أمام ما هو أكبر).. فإنما هي حينئذ

نكت سوداء تُنكت في قلبك حتى تذهب بوقار الإيمان ويطيش عقلك أمام بريق الفتن العظمى وتسرع إليها وأنت لا تشعر.

***

ماذا سيقول عني الناس؟

أيها المجامِل على حساب دينك..

يا مَن أكبر همك ألا يتهمك البعض بالتعصب، ولو كانوا على باطل..

اعلم أنه لا شعور أجمل ولا أعظم في الحياة من أن تحس بمحبة ربك وتعظيمه والغضب له والغيرة على دينه..

فأنت بذلك تنسجم مع الغاية من خلقك..

وتحس بقيمتك واحترام نفسك على قدر تحقيق هذه الغاية..

لا تحرم نفسك من هذا المقام من أجل هاجس (ماذا سيقول الناس)!

أنت عائد إلى ربك، آتيه وحيدًا عاريًا بلا نصير..

وهؤلاء كلهم لن ينفعوك..

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨ - ٨٩]..

قلبٍ سليم من تقديم رضا الناس على رضا الله..

قلبٍ حيٍّ يغضب لله، يعظم الله، يحب الله. ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [التَّوْبَة: ٦٢].

***

تقبيح الطاعات

نعلم جميعا أن الشيطان يزين المحرمات، لكن ما لا نتذكره بنفس الدرجة هو أنه أيضا يقبح لنا الطاعات والمباحات.

ويمكن فَهمُ ذلك من عموم ما حكاه القرآن من قول الشيطان: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦] ومن حديث النبي ﷺ: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأَطْرُقه**» وذكر النبي بعد ذلك طريق الإسلام وطرق الطاعات.

استحضار ذلك يساعد على فهم بعض الظواهر المزعجة.

فمثلا، تكثُر شكاوى العاقدين على فتيات والمقبلين على الزواج منهن أنهم فقدوا الانجذاب نحوهن. قد يكون لهذا تفسير نفسي، لكن يحسن أيضا استحضار حقيقة أن الشيطان الذي يزين للشاب العلاقات المحرمة يقبح له في الوقت ذاته العلاقة المباحة الطاهرة.

وقد يَنفر الرجل عن زوجته مع أنها على قدر من الجمال بينما يزين له الشيطان التفريط في التعامل مع امرأة لا تحل له في محيط العمل مثلا.

علينا أن نتذكر أن الطاعات والمباحات هي في حقيقتها جميلة، فالله تعالى وصفها بالطيبات: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٧] فإذا رأيناها منفرة فمن أسباب ذلك تقبيح الشيطان لها، بينما المعاصي والمحرمات – كالعلاقات غير المباحة – هي في ذاتها قبيحة: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٧]. فإن رأيناها جميلة فهذا من الشيطان.

إدراك هذا يساعدنا في تكييف شعورنا حسب الحقائق، وأن ننفض عنها غبار الشيطان.

تحية لك أيتها المنتقبة

بعيدا عن حكم النقاب ودون أي تقليل من التقدير للأخوات اللواتي التزمن بالحجاب الشرعي الصحيح فيما عدا النقاب، أجد نفسي مندفعا لأن أقول: تحية لك أيتها المنتقبة...وأخص المنتقبة التي توافق أعمالُها مظهرها فتطيع الله في سلوكها وطهارة قلبها وحسن خلقها.

تحية لك يا رمزًا للحياء والبراءة، تحية لك يا من تُذَكرين الناس بالله من خلال مظهرك الذي هو بحد ذاته دعوة في زمن الغفلة، تحية لك وأنت تَرَين الإعلام الفاسد يحاول تشويه النقاب، وأنت مع هذا كله تصبرين...

تحية لك وأنت ترين عمائم السوء تُخَذِّل عن النقاب، ويشتدُّون عليك ما لا يشتدونه على شديدات التبرج، فتُعْرِضين عنهم وتصبرين...

تحية لك وأنت ترين الفتيات من حولك يحرصن على الزينة والتحايل على الحجاب ويلفتن الأنظار...فتُخْفِين الجمال البريء وتصبرين...

تحية لك وأنت تسيرين في الجامعة أو في المجتمع وحدك قد انفض عنك كثير من قريناتك، ولسان حالك يقول: (كفى بالله مؤنسًا)، وتصبرين...

تحية لك وأنت تسمعين بهذه الدولة أو هذه المؤسسة أو تلك تمنع النقاب بينما يحرضون على التبرج، ومع ذلك تصبرين...

تحية لك وأنت تصمدين أمام هذه الهجمة الشرسة ضعيفة ببدنك، لكن إيمانك كالجبل الشامخ...

تحية لك يا سيدتي...واعلمي أن أمثالي يتعلمون منك الصبر والقوة والثبات والأنس بالله، وقد أوصلتِ من الرسائل بمظهرك ما يعجز قلم وفمُ أمثالي أن يوصله.

تحية لك مني ومن آلافٍ من إخواني وأخواتي الذين أظنهم يشاركونني الشعور تجاهك، شعور الإجلال والمودة في الله...

وإن قست عليك الأقلام المسمومة، والشاشات المحمومة، وعمائم السوء المذمومة ورموك عن قوس واحدة، فنحن جميعا إخوتك ونسأل الله أن يتم على نسائنا وبناتنا وأخواتنا مثلما أتمَّ عليك.

تحية لك أيتها المنتقبة.

***

يا أخي الفتن بتحرك الحجر!!

عندما تبرر إطلاق بصرك وتقول: (يا أخي أنا بشر من لحم ودم ونوازع..الفتنة شديدة تحرك الحجر..مش قادر أصبر! الفتن فوق طاقتي!)

أما كان الله عز وجل يعلم هذا إذ قال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النُّور: ٣٠] ؟!

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البَقَرَة: ١٤٠]. ألا يعلم الله تركيبتك الغريزية وقوةَ نوازعِك؟

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤]

أخي الحبيب..

عندما تبرر لنفسك إطلاق بصرك بمثل هذه العبارات فكأنك تقول: (الله أمرني بما لا أستطيع)!.. فهل هذا يناسب حكمة الله وعدله ورحمته؟ أليس هذا التبرير أسوأ من معصية النظر إلى المحرمات لأنه ينافي الإيمان بحكمة الله ورحمته؟

هذا النبي الشاب يوسف عليه السلام اجتمعت عليه كل أسباب الفتنة، إلا أنه قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾. [يُوسُف: ٣٣].

في سورة النساء، وبعد أن بين الله تعالى بعض أحكام العلاقة بين الذكور والإناث، انظر ماذا قال سبحانه، وتأمل الآيات كلمة كلمة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّسَاء: ٢٦ - ٢٨]

إذن لأنه سبحانه يعلم أنك ضعيف، شرع لك هذه الشرائع التي تبدو قيودا، لكنها في حقيقتها تخفيف وتحرر من أغلال الشهوة ونزغات الشيطان، شرعها لك سبحانه عن علم وحكمة ورحمة.

***

ليست (تسريبات)!

لا حدَّ ولا قيد على الأخبار والصور والمقاطع التي تؤذي نفسيتك...

ينقل لنا الإعلام العالمي ما يكرس الغمَّ والحزن من صور ومقاطع للتنكيل بالمسلمين، بينما لا يسمح إعلامهم بعرض صورٍ فظيعة لقتلاهم.

كثير من هذه الصور المؤلمة ليست (**تسريبات**)، بل عمل ممنهج لإيذاء معنوياتك أيها المسلم وجعلك تعيش حزنا سلبيا مستمرا.

يريدون لك أن تحس بانعدام قيمتك، وقيمة إخوتك المسلمين مثلك، وقيمة كل متعلقاتكم، بل وقيمة الإسلام الذي يجمعكم!

يريدون لك أن تَكْرَه نفسك وتصاب بتجمد التفكير وشلل الإرادة!

يريدون لك ذلك كله حتى تسهل السيطرة عليك...

يروي لنا التاريخ أن التتار في بداية اجتياحهم للعالم الإسلامي فعلوا الأفاعيل في بخارى وسمرقند المسلمَتَيْن، فدبَّ الرعب في قلوب باقي المسلمين، حتى أن جنكيزخان أرسل فرقة من عشرين ألف جندي، جعلت تتجول بين ملايين المسلمين في شرقي المملكة الخوارزمية العملاقة، تقتل وتنهب، ولا أحد يجرؤ على مواجهتها!

إياك أن تنكسر! إياك أن تُكَبِّل روحك بقيودهم ثم تسلمهم المفتاح!

حوِّل هذه المشاعر إلى عملٍ، وكُفَّ عن جلْدِ نفسك وجلْدِ المسلمين معك! ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] ...فانظر ما بوسعك واعمله ولا تفرط في شيء منه، وحينئذٍ سيستعملك الله فيما هو أعلى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١٧] .

لا تخف منهم، فإنما هم ابتلاء: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [مُحَمَّد: ٤]...

يرى الله مَن مِنا يصبر ليجزيه الخلود في النعيم المقيم:

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفُرْقَان: ٢٠] ولا يعجزه سبحانه أن ينصرنا عليهم إنْ نصرْنا دينه بكل ما نستطيع.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩]

***

لا يغررك تقلبهم في البلاد

هل ترى هؤلاء الذين يتصرفون كالمسعورين؟ كأن بينهم وبين الإسلام ونبيه ﷺ ثأرًا؟!

أتراهم وهم يُحاربون العلماء والدعاة ثم يفتحون بلاد المسلمين لكل غراب ناعق، وكل قلمٍ عدوٍّ للإسلام، وكل احتفال تافه.

يستوردون كل جاهلية من الشرق أو الغرب. لا يهم أصلها

وشكلها وتكلفتها... المهم أن تكون جاهلية يستخدمونها ليلوثوا بها فِطَر الشباب ويميعوا شخصياتهم ويطمسوا هويتهم ويُنسوهم دينهم...

يسارعون في حربهم على الإسلام، يوماً بيوم، ساعة بساعة... كأنهم يقولون:

يا محمد، سنطمس معالم دينك ونرد الناس كفارًا به!

أترى هؤلاء؟ لا يغررك تقلبهم في البلاد...فلو أن رجلاً نفخ من مكانه على نور الشمس ليطفئه لعلمت أنه أحمق، وهؤلاء ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصَّف: ٨]!

سيهلكون ويهلك مكرهم، ولن يكونوا إلا صفحة في كتاب كبير عنوانه: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المُؤْمِنُون: ٤٤]...

ها هم ينزلقون، يوشكون أن يذهبوا لمزابل التاريخ... ويسحبون الناس من أرجلهم لينزلقوا معهم.

المهم أن تحذر فلا يسحبوك! قد يجرحونك بأظافرهم ويؤلمونك... اصبر فإنهم هالكون، (والعاقبة للمتقين)...

فاصبر، ولا تبتئس، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۞ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۞ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هُود: ١٢١-١٢٣].

❊❊❊

﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَذَلَّةُ﴾

ونحن نرى معاناة المسلمين في البلدان المنكوبة قد نغفل عن حكمة عظيمة من حِكَم الله تعالى في تطويل البلاء، وهي أنه سبحانه يبتلي عباده بما يستخرج منهم عبودية التذلل لخالقهم والانكسار له سبحانه، ويشعرهم بضعفهم وانعدام حيلتهم، ويؤدبهم ويربيهم ويرقق قلوبهم، كل ذلك قبل أن ينصرهم. فيخرجون من المحنة إلى النصر أقوياء، لكن رحيمين. عزيزين، لكن متواضعين... أشداء في الحق، لكن ليِّنين. فلا يغترون بأنفسهم، ولا ينسون نعمة الله عليهم، ولا يظلمون الناس ولا يتجبرون في الأرض وهم في نشوة الانتصار.

زلزل الله قلوب المؤمنين في غزوة الأحزاب، وكان ذلك جزءًا من النعمة: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأَحْزَاب: ٩-١١]

وعلى قدر هذه الزلزلة كان الانكسار واللجوء من المؤمنين إلى ربهم، وعلى قدر هذا الانكسار واللجوء جاءت التنجية والإعزاز: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾ [الأَحْزَاب: ٢٥].

وكذلك يوم بدر كانوا قليلي العدد قليلي العدة، قد عانى

المهاجرون الاضطهاد والتعذيب واضطروا لترك الديار والأهل واللجوء إلى المدينة. فكانوا بهذا الوصف أذلة، وإن كانوا في نفوسهم أعزة: فنصرهم الله بعد هذه الذلة. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٢٣] .

بينما يوم حنين اغتر المسلمون بالكثرة وأخذتهم نشوة العدد والعدة، فلم تغن عنهم شيئا، ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التَّوْبَة: ٢٥].

فتعرضوا للخسارة في البداية إلى أن اجتمع حولَ النبي ﷺ عدد قليل ذاقوا مرارة أن يكِلَهم الله إلى حولهم وقوتهم، فتبرأوا منها وعلموا أن لا مُعِز لهم إلا الله، فنصرهم الله على قلتهم.

إذن فتطويل البلاء على المسلمين له حِكمٌ هذه منها، أن يذلوا ويخضعوا لله، حتى إذا أعزهم ونصرهم وجبَرهم تذكروا ما كانوا عليه من ضعف، فلا ينسون فضل الله فيهلكوا، ولا يتجبرون ولا يطغون، بل ينسبون الفضل لله تعالى، ويتقون الله في الشعوب التي يتغلبون عليها بعد ذلك.

طيب وماذا عن الذين يموتون قبل أن تأتي لحظة النصر المرتقبة هذه؟

هؤلاء عندما ثبتوا واستقاموا وتذللوا لخالقهم وظهرت عبوديتهم لله سبحانه خالصةً أدوا ما عليهم ونالوا ما تأخر عن نيله مَن بقي مِن بعدهم. ألا ترى أن الله تعالى قال في قصة الأحزاب نفسها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم

مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلَا﴾ [الأَحْزَاب: ٢٣] .

فهؤلاء الذين لم يدركوا لحظة النصر لكن ماتوا ثابتين قد رحلوا مختومة أعمالهم برضوان الله فنالوا ما لم ينله أولئك الذين ينتظرون كرامة كهذه ممن أدرك لحظة النصر لكن لا يدري بماذا يُختم له.

نسأل الله أن يعز المسلمين ويجبرهم بعد كسرتهم وذلتهم ويرحم من قضى منهم.

***

طمأنينة الحق ألذُّ

من أسوأ ما تُعَوِّد نفسك عليه أن تستمد الطمأنينة إلى أنك (على الحق) من كثرة الموافقين.

فأكثر من يوافقك اليوم إنْ أقررته على حقه يعاديك غدا إن خالفته في باطله، حتى وإن كنتَ في الحالين محقا.

ومن أحسن ما توطن نفسك عليه ألا تستمد الطمأنينة إلى أنك (على الحق) إلا من اللجوء إلى الله أن يهديك إليه والاجتهاد في البحث عنه بتجرُّدٍ، ثم تُحسِن عرضه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم تقطع النظر عن موافقتهم لك أو مخالفتهم.

فإنك إنْ فعلتَ فإنَّ طمأنينة الحق ألذُّ لك من نَشَوات مدح الموافقين.

ولا يقدح في بركة دعوتك بعدها أن يقل الموافقون.

***

رب لا تحرمني بذنوبي من شرف خدمة دينك

المؤثرون في التاريخ كانوا يخافون أن تَحُول ذنوبهم دون استعمال الله لهم في نصر الدين..وليس كمن يصيبهم العُجب والغرور بما قدموه وكأنهم يَمُنون على الله لأنهم خدموا دينه!...نور الدين محمود زنكي سجد عند تلة حارم يستنصر الله وقال: "اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودًا (**يعني نفسه**) من هو محمود الكلب حتى يُنصر" (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية).. فنصره الله وقمع به شر الصليبيين في مواطن كثيرة.

والدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله يحدث عن إحدى رحلاته الدعوية كيف دعا الله قائلا: (يا رب لا تخذل هذا الدين بسبب أخطاءٍ أنا ارتكبتها) فكان فتحا عظيما وأسلم من دعاهم.

والله سبحانه لا يخذل دينه..لكن محل الشاهد أن هناك معنى راقيا جدا نحتاجه جميعا: أن نخشى من أن تكون ذنوبنا سببا في حرماننا من استعمال الله لنا في خدمة دينه سبحانه..

خدمة دين الله ليست منة تمتن بها على أحد، بل شرف تخاف أن يحرمك الله منه بذنوبك..تأمل معي قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٦]

انظر إلى هذه الصفات العظيمة! مؤمنون بالأنبياء، مقاتلون

معهم صابرون بلا وهن ولا ضعف ولا استكانة..ومع ذلك: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٧] استكانة وخضوع لله تعالى وطلبٌ أن يغفر لهم ذنوبهم..ولسان حالهم: يا ربنا لا تحرمنا من شرف خدمة دينك بذنوبنا..فماذا كانت النتيجة؟:

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٨]

***

حافظوا على نقائكم!

أيها الشباب، أيها الفتيات، حافظوا على نقائكم رجاءً!

لا تغتروا بكلمة: (أتوب فيما بعد والله يقبل)!

حتى وإن أدركتم التوبة وتُبْتم، هناك مرارة للذنب قد لا تنمحي..

فالتوبة، حتى وإن خلَّصَتْك من العقوبة الأخروية، ليس شرطاً أن تمحو الآثار الأليمة الدنيوية، في نفسك أو فيمن حولك ممن آذيتهم بذنبك..

أقول هذا لـمَا أَعْلَمُه من حال البعض...تُصاب زوجته العفيفة (أو زوجها العفيف) بمرض من الأمراض الجنسية المنتشرة بين المنحرفين، بما يفاجئه ويفاجئها! ويكون السبب: شهوات هابطة في الماضي تاب منها وبقيت آثارها وهو لا يعلم! لم تظهر آثار المرض

عليه لكن بقيت الفيروسات في جسمه إلى أن نقلها إلى أم عياله وظهرت آثارها عليها بعد سنوات وقد لا تظهر عليه هو..

أيُّ ندم سيصيبه -إن كان ذا إحساس- وهو يرى هذه المسكينة تتجرع مرارة المرض في جسدها المنهك، وفوقها وأشد منها الآثار النفسية والاجتماعية ووصمةً لا ذنب لها فيه!

وكذلك حال زوجة نقلت مرضًا إلى زوجها.

هذا كله إذا افترضنا أن من يقول: (أتوب فيما بعد والله يقبل) سوف يُوَفَّق لتوبة نصوحٍ بالفعل وهو يستخف بالذنب بهذا الشكل!

وهذا كله مع التذكير بأن المؤمن يردعه عذاب الآخرة، بغض النظر عما قد يصيبه في الدنيا.

لذلك رجاء يا شباب: حافظوا على نقائكم!

***

الاستعباد الطوعي

من أعجب أصناف المسلمين من يثبط نفسه عن البناء بحجة أن (الظالمين سيهدمون ما بنيت فلماذا أبني أصلا)... (لن يتركوني)، (لا داعي للمحاولة)!

هذا يستعبد نفسه لأعدائه بنفسه ويوفر عليهم كلفة السلاسل!!

لو فكر المصلحون كما تفكر يا مسكين لما بقي في الأرض إسلام.

(لكن توهمتَ السقام فأسقم الوهن البدن
وظننتَ أنك قد وهنت فدب في العظم الوهن
والمرء يرهبه الردى ما دام ينظر للكفن)

اعمل واعلم أن العباد كلهم مقهورون لقدرة الله، وهو سبحانه قادر على أن يحفظ دعوتك وعملك وبناءك ويكف كيد الظالمين.

***

توبة الشاعر السكران

من أكثر المواقف تأثيرًا لحظات يقظة العصاة الممعِنين في الفواحش والذنوب. يقظتهم عندا يُمس حبهم وتعظيمهم لله تعالى ولرسوله ﷺ.

من ذلك ما ذكره الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله تعالى - في كتابه (الطريق إلى المدينة) عن الشاعر الهندي (أختر الشيراني)، والذي كان من مدمني الخمر الفاحشين.

كان أختر يجالس أشكاله من مدمني الخمر وبعضَ الشباب الشيوعيين العرب الذين يبدو أنهم تعلموا لغة القوم.

فإذا عملت الخمرة في رأس أختر عملها صار مَن حوله يقولون له: (ماذا تقول في فلان؟)، فيؤلف شعرا بذيئا ماجنا ويضحك الجميع.

وذات مرة تجرأ أحد جلسائه من الشيوعيين العرب فقال لأختر: (ماذا تقول في محمد؟).

فلم يكد هذا القذر يتمّ جملته حتى تناول أختر كأس الزجاج وضربه بها على رأسه قائلًا: (يا قليل الأدب! أنت توجه هذا السؤال الوقح إلى رجل مذنب؛ معترف بشقائه؟ ماذا تريد أن تسمع من فاسق؟).

وكان جسمه يرتعد، وانفجر باكيًا، و أقبل على هذا الشاب الوقح يقول في عنف و غضب: كيف سوَّلت لك نفسُك يا خبيث أن تذكر هذا الاسم النزيه المقدس؟ كيف تجاسرتَ على ذلك يا قليل الأدب؟ يا قليل الحياء! لقد كان لكلامك مجال واسع، فلماذا دخلت في هذا الحمى المقدس؟ تُبْ إلى الله من هذا السؤال الوقح، إنني أعرف خبث باطنكم جيدًا.

ثم أمر بإخراجه من المجلس، ثم قام بنفسه، وبات طول الليل باكياً؛ يقول: (لقد بلغ هؤلاء الشباب الملحدون هذا الحد من الوقاحة والجرأة! إنهم يريدون أن ينتزعوا منا آخر ما نعتز به ونعيش عليه؛ من حب وولاء، وإخلاص ووفاء! إنني رجل مذنب؛ لا شك في ذلك، أعترف بذنبي، ولكن هؤلاء يحاولون أن نخلع رِبقة الإسلام من أعناقنا وقلوبنا، ونخرج من حظيرة الإيمان، لا والله؛ لا نرضى بذلك).

جميل أن يبقى في القلب تعظيم الله وكتابه ورسوله مهما قارف المرء من ذنوب.

***

متى نُحَلّق؟!

أخي، أختي، إن كنا نمضي زهرة شبابنا وفترة حماسنا الملتهب وذهننا الصافي وقوانا الجسدية في ذروتها...

إن كنا نمضي هذا كله في مصارعة الفتن، والتعثر في حفرها والقيام منها...

إن كنا نمضيه في التردد عن غض البصر وصلاة الفجر في وقتها وتدبر القرآن وارتداء الحجاب الصحيح وضوابط العلاقة بين الجنسين والأغاني والمسلسلات والأفلام...

إن كنا لا نزال ندور في فلك هذه المواضيع...

فمتى سنحلق في سماء القرب من الله وخدمة دينه؟!

متى سنتكلم عن قضايا أمتنا ونفضِ غبار الذل عنها؟

من للأمة الغرقى إذا كنا غريقين أيضا؟!

متى سنحس بأننا قد أحكمنا أمرنا وروَّضنا أنفسنا وغمر الإيمان قلوبنا لننطلق إلى الغافلين ندعوهم إلى جنة الأرض الروحية التي وهبنا الله إياها؟

متى سنعيش فرحةَ دلالة الشباب الصغار على المساجد بدل تعلم الموبقات في الشوارع؟

متى سنتلمَّس طريق النهضة لأمتنا بقراءات منهجية تغذي ثقافتنا ثم نتفاعل بها مع محيطنا؟

متى سننتبه وننبه مجتمعاتنا إلى المؤامرات التي يحيكها لهم من قال الله فيهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البَقَرَة: ٢١٧] ؟

متى نبادر إلى أن نكون نحن الفاعلين المؤثرين بدل أن نكون حقل تجارب لغيرنا؟

متى سندعو زملاءنا وجيراننا النصارى إلى دين الله تعالى قبل أن يتعلقوا برقابنا يوم القيامة؟

متى نتحمل مسؤوليتنا تجاه البشرية ونشعر بتكاليف انتسابنا إلى الأمة التي قال الله لها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٠] ؟

أما آن لنا أن نستجيب لأمر الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصَّف: ١٤] ؟ إخوتي، كفى ترددا، كفى تعثراً، كفى دورانا في حلقة مفرغة...

تعالوا نُحلق، تعالوا ننطلق إلى آفاق خدمة دين الله ولذة التعلق به لنستشعر قول الله تعالى:﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٢] .

❊ ❊ ❊

الفهرسة

المقدمـة ٥

المحور الأول: بشائر

كيـف أهتـم بأمتـي دون أن يقسـو قلبـي؟..... ٩

هل الإسـلام دين الحزن بالفعـل؟..... ١٧

أحمـد الله أني ولدت في هذا الزمـان!..... ٢٧

في بدايـات شـبابي ٢٩

ما حكم تـارك الصـلاة؟..... ٣١

لا بـدَّ أن نفـرح!..... ٣٣

حالـة الطـوارئ!..... ٣٧

كانت نقطـة تحول هائلة في حيـاتي!..... ٤٢

لم تفشــل!..... ٤٥

نقطة...سـطر جديـد..... ٤٧

لا تدعـه يعكر علاقتـك باللـه!..... ٤٨

عِش بنفسـية مجاهد..... ٥٤

حفظـك اللـهُ بمـا حفظـتَ بـهِ نبيَّـه ٥٦

العـودة للمربـع الأول ٥٧

في الأمـة خـير كثـير..... ٥٩
عليهُـم!..... ٦٠
الاكتئاب الـمُقَنَّع..... ٦٢
هـل مـن أمَـل؟ ٦٤
الأخذ بالأسـباب..... ٦٥
«لا حول ولا قوة إلا بالله!»..... ٦٦
الفوز الحقيقـي..... ٦٨
لا مـكان للإحبـاط..... ٧٠
اكسـب أجـرًا بإضحـاك أخيـك!..... ٧٢
لا تجلـد نفسـك..... ٧٣
لَفَّـةُ رفـعِ معنويـاتٍ..... ٧٥
أمـة تمـرض لكـن لا تمـوت..... ٧٦
ما لدي ليـس الأمـل!..... ٧٧
ومـاذا يعنينـي أن ينتـصر الإسـلام (يومًـا مـا)؟..... ٧٨
ومـاذا تنفـع محبـة النبـي ﷺ؟..... ٨١
أراك تحـس بالضعـف..... ٨٣
أين السـعادة التي يحققهـا الإسـلام لمتبعيـه؟..... ٨٥
الله يوهن كيدهـم..... ٩٠

أسباب ضيق الصدر على مواقع التواصل الاجتماعي ٩٠

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ٩٣

هل نفرح بالعيد؟ ٩٥

المحور الثاني: مسؤولية

ما معنى أن يكون الإسلام قضية حياتك؟ ١٠١

لحظةُ اليقَظةِ ١٠٢

ماذا تعني الدعوة بالنسبة لي؟ ١٠٣

(لا تنفش رأسها) ١٠٤

أنا أقل من أن أدعوَ غيري ١٠٧

أظهروا دينكم ١٠٨

تضحية في سياق مختلف ١١٠

الأخ (معذور) وقصته الكاملة في سطور ١١١

المفتاح في إحدى الحفر! ١١٣

أصحابي يمضون الساعات بمتابعة الأفلام! ١١٥

كيف نثبت بعد التوبة؟ ١٢٤

إيش طالع بإيدنا نعمل؟ ١٣١

كلماتي لن تؤثر، فغيري أحسن مني ١٣٣

لا بدّ أنْ تَفْتُرَ ١٣٥

ماذا تحب مني أن أفعل يا رب؟..... ١٣٦
الداعية الصادق..... ١٣٦
من أجل أبنائنا..... ١٣٨
هل سنصلي في الأقصى قريبًا؟..... ١٣٩
ماذا أفعل لإنقاذ الأقصى؟..... ١٤٢
افعلها لله قبل أن تفعلها لنفسك!..... ١٤٢
عندما ترتدي السلبية ثوب الحكمة..... ١٤٤
فإن لم يستطع..... ١٤٦
الفجوة الثقافية..... ١٤٦
لا تدعها تمنعك..... ١٤٨

المحور الثالث: ثبات

الاستقامة أعظم كرامة..... ١٥١
الحرمان الخفي..... ١٥٢
﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾..... ١٥٤
﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥٓ﴾؟! ١٥٧
جائزة فورية ننساها..... ١٥٨
اجتماع القلب على الله..... ١٦٠
كلما دعتك نفسك إلى معصية..... ١٦٢

غـضُّ البـصرِ ١٦٤
مـاذا قدمنا من هذه المهـور؟..... ١٧٢
قـارن!..... ١٧٣
أهل الأرض والمتطفلون..... ١٧٤
أنـا مـش وجـه بهدلـة !..... ١٧٦
الـمحب لا يستطيع الكتمان..... ١٧٧
وكفى بهـا عقوبـة!..... ١٧٩
الحقيقة والكابـوس..... ١٨١
إذا الشـيوخ فتنـوا، فإيـش حالنـا إحنـا؟..... ١٨٢
سؤال «أين معونةُ اللهِ للمسـلمينَ؟»..... ١٨٩
لا تحبس نفسك بنفسـك!..... ١٩٤
يقـين المؤمـن ١٩٦
رسـالة مـن أسـير إلى أمـه..... ١٩٧
الضَّعـف المـزروع ١٩٩
طريقـة لطيفة لمقاومة المعاصي والفـتن..... ٢٠٠
أجمل مـن الموسـيقى..... ٢٠١
لسـنا أقل تقديرا للجمال..... ٢٠٢
أمـضى حياته موجِّهًا وجهه نحوهـم..... ٢٠٣

تحـرَّر..... ٢٠٥
نعمة الانفصال عـن الواقـع!..... ٢٠٦
شرك الطائرات..... ٢٠٧
إلَّا وسعهَا..... ٢١٠
لا تدعهم يغيرون نظرتك لنفسـك..... ٢١١
معلـش يـا رب...هـذه المـرة فقـط!..... ٢١٢
الإسـلام بحاجة إليـك، ولكـن..... ٢١٣
الجنـة أحـلى..... ٢١٥
على المحـكّ..... ٢١٦
بيني وبينكـم!..... ٢١٧
اسـتخراج العبوديات..... ٢١٩
إنما هي نفحـة واحـدة!..... ٢١٩
﴿لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾..... ٢٢١
لسـتُ من دوابكم!..... ٢٢٢
صمام الأمـان..... ٢٢٤
مـع زحمـة الحيـاة... ..... ٢٢٥
شـلل الإرادة..... ٢٢٥
خدعـة (لَهُـون وبـس)!..... ٢٢٧

ماذا سيقول عني الناس؟..... ٢٢٨
تقبيح الطاعات..... ٢٢٩
تحية لك أيتها المنتقبة..... ٢٣٠
يا أخي الفتن بتحرك الحجر!!..... ٢٣١
ليست (تسريبات)!..... ٢٣٣
لا يغررك تقلبهم في البلاد..... ٢٣٤
﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾..... ٢٣٦
طمأنينة الحق ألذُّ..... ٢٣٨
رب لا تحرمني بذنوبي من شرف خدمة دينك..... ٢٣٩
حافظوا على نقائكم!..... ٢٤٠
الاستعباد الطوعي..... ٢٤١
توبة الشاعر السكران..... ٢٤٢
متى نُحَلّق؟!..... ٢٤٣